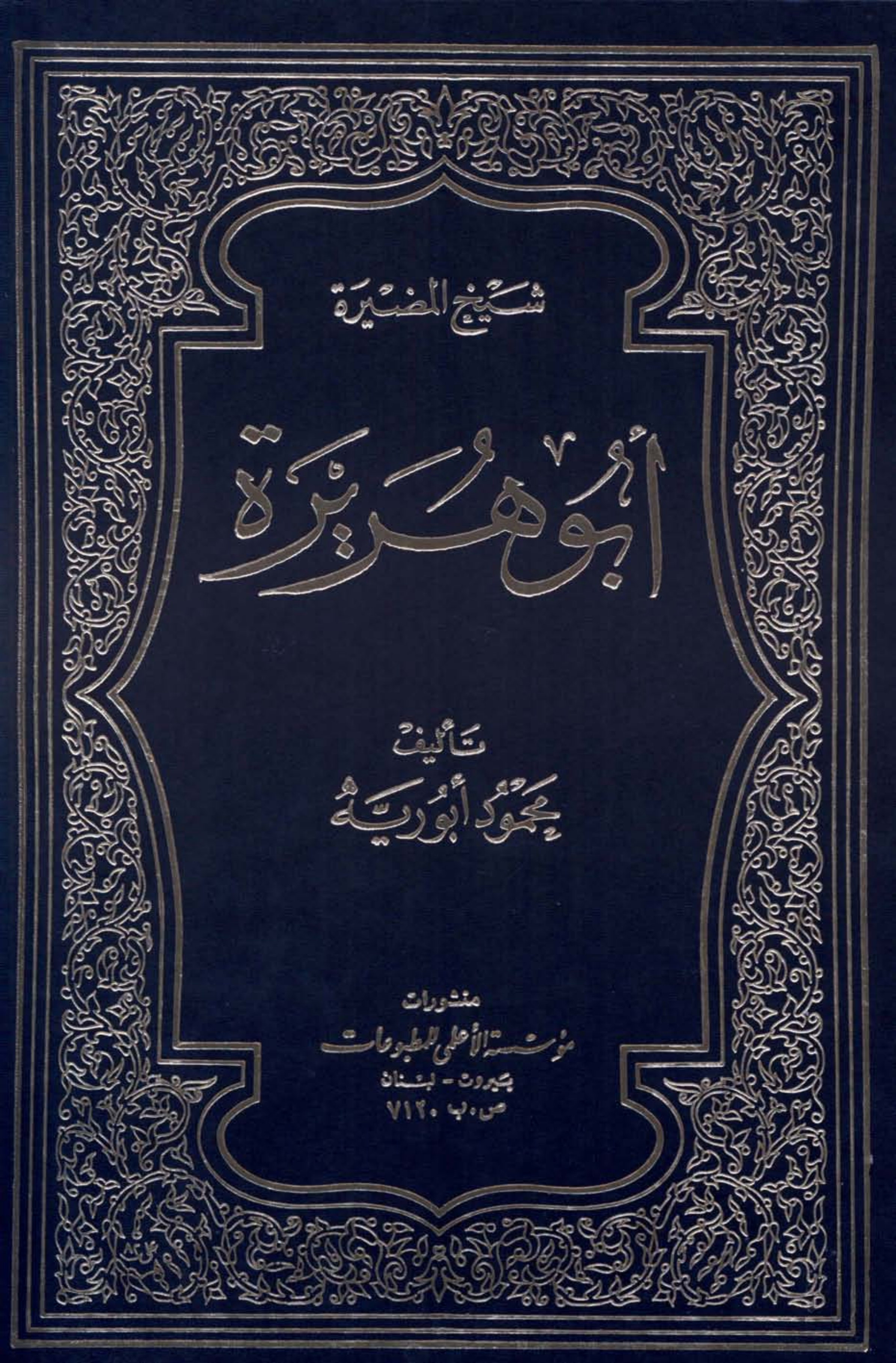

شيخ المضيرة
أبو هريرة
تأليف
محمود أبو رية
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

شيخ المضيرة

أبو هريرة

«أول راوية أتهم في الإسلام»
ابن قتيبة

تأليف
محمود أبو رية

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الـطبعـة الـرابعـة
تمتاز هذه الطبعة بالتصحيح الدقيق

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان واجب
حول عنوان الكتاب

حدثني صديق كريم قال : إن بعض الناس قد فهم من وضع كلمة (شيخ المضيرة) في عنوان الكتاب إنما كان لغرض بعيد ، وهو ازدراء أبي هريرة ! وقد استغربت من أن يذهب مثل هذا الفهم الخاطىء إلى ذهن ذي لب أو علم ! وكأن الذي يرمينا بهذه التهمة لم يدرس تاريخ أبي هريرة ولا يعرف من أمره شيئاً !! ذلك بأن هذا اللقب لم يكن شيئاً جديداً ابتدعناه من عند أنفسنا ، وإنما هو عريق في القدم مضى عليه أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، إذ أنه يرجع إلى عهد معاوية بن أبي سفيان الذي كانت هذه المضيرة من أطايب أطعمته فلما نهم أبو هريرة فيها ، واشتهر ذلك بين الناس لقبوه بها ، ولزمه هذا اللقب من ذلك العهد ، وجرى على ألسنة الناس ذكره ، ثم دونه المؤرخون وكبار العلماء والكتاب في مؤلفاتهم مثل الزمخشري في ربيع الأبرار وفي أساس البلاغة ، وبديع الزمان الهمذاني في مقاماته ، إذ عقد له مقامة خاصة سماها (المقامة المضيرية) وشرح الأستاذ الإمام محمد عبده أمرها وأمر شيخها ، ومناصرته لمعاوية شرحاً لاذعاً ، وتكلم عنه الثعالبي في كتابه (المضاف والمنسوب)[1] كلاماً طويلاً ، ولا نستوعب كل ما قيل في هذه المضيرة وشيخها فيرجع إلى ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

(١) طبع هذا الكتاب في مصر مرتين إحداهما في سنة ١٩٠٨ والأخرى في سنة ١٩٦٥ .

ولو أننا كنا نحن الذين ابتـدعنا هـذا اللقب في دهرنـا ، وأفشيناه لكـان لهذا الفهم شيء من الاعتبار !

يتبين من ذلـك أننا لم يكن لنـا قصـد سيء لأبي هـريـرة ولا نـريـد أن نتجنى عليه بشيء غير معروف من تاريخه ، وإنما الذي دعانا إلى ذلك ـ أننـا بسبيل ترجمتـه ترجمـة مفصلة ، ولا يمكن ذلك إلا بـاستيعاب كـل ما يتصـل بهـذه الترجمـة ، وأن أول شيء يجب أن يعنى به المؤرخ أن يـذكـر اسم من يؤرخ لـه كامـلاً غير منقـوص ، ولأن لقب (شيخ المضيـرة) قد لازم اسم أبي هريرة فلا ينفك عنه بحيث إذا أُطلق فإنه لا ينصرف إلا إليـه ، ولم يلقب أحد غيره بهذا اللقب على مـدى الدهـور ، فقد وجب علينـا أن نذكـر إسمه ولقبـه الذي اقترن به ، وأصبح جـزءاً منه ؛ ولـو نحن أغفلنا ذلـك لحاسبنـا التاريـخ على إغفاله حسـاباً عسيـراً !! إذ ماذا يكـون جوابنـا إذا قال لنـا : كيف تؤرخ لرجل لا يعرف الناس إسمه كاملاً ؟ لقد عرفتهم في كتابك بأنهم عندما جهلوا إسمه الذي سماه به أهله كنوه بهريرة كان يلعب بها ! وبقي عليك أن تعـرفهم بلقبه الذي جاءه من (مضيرتـه) التي كان يحبهـا ، وبذلـك تكون قـد أديت ما عليك ويخرج كتابك مستوفى مستوعباً .

هذه هي حقيقة الأمر في شأن عنـوان الكتاب نـذكرهـا على وجهها لمن يفهم ويعقل ، ولا علينا ممن لا يفهم ولا يعقل ، وهذه الصفحـة قد جعلنـاها في مفتتح كتابنا ، لنضع بها الأمر في نصابه ، ولتكون تبصرة لأولي الألباب ، هدانا الله جميعاً لما فيه الرشد والصواب . إنه سميع مجيب .

هـذا الكتـاب

أُقدم كتاباً ما عرفت صاحبـه من قبل ، وإذا كـان جهل مثله خمـولاً في الاطلاع وقصوراً في النشـاط ، فإني أحمـد لعدوه أن زكـاه عندي وهـو يبالـغ بتجريحه والعدوان عليه .

ولقد عرفته أول مرة في كتاب (السنة) للدكتـور السباعي ، إذ استهـدفه هـذا بنقد عـاطفي دلني على القيمة في (أبـو رية) وفي (أضـوائه) الصـافيـة ، الأمر الذي أتـاح لي شرف الـدفاع عن الحقيقـة فيه وفي كتـابه المـذكور دون معرفة به ، ولا إلمام بكتابه[1] .

وعرفته بعـد ذلك من خـلال (أضوائـه) فعرفت عـالماً متبحـراً يلين بيده الموضوع الصعب ، ويرتفع بناؤه منهجيًّا ، يـوازن شكله محتواه وينهض بـه ، وفي الحق أنه من أنفس ما أنتجته الدراسات الإسلامية الحديثة ، وأهداها في فن الوصول إلى الحقيقة .

ولا يقل (شيخ المضيرة) الكتاب الذي نقدمـه عن كتاب (الأضـواء) بل

(١) إفتتحت الـطبعة الأولى من هـذا الكتاب بهـذه الكلمة القيمـة التي تفضـل بهـا العـالم الكبير الأستاذ صدر الدين شرف الدين وقـد رأينا إثبـاتها في كـل طبعة تصـدر من هذا الكتاب .

هو فلذة منه تناولها المؤلف بالتحسين ، وخصها برعاية أبرزتها عملاً مستقلاً ذا عطاء يغني محصول (الإحياء) المعتبر اليوم أحد مصادر تقدمنا الأساسية .

وقد أوضحنا غير مرة أن تجديد الأبحاث القديمة شيء ، ونبش الضغائن شيء آخر ، وأن التناول الموضوعي هو القياس في التمييز بينهما ، ولا حاجة للتأكيد أن أولهما نافع ، وثانيهما ضار ، ولكن ما يجب التحذير منه هو الخلط بينهما ، فالخلط خبط يثير الحفائظ وينتج الفتن ، ولا ينفع إلا الأعداء .

أقول هذا وأشير إلى العلامة مؤلف هذا الكتاب ، الناهض شاهداً من عشرات الشواهد على نتائج الخلط المشار إليه ، أفليس من أغرب ما يسمعه المرء المعاصر أن يحاصر كاتب حر وتضرب حوله السدود والأقفال لرأي قاده إليه الدليل ، وحركه نحوه الجهر بالحق ؟

تلك هي محنة العلامة (أبو رية) وهي محنة إذا وجدت في القرون الوسطى مسوغاً من عشوائية المرحلة فليس لها في عصرنا أدنى مسوّغ . وأغرب ما في هذه المحنة أن طوقها من صنع غير الحكام خلافاً للمعهود في الأزمنة الغابرة . الطوق اشترك في حبكه حول (أبو رية) كتّاب كالسباعي أحاطوه بأراجيف وافتراءات منفردة ، وناشرون استغلوا ظرفه هذا فاشترطوا لنشر كتابه تجريده من حقوق المؤلف ، ولك أن تجد بين هؤلاء وأولئك سبب تطوعنا لنشر هذا الكتاب الجليل .

بقي أن السباعي وأمثاله سيؤكدون للبسطاء من قرائهم تهمة تشيع (أبو رية) ويسوقون التهمة ـ كما جاءت في كتاب السنة ـ بأسلوب المرجفين ، وليت السباعي يحيى عصره ليخفف على نفسه ثقل هذا الأسلوب الغليظ ، فالتشيع لم يعد كفراً ، ولا إلحاداً في الدين ، ولم يعد التسنن ضلالة ، ولا خروجاً على الإسلام كذلك ، وإنما هما في مفهوم الوعي الحديث جدولان يتألف منهما نهر الإسلام الكبير ، فلا يخطىء الإسلامَ متدينٌ تشيع أو تسنن ، أما الذين يخطئونه حقّاً فإنما هم المرجفون المفرقون المتعصبون من

الفريقين .

والبحث في الحديث والمحدثين بحثاً علميّاً ينفض عنهما غبار القدم رسالة لا يقدرها حق قدرها إلا مسلم يعيش الإسلام بعلم وإخلاص .

هدانا الله لما فيه صلاح أنفسنا ومصلحة أمتنا ، ولا يشذ عن هذين تأليف هذا الكتاب ولا نشره ، ولا الانتفاع بقراءته واقتنائه .

صدر الدين شرف الدين

مقدمة الطبعة الاولى

كان هذا الكتاب فصلاً من كتابنا «أضواء على السنة المحمدية» الذي استفاض أمره وأحدث دوياً هائلاً بين أرجاء العالم الإسلامي ، مما لم يحدث مثله لكتاب آخر في عصرنا غير كتاب (في الشعر الجاهلي الذي ألفه الدكتور طه حسين)[1] ، وعلى أنه قد ظفر والحمد لله من كبار العلماء ، وقادة الفكر بالتقدير الكريم ، والثناء الجميل ، فإن بعض من أُصيبوا بالحشوية والجمود قابلونا بالشتم القاذع ، والسب الوضيع فلم نلتفت إليهم ، وتركناهم في ضلالهم يعمهون .

ولو أن هذه الفئة قد التزمت معنا الطريق السويّ ، الذي يقضي به النقد العلمي النزيه ، لقابلناهم مسرورين ولنازلناهم فرحين ، ولكنها ارتطمت في حمأة السباب ، وزاغت عن سبيل الصواب ، فلذلك سقط معها الخطاب .

ولقد كان أكثر ما نالنا من شتم الشاتمين ، وقذف القاذفين ، مرده إلى ما بيناه من تاريخ (أبي هريرة) وما أظهرناه في هذا التاريخ من حقائق مذهلة

---

(١) بلغ ما صدر في نقد كتابنا إلى اليوم خمسة عشر كتاباً ؛ في مصر ، والحجاز والشام . هذا عدا جميع المجلات التي تتجر بالدين في بلاد المسلمين ولا نعلم ماذا سيظهر غداً .

لم تكن معروفة لهم من قبل ، فصدموا بها ، ودهشوا لها ، وكادوا منها يصعقون ! ولم يلبثوا أن هبوا ليخففوا عنهم ما أصابهم من هول الصدمة ، فلم يجدوا غير الوسيلة التي يحسنونها ، فأطلقوا ألسنتهم بسبنا ، وشهروا أقلامهم لشتمنا ، وقد كان أقذرهم شتماً ، وأفحشهم سباباً ، شامي أزهري ، سمى نفسه (الدكتور مصطفى السباعي)(١) فقد فاقهم في مضمارهم ، وكان بحق فارس حلبتهم ! وكأنه أراد أن يستعلن بأنه (عُيير) وحده في فن الهجاء فكانه(٢) .

ومن أجل هذه العاصفة الهوجاء التي أثيرت علينا رأينا أن نعيد النظر في دراسة تاريخ (شيخ المضيرة)(٣) من جميع نواحيه دراسة مستفيضة شاملة ، حتى تبدو للناس شخصية هذا الصحابي المشهور على حقيقتها ، وتتضح لهم على وجهها ـ فرجعنا إلى ما بين أيدينا من المصادر الموثوق بها عند أهل السنة ـ وقد اعتمدنا عليها وحدها في هذه الدراسة ولم نرجع إلى غيرها ، حتى لا يرمينا غبي جاهل بالتشيع ويقول : إنه يأتينا بكلام لا نعرفه ، ولا نثق به ! وكذلك عُدنا إلى ما كنا قد احتجنّاه لدينا من المواد التي استخرجناها من بطون هذه الكتب أثناء دراستنا الطويلة لموضوع كتابنا الكبير ، تلك الدراسة التي استغرقت أكثر من خمس عشرة سنة ، ولم ننشر كل ما فيها في الطبعة الأولى مراعاة للاختصار ، وإشفاقاً على من لا يحتملون صولة الحق من أن يصيب عقولهم وعقائدهم مَسّ ! إذا نحن فاجأناهم بكل ما لا يفهمون ! وما لا يعقلون !!

---

(١) لا ندري من أين جاءته هذه (الدكترة) ؟! ومن الذي منحه هذا اللقب ؟ إن كل ما يعرف عنه أنه تخرج في الأزهر كأولئك الآلاف الذين يتخرجون فيه كل عام ! ولا ميزة له عليهم بشيء ، على أن هذا اللقب قد هان أخيراً في بلادنا ، حتى فقد معناه المعروف عند غيرنا .

(٢) حذفنا هنا مقدار صفحة ونصف للسبب الذي بيناه فيما بعد بعد مقدمة الطبعة الثانية .

(٣) راجع ص ٨٦ من كتاب (المضاف والمنسوب) للثعالبي لتقرأ ما قاله في هذه المضيرة التي نهم أبو هريرة فيها ، واشتهر ذلك عنه حتى جعلوه (شيخاً لها) وسيقابلك نبأ ذلك في هذا الكتاب .

رجعنا إلى كل ذلك لنسوي منه بحثاً كاملاً مستوفى لتاريخ أبي هريرة ، غير مبالين أن يطول هذا البحث أو يقصر ، لأن موضوعه خطير ، والكلام فيه ليس بالسهل اليسير ، وقد نهجت فيه منهجاً واضحاً مستقيماً ، - وهو سبيل المؤرخ الذي يتحرّى الصدق والأمانة مبتغياً بعمله وجه الله ورضا العلم ، وأداء حق التاريخ ، فإذا هو انحرف عن هذا الصراط المستقيم ، ومال به عن النهج القويم ، ضل وغوى .

هذا هو منهجي الذي اتخذته في كتابي هذا وفي غيره ، ولا يعنيني بعد ذلك أن يغضب عليّ زيد ، أو يرضى عني عمرو . ولا أكتم القراء أنه منهج شاق عسير ، ولكني استعذبته ورضيت به مغتبطاً لأنه سبيل الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وقد استعنت الله فيه فأعانني ، واستهديته فهداني .

وما كدت أفرغ من بحثي هذا حتى رأيته قد امتد وطال فبلغت صفحاته حوالي خمسين ومئة صفحة[1] على حين أنه كان في الأصل لا يتجاوز خمسين صفحة .

ولو أني أطعت القلم وأطلقت من عنانه ، ليجري إلى مداه الذي يريده ، لزادت صفحات الكتاب على ذلك كثيراً ، ولكني كبحت من جماحه ، ووقفت عند هذا الحد به .

ثم رأيت من التدبير أن أفرده في كتاب برأسه ليعم النفع به ، والاستفادة منه ، وإني أقدمه اليوم بعد أن أوفى من التحقيق على الغاية ، وبلغ من الاستقصاء أقصى النهاية ، وأصبح بلا مراء مرآة مجلوة تصور تاريخ هذا الصحابي المعروف تصويراً صادقاً من يوم أن قدم على النبي (ص) وهو بخيبر فقيراً معدماً ، إلى أن توفي في قصره المنيف بالعقيق غنيّاً مثرياً .

فإذا أنت نظرت في هذه المرآة المصقولة تراءت لك شخصيته واضحة

---

(١) استغرقت هذه الصفحات في الطبعة الأولى ١٩٣ صفحة وستزيد في هذه الطبعة على الطبعة الأولى كثيراً .

المعـالم من جميع جهـاتهـا ، وانكشفت لك حيـاتـه في زمن النبي وخلفـائـه الأربعة، وماذا كان شأنه بين سائـر الصحابـة في هذه الفتـرة ونهي عمر لـه عن الـرواية عن رسـول الله وضربـه بالـدرة من أجل ذلـك وإنذاره إيـاه بالنفي إلى بـلاده إذا هو روى ، ثم مصـادرته لشـطر أموالـه لما آنس منـه عدم أمـانته في ولايته ـ وما كان بعد ذلك من إمعانـه في الروايـة بعد أن خـلا له الجـو بموت كبار الصحابـة واختفاء درة عمـر التي كانت تبـاشر ظهـره عندمـا كان يـروي ـ ولكثرة هذه الـرواية على قلة زمن صحبتـه اتهموه في روايتـه حتى كان بـذلك (أول راويـة اتهم في الإسلام) ـ ثم تشيعـه لبني أميـة بعـد أن انتزعوا الحكم اغتصـاباً ، وعطلوا حكم الشورى في الإسـلام ، وأصبحـوا ملوكـاً في الأرض بيدهم الأمر والنهي والرفع والخفض ، فكان من دعاتهم وأوليائهم ، يناصرهم بلسانه ورواياته ، وما نالـه لقاء ذلـك من نوالهم ورفـدهم وأطايب أطعمتهم ، وبخـاصة (المضيـرة) التي كانت من أفخـر أطعمة معـاوية حتى بلغ من نهمـه وحبه لها ، أن لقب بها ، وظل هذا اللقب يلازمـه ويعرف بـه على مدّ الـزمن كما ستراه في كتابنا هذا ولذلك جعلناه عنواناً لهذا الكتاب . .

ويشهد القارىء في تاريخه غير ذلك قصته العجيبة ذات الفصول الثلاثة الغريبة عنـدما حـطب في حبل معـاوية ، وذلـك فيما رواه من أحـاديث (بسط الثوب ، والوعاءين ، والمزود) .

وهذه القصة تعتبر ولا ريب من أروع قصص التاريخ الإسلامي .

وقـد أمطنـا اللثـام عن أهم مـا يجب على المسلـمين وغيـر المسلمين معرفته من رواياته ، ومبلغ نصيبها من الصدق ومـدى نسبتها إلى النبي ، حتى تُعلم على حقيقتهـا ، وتُؤخـذ على مقــدار وزنهـا ، وذلــك لأن في أكثـرهـا مشكلات يحتج بها علينا أعـداء الدين ، وتضيق بهـا صدور المؤمنين ـ وذلـك أنـه كان (يـدلس) في هذه الـروايات ، ويُـرسل و(التـدليس) ـ كما نص عليـه علماء الحديث أنفسهم ـ يعتبر في حكم (المرسـل) الذي اختلف العلمـاء في الأخذ به ، ومنهم من منع ذلك منعاً باتّاً .

ومن أجل ذلك اتجهت عنايتنا إلى تأريخه دون سائر الصحابة .

هذا بعض ما ينطوي عليه هذا الكتاب الذي بين يديك ، وفيه غير ذلك من الحقائق العلمية ما لم يضمه من قبل كتاب .

وإني إذ أنشره اليوم لعلَى ثقة بما سينالني من وراء نشره ، ولكن كل ما ألقاه في سبيله ، سيكون ولا ريب مما أغتبط به وأسر له ، ورحم الله ابن حزم حيث يقول :

«من حقق النظر ، وراض نفسه على السكون إلى الحقائق ـ وإن آلمتها في أول صدمة ، كان اغتباطه بذم الناس إياه ، أشد وأكثر من اغتباطه بمدحهم إياه» .

محمود أبو رية

عن جيزة الفسطاط ـ بالقاهرة .

مقدمة الطبعة الثانية

ما كنت أظن ـ عندما ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ـ أنه سينال من إقبال القراء عليه ، ورضاهم عنه ، وتقديرهم إياه ، مثل ما نال ، والحمد لله .

ذلك أنه لم يكد ينقضي على ظهوره زمن قليل حتى انتشر بين الأرجاء ونفدت نسخه كلها ، مما دعا إلى إعادة طبعه .

وقد رأيت قبل تقديمه للطبعة الثانية أن ألقي عليه نظرةً طويلة لكي أراجعه مراجعة دقيقة ، وما إن قرأته حتى استبان لي أنه يحتاج إلى تنقيح في بعض مواضيعه ، وإلى تفصيل أو إيضاح في مواضيع أخرى .

ـ من ذلك أمر إقصاء النبي (ص) لأبي هريرة عن المدينة إلى البحرين ولمّا يقض فيها إلا عاماً وبعض عام ! مما لم يُفعل بغيره من الصحابة جميعاً !

فقد أوردنا هذا الأمر المهم بغير أن نبين علله ودواعيه .

ـ ومن ذلك أمر ضرب عمر له ونهيه إياه عن رواية الحديث ، وكيف يقصده وحده بهذا الضرب وهذا النهي ، على حين أن أبا هريرة قد زعم أن

النبي (ص) قد آثره من دون الصحابة كلهم (بالثوب والأجربة)[1] وأنه ـ كما افترى ناعق جهول ظهر في هذه الأيام ـ قد أسلم منذ أول البعثة المحمدية وهو في بلاده (اليمن) ثم كان يتتبع أخبار النبي (ص) وهو بمكة ويعلم ما كان ينزل عليه من وحي وغيره ، إلى أن قدم عليه بعد وقعة خيبر !

وثم أمر اقتضى لخطره أن نبينه ونفصل القول فيه ، لأن تاريخ أبي هريرة لا يعرف إلا منه ولا يتم إلا به ؛ ذلك أنه ـ كما ثبت ـ لم يبد نجمه المنطفي ، ولم يظهر شخصه المختفي ، إلا في العهد الأموي ، الذي استظل بظله ، وبلغ رغد العيش من رفده ، ولم تكثر أحاديثه الغريبة إلا بتأييده ، وقد كان قبلها من المغمورين .

ومن أجل ذلك عقدنا فصلاً مستوفى تحدثنا فيه عن دولة بني أمية وكيف نشأت .

ولا نطيل بذكر كل المواضع التي توليناها بالتنقيح أو التفصيل ، أو البيان ، أو الزيادة ، حتى أصبح الكتابُ ولله الحمد في صورة مستوعبة كاملة

* * *

وبرغمنا :

أولاً ـ أن نأتي في هذه الطبعة بكلمة[2] نرد فيها على ما اتهمونا به من التشيع ! وأن ما ننشره في كتبنا لم يكن للحق ولا للعلم وإنما لنزدلف به إلى إخواننا من الشيعة ، وقد سبقت هذه الفرية بهتية أُخرى ، قذفونا بها فقالوا : «إننا نعمل لمصلحة أمريكا» وإنها من أجل ذلك قد ملأت أيدينا من دولارتها التي يعرفونها ، بما غمرت جيوبهم منها !

(١) ستقرأ قصة هذا الثوب وهذه الأجربة في موضعها في هذا الكتاب وهي قصة شائقة .

(٢) حذفنا هذه الكلمة وكانت تقع في سبع صفحات ؛ وكذلك حذفنا من مقدمة الطبعة الأولى مقدار صفحة ونصف ، وذلك بعد أن جاءنا نبأ وفاة الشيخ مصطفى السباعي ، إذ لا يصح أن نناقش ميتاً ، أو ننازل جثماناً أودع قبره ، ووكلنا الأمر بيننا وبينه وبين غيره إلى الله .

وثانياً ـ أن نأتي في آخر كتابنا هذا بإلمامة مررنا فيها مرّاً خفيفاً بكتاب ظهر أخيراً باسم (أبو هريرة راوية الإسلام) لشاب يدعى عجاج الخطيب، وساعده على تأليفه جمهرة كبيرة من شيوخ الدين.

وقد اضطررنا لكتابة هذه الإلمامة على حين أن هذا الكتاب في حقيقة أمره ـ لا يستحق أن ينظر إليه، وأن مصنفه لا يستأهل أن يُرد عليه!

وقد بينا سبب هذا الاضطرار في مقدمة هذه الإلمامة فلا نعود إلى بيانه هنا.

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة من كتاب (شيخ المضيرة) نقدمها للقراء بعد أن أصبَحت كاملة مستوفاة والحمد لله ، وقد كنا نتمنى أن تتخذ الطبعة الثانية سبيلها إلى القراء بغير أن نُقابل بما تعودنا أن يقابل به كل كتاب يظهر لنا من أذى الجاهلين ، وشتائم الجامدين ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ! فشاءت الأقدار ، أن ينبعث من دمشق أستاذ ناصبي اسمه محمد عزة دروزة فأرسل إلينا خطاباً يطفح هجواً وشتماً من جنس ما رمانا به من قبل شيخ ناصبي آخر اسمه مصطفى السباعي وهو من دمشق كذلك ، وكان ذنبنا عندهما وعند أشباههما ما نكشف للناس من حقائق عن معاوية بن أبي سفيان وحكمه ، وعمن كان يناصره من الصحابة على بغيه ، ومما جاء في خطاب هذا الدروزي : أني أطعن في أعظم دولة إسلامية ، وأني أحقد (كذا) على أبي هريرة ، وأني أصطنع منهج كتّاب الشيعة في إيران ! وأني أحمل العقدة أو العقيدة الشيعية التي لا تبالي بحجة ومنطق وحقيقة (كذا) . وكلام غير ذلك كثير مما لا فائدة فيه ولا عائدة . . ومن العجب أن هذا الدروزي يزعم أنه مؤرخ إسلامي وهو يجهل أن أبا هريرة كان يلقب بشيخ المضيرة ، وهذا الخطاب مسجل من دمشق ومؤرخ ٢ تموز سنة ١٩٦٥ ، كأن كل من ينطق

بكلمة حق عن معاوية وحكمه وظلمه يعد شيعيّاً ، وويل له من النواصب[1] ، وأتباعهم الذين يؤمنون بما يؤمنون به .

وفي مصر ظهر كتيب ! وكتاب .

الكتيب !!

أما الكتيب ففي حوالي ٩٠ صفحة من القطع الصغير عنوانه (السنة في مكانها وفي تاريخها) لمؤلف يسمى ـ كما جاء على ظهر هذا الكتيب (الدكتور عبد الحليم محمود) ذهب ثلثاه في كلام عن كتابة الحديث ، واسودَّ الثلث الباقي في نقد بعض ما جاء في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) وطعن فينا وفي ديننا ـ إذ رماني الشيخ المسلم الصوفي (بالفسق) واستشهد على ذلك بآية من كتاب الله العزيز ـ كبرت كلمة تخرج من فيه ـ وكان عليه قبل أن يقترف هذا الإثم الكبير أن يذكر الحكمة المعروفة (إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة) ففي ذلك خير له . . وفي هذا كفاية ـ ولا نزيد عليه !

ولقد علمت قبل ظهور هذا الكتيب أنه قد اشترك في تأليفه مع هذا الدكتور طائفة من أساتذة جامعة الأزهر ! ثم جاء الدكتور نفسه فاعترف بهذه الحقيقة ، في كتيبه ، حيث قال في الصفحة ١٢ منه ما يلي : «إن هذا الكتاب إنما هو من ثمار توجيه الدار ومن بركاتها» أي الدار التي أنشأها هو وجماعته لخدمة الحديث (بزعمهم) وقد جعلوا هذه الدار تحت ظل أحد الوزراء ليستغلوا اسمه في رفع شأنها وقضاء مآربها ! وقد كان أول عجب لنا من هذه الجماعة قيامهم لنقد كتابنا الأضواء بعد أن مضى على ظهوره حوالي عشرة أعوام ! إذ أنه قد صدر في سنة ١٩٥٨ وكتيبهم قد طبع في سنة ١٩٦٧ أي بعد ظهور كتابي بتسع سنين كاملة ! فأين كان شيوخنا الأجلاء حينئذٍ من نقد كتابنا ؟؟ وما سبب قيامهم بعد انقضاء هذا الزمن الطويل ؟ لعل هذه

---

(١) النواصب هم أهل النصب الذين ينصبون للإمام عليّ رضي الله عنه .

الجماعة وهي بطبيعتها أزهرية قد أرادت أن لا يفوتها أداء ما على كل أزهري من نصيب في شتمنا والطعن فينا ! فقامت بأداء ما عليها ـ ولو جاء متأخراً ـ حتى تبرىء ذمتها ، وترضي نزعتها ! وإذا كان الأمر كذلك فمرحباً !

وبعد ذلك نقول إنه كان لنا أن نستعين بالقضاء على هذا الشيخ لكي يأخذ حقنا منه على ما طعن في ديننا ، ولكن منعنا من ذلك ما استفاض بين الناس من أنه قد غرق في بحر التصوف ! حتى أثر ذلك على حصاة عقله ، وقد بدا ذلك على ما يجري على لسانه من قول ، وما يخطه يمينه في كتاب[1] .

ومن أجل ذلك ـ واستجابة لرغبات كثير من علماء أجلاء عقلاء ـ رأينا أن نتجاوز عما اقترفه الشيخ في حقنا وتركنا الأمر لله ، وهو سبحانه يفتح بيننا وبينه بالحق ، وهو خير الحاكمين .

ومن كان هذا مثله وأحواله ، لو أنت اعتبرته ممن رفع القلم عنهم ، الذين لا يؤاخذون بشيء مما يقع منهم ، فإنك لا تبعد عن الحق ، ولا تجانب الصواب .

ذلك بأن رجلاً مثل هذا لا يصح أن يحاسب على ما يصدر منه .

وإذا كنا قد تجاوزنا عن حقنا الشخصي الذي نملكه ، فإنه لا يجوز لنا

---

(١) مما يثبت ما يقال عن الشيخ ، ما ينشره في كتبه مما ينكره العقل ويأباه الدين والعلم ، وإليك مثلاً من ذلك ، ننقله بحرفه عن الرسالة القشيرية التي نشرها أخيراً (بالصفحة ٦٩) وهو كافٍ وحده للحكم على عقليته ، ذلك أنه كتب تعليقاً على خرافة أوتاد الأرض التي ذكرت في هذه الرسالة «**قال العروسي**(*) : **الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع في العالم ، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب يحفظ الله تلك الجهات بهم**» !!

ونكتفي بهذا المثل وندع للعلماء (العقلاء) أن يبدوا فيه رأيهم ، والرسالة القشيرية هذه التي نشرها الشيخ يقرؤها طلابه في الأزهر ومريدوه وغيرهم في غير الأزهر ، ثم لا ننسى أنه كان عميداً لكلية أصول الدين ، وهو الآن (رئيس قسم العقيدة بالأزهر) ـ أي العقيدة الإسلامية !!

أن نـدع حق العلم أو نفـرط في جنب الحق . فنسكت عمـا في هـذا الكتيب مما يستوجب النقد ، ورأينا حقاً علينا أن نلقي عليه نظرة عابرة لا نستوفي فيها نقد كل مـا جاء بـه مما هـو مخالف للعلم والعقـل والمنطق ، وبخـاصة فـإن الذين ألفوه أساتذة كبار يعملون في جامعة إسلامية كبيرة ، ويهم الناس جميعاً أن يعـرفوا مبلغ هؤلاء الأسـاتذة من العلم ، ومـدى بصرهم بـالنقد والبحث ، ولا سيما في مثل هـذا الأمر الخـطير الـذي تصدوا للكـلام فيه ، وهـو تاريـخ الحديث المحمدي ـ وقد فعلنا مثل ذلك من قبل عندما أمطنا اللثام عن حقيقة علم بعض أساتذة جامعة القاهرة (من الشيوخ) الذي ظهر في كتاب آخـر نشر باسم (أبو هريرة راوية الإسلام)[١] .

كـان مما وصـل إليـه علم وتحقيق هؤلاء الشيـوخ في مـوضـوع كتـابـة الحديث النبوي ، أن خرجوا على الناس برأي ابتدعوه من عنـد أنفسهـم ، لم يقـل بـه أحـد مـن قبل ! ذلـك أن النبي (ص) قد نهى عن كتـابة حـديثه في العهد المكي ! ولما انتقل إلى المدينة أباح كتابته ، فكتبه أصحابه ؛ وهاك ما جاء في كتيبهم هذا بنص حرفه : «**إن موضوع القرآن في هذه الفتـرة (أي في العهـد المكي) كان مـوضوعـاً محدداً : لقـد كـان جملة من القضـايـا تتصـل بالغيب ، الغيب الإلهي ، أو ـ بتعبير آخر ـ توضيح العقيدة :**

توحيداً ، ورسالة ، وبعثـاً . وكان أسلوب القـرآن في ذلك واضحـاً لا لبس فيه ، بيناً بياناً سافراً»[٢] أي لا يحتاج إلى بيان أو تفسيـر من النبي (ص) «**من أجل ذلك نهى رسول الله (ص) عن كتابـة حديثـه ، صلوات الله وسلامـه عليـه**»[٣] ، «**ولكن في فترة العهـد المدني تغيـر الوضـع**»[٤] أي بما نـزل من آيـات التشريـع وغيرهـا مما يحتـاج إلى بيان وشـرح ، «**من أجل ذلـك أبـاح الرسول (ص) كتابته بعـد أن كان قـد نهى عنها ، وبـدأ الصحابـة رضوان الله عليهم يكتبون**»[٥] .

---

(١) راجع ذلك في آخر هذا الكتاب .

(*) ما نقله الشيخ عن العروسي لم يكن في الطبعات القديمة من هذه الرسالة .

(٢) ص٣٤ . (٣) ص ٣٥ . (٤) ص ٣٨ . (٥) ص ٤٠ .

هذا ما انتهى إليه تحقيق شيوخنا في أمر كتابة الحديث . وهي مجازفة خطيرة لا تغتفر !! ينبذها العقل الصريح ويأباها النقل الصحيح ! ذلك بأنها تقضي حتماً بأن النبي (ص) قد ظل طوال العهد المكي صامتاً لا ينطق بكلمة واحدة ، لا في بيان ما ينزل من القرآن ، ولا في أي غرض من أغراض الرسالة مما يتصل بشؤون الناس وحياتهم ! وإذا تحدث بشيء ، فإنه لا يستحق أن يكتب عنه ، ولا يستأهل أن يؤثر من بعده ! وهذا ما لا يمكن تصوره أو تصديقه ، فضلاً عن التسليم به ، اللهم إلا إذا فقد الناس عقولهم ، وتجردوا من علمهم ، وأصبحوا أغبياء لا يفقهون !

ومن ذا الذي يتصور أو يصدق أو يسلم بأنه صلوات الله عليه قد قضى بمكة ثلاث عشرة سنة نزل عليه فيها أكثر من ثمانين سورة ، ولا يكون فيها شيء لا يحتاج إلى بيان أو إيضاح ، أو قول من الحق فيما يختلف الناس فيه !! هذا ـ وإن مما تدفعه بدائه العقول أن تخلو مجالس النبي (ص) التي كان يعقدها بمكة ليلاً ونهاراً مدى هذا الزمن الطويل من تعاليم وآداب وحكم وغير ذلك مما ينفع الناس في حياتهم ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم من أمورهم ! ومعلوم أن كل لفظة من ألفاظه التي ينطق بها إنما تنطوي على منافع وفوائد جليلة مما يجب حفظه والحرص عليه إن في حياته ، أو بعد مماته .

وأين الذين يستعلنون بهذا القول الفاسد والرأي العقيم مما أمر الله به رسوله غير مرة في القرآن الكريم ، أن يبين للناس ما نزل إليهم ويبين ما يختلفون فيه من مثل قوله تعالىٰ (سورة النحل ؛ الآية : ٤٤) : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ ، وقوله تعالىٰ (سورة النحل ؛ الآية : ٦٤) : ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلاَّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ فهل كان ذلك لما نزل بالمدينة فحسب ، ولم يكن لما نزل بمكة ؟ .

وإن في هاتين الآيتين وحدهما للردّ المفحم والجواب المسكت على هذا القول العجيب ـ ومن الغريب أنهما مكيتان جاءتا في سورة النحل ـ وهي مكية بالإجماع إلا بعض آيات في آخرها .

هذا وإن هذا الادعاء الباطل الذي أتى به شيوخنا من أن النبي (ص) قد أباح كتابة الحديث ، وكتبه أصحابه[1] (في العهد المدني) لا بد له من برهان على صحته ـ كما قال تعالى : ﴿**قل هاتوا برهانكم ، إن كنتم صادقين**﴾ .

وإن برهان هذا الادعاء أن يأتي مصداقه بالفعل الثابت لا بالكلام الذي لا حقيقة له ولا جدوى منه ! ذلك بأن يرى الناس بأعينهم ما كتب في العهد المدني ، ويقفوا على رصيده أو حصيده منشوراً عليهم لكي يتبعوه ، ويذروا غيره ! من مصادر الحديث الموجودة بين أيدي المسلمين ، وهي كثيرة لا عداد لها !

ومن وراء ذلك كله دليل قوي يثبت أن النهي قد جاء الأمر به وهو بالمدينة لا بمكة ، وهذا دليل لا يعقله إلا العالمون ، ذلك أن الحديث الذي حمل نهي النبي (ص) عن كتابة غير القرآن قد رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) واتبعه الصحابة جميعاً وعملوا به ـ هو أنصاري خزرجي مدني ، لا قرشي مكي[2] !! أفهمت يا مولانا ! أما الشطر الآخر من شطحة مولانا الشيخ الذي زعم فيه أن النبي (ص) قد أباح كتابة الحديث في العهد المدني فهذا لا ندفعه ولا نماري فيه ـ وكل ما نطلبه ، أنه لكي يتبين صحته ، ويبدو صوابه أن نرى كما قلنا مصداقه بالحس والعيان ، لا بالزعم والبهتان ، وذلك فيما كتب من الأحاديث في هذا العهد فليأتوا لنا به إن كانوا صادقين !

هذا هو البرهان الصحيح ـ وما عداه يكون لغواً لا خير فيه . ولا يُعَوَّل عليه .

---

(١) غير خاف أن الصحابة الذين سمعوا من النبي كان عددهم أكثر من مئة ألف ، وبديهي أن يكون لدى كل واحد منهم حديث أو حديثان أو ما هو أكثر من ذلك ، وكان النبي يحدث قوماً بما لم يحدث به غيرهم ، وكان يقع من الحوادث أمام قوم ما لم يشهده سواهم ، وقد تفرق هؤلاء الصحابة بين مختلف الأمصار فإذا كان جميع الكاتبين منهم قد كتبوا ما سمعوه من النبي ـ كما زعم الشيخ فيجب استيعاب ما كتبه كل صحابي والإتيان به كاملاً صحيحاً ، وإلا فإن هذا الزعم يصبح باطلاً ومفضوحاً .

(٢) هو من مشهوري الصحابة ولم يكن أحد منهم أفقه منه ، وكان يكثر من الحديث .

ومن المعلوم الذي لا ريب فيه أنه (ص) قد قضى بالمدينة عشرة أعوام كاملة أي نحو ٣٥٠٠ يوم فلو أنه صلوات الله عليه قد صدر عنه في كل يوم ثلاثة أحاديث فقط لجاءنا من ذلك مصحف ضخم يحتوي على أكثر من عشرة آلاف حديث تكون كلها ، لا ريب ، صحيحة متواترة لفظاً ومعنى ، ويكون هذا المقدار أو نصفه أجدى وأنفع للمسلمين من هذه السبعمائة ألف حديث التي قالوا : إنها رويت عن النبي (ص) وإن أبا زرعة قد حفظها ، ولرجع المسلمون كافة إليها في مشارق الأرض ومغاربها ولاعتمدوا المصحف الذي يضمها ليعرفوا منه الحديث النبوي ، كما اعتمدوا مصحف القرآن لمعرفة الكلام الإلهي ، ولاستغنوا به عن تلكم الكتب الضخمة الكثيرة العدد التي تحمل الأحاديث المروية وفيها الصحيح والموضوع وغير ذلك مما كان مدعاة للاختلاف بين المسلمين على مد العصور ، وسيظل قائماً إلى يوم الدين وبخاصة بين علماء الفقة الذين تفرقوا في الدين مذاهب وشيعاً ، ثم لاتخذ علماء النحو من الحديث أوثق مصدر لهم في الاستشهاد به على اللغة والنحو بعد كتاب الله وقبل كلام العرب ، بعد أن تجافوا عن الاستشهاد به لما ثبت لديهم ولدى غيرهم يقيناً أنه قد جاء على غير لفظه الذي نطق النبي به (ص) وإنما جاءت روايته (بالمعنى) ، ثم لكان قبل ذلك كله أعظم ثروة في البلاغة العربية لا يوجد مثلها في كلام العرب ، ولا نحصي ما وراء ذلك من المنافع والفوائد ـ إذا كان الحديث قد جاء مكتوباً كالقرآن ـ كما زعموا .

نعم هذا ما يجب على شيوخنا أن يؤدوه لكي يصدق الناس ما ادعوه ، وأُمُّ المنطق لم تلد غير ذلك !

وإنا لنتحداهم في ذلك فإن أتوا بهذا المصحف كانوا علماء محققين ، وإن لم يفعلوا كانوا على نقيض ذلك جهلاء غير عالمين .

ولم يرد مشايخنا عفا الله عنهم أن يقفوا عند هذه الدعوى الباطلة بل لجوا في الادعاء الباطل فتنبل زعيمهم الشيخ عبد الحليم وازدهى وقال في كتيبه ما نصه :

«ولقد وقر في أذهان الناس ، بصورة راسخة أن السنة لم تدون إلا في القرن الثاني ، ومن أجل اقتلاع هذه الفكرة الخاطئة أطلنا في نقل بعض النصوص التي تثبت الحقيقة ! وهي أن السنة دونت في القرن الأول في عهد الرسول (ص) وفي عهد الصحابة الأجلاء»[1]

وإن هذه النصوص التي يقول الشيخ عبد الحليم إنه أطال في نقلها بغير فهم ولا إدراك قد مر عليها العلماء المحققون وعرفوها ولكنهم لم يعرجوا عليها ، ولم يلتفتوا إليها ، ذلك بأن أمر النهي عن كتابة الحديث يلقفها كلها ، لأنه قاطع ثابت لا يستطيع أحد أن يستريب فيه وآية ذلك أن الصحابة قد اتبعوه (فعلاً) وانتهوا عن الكتابة انتهاء مطلقاً ، إن بمكة وإن بالمدينة[2] ، وكل ما جاء عنهم من حديث عن رسول الله إنما كان من طريق الرواية لا من طريق الكتابة وجرى الأمر على ذلك إلى أن جاء عهد التدوين[3] ـ وكان ذلك في القرن الثاني ثم تطور فيما يلي هذا القرن من القرون ، وانعقد الإجماع على أن أول من أمر بتدوين الحديث هو عمر بن عبد العزيز الذي تولى سنة ٩٩ وأنه كلف بذلك أبا بكر بن حزم الأنصاري المتوفى سنة ١٢٠ ، ولكن لم

---

(١) ص ٤٨ .

(٢) لو أنهم درسوا هذا الموضوع حق الدرس كما يدرس العلماء لعرفوا كيف اتبع الصحابة جميعاً ما أمر به النبي (ص) من عدم كتابة حديثه ولوقفوا على ما فعله عمر بن الخطاب خاصة من عدوله عن تدوين الحديث بعد أن أراد أن يدونه ، ومما قاله عمر في ذلك : «إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم ، كتبوا كتباً فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله تعالىٰ وإني والله لا ألبس ـ وفي رواية ـ لا أشوب ـ كتاب الله بشيء أبداً (ص٦٤ ج١ جامع بيان العلم وفضله) لحافظ المغرب ابن عبد البر وص ٣/١/٢٠٦ طبقات ابن سعد وكتب إلى الأمصار : من كان عنده منها شيء فليمحه (ص٦٥ ج ١ جامع بيان العلم وفضله) ويراجع كتابنا الأضواء في طبعته الثالثة لأنه بحث هذا الأمر وغيره بحثاً مستوعباً .

(٣) جعلوا للرواية أقساماً ثمانية مبينة في كتبهم ومن هذه الأقسام (الوجادة) وهي أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه أو لقيه ولم يسمع منه ، ذلك الذي وجده بخطه ، وقد اختلف في العمل بالوجادة فقال بعضهم لا يجوز ، وقال بعضهم يجوز ، ولهم في ذلك كلام طويل يرجع إليه في مظانه .

يأت خبر عن الأنصاري هذا لا صحيح ولا مكذوب بأنه ألف كتاباً في هذا التدوين ، وقد ذكروا أن أول كتاب دون في الحديث هو موطأ مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ وهذا الكتاب ، وكل ما جاء بعده من كتب الحديث ، قد أتانا من طريق الرواية لا من طريق الكتابة عن النبي (ص) . والمقطوع به الذي لا يختلف عليه إثنان ولا يحتاج في إثباته إلى برهان ، أنه لم يدون كتاب في الحديث في القرن الأول . كل ذلك إنما ينسخ بل ينسف ما سماه هذا الشيخ نصوصاً ، ويقضي عليها قضاء مبرماً ، وإنا لنتحدى شيوخاً مرة ثانية أن يثبتوا ـ إن استطاعوا ـ **أن كتاباً واحداً من كتب الحديث كلها ما سموه صحيحاً وما سموه سنناً قد جاء من طريق الكتابة عن النبي (ص) أو عن صحابته في القرن الأول أو غيره من القرون حتى تصدق دعاواهم الباطلة !**

هذا مثل واحد مما بدا في هذا الكتيب الهزيل من علم شيوخنا وتحقيقهم في أمر كتابة الحديث ، وهو وحده آية تدل على المجازفة الفاضحة في الظهور بهذه البدعة التي ابتدعوها في أمر كتابة الحديث والتي لم يقل بها من قبل أحد غيرهم .

وهاك مثلاً آخر في نقدهم وتحقيقهم ، نعزز به ما بيناه من حقيقة علمهم :

ذلك أني كنت أرتقب من أمثالهم أن يكون نقدهم نابعاً من فيض علمهم ، وعصير أفكارهم ولكنهم واأسفا قد كشفوا عن حقيقة أنفسهم بأنهم فقراء معدمون حتى في النقد ، فقد اضطروا إلى أن يستجدوا غيرهم عندما أرادوا أن ينتقدوا كتابنا الأضواء وأخذوا يتكففون الناس حتى وقعوا على رجل شامي اسمه مصطفى السباعي ، وكان هذا الرجل قد انتقد كتابنا الأضواء عند ظهوره ولضغن أموي[1] يكنه في صدره تجنى علينا في نقده ، وتسفل في عباراته ، إلى ما ليس بعده غاية في القذف والسباب ، وكتابه ينطق عليه بذلك حتى استوجب مقت الناس وسخطهم فانتقدوه في الصحف على ما بدا

(١) يشابه هذا الضغن ما بدا من الأستاذ دروزة الذي تكلمنا عنه في أول هذه المقدمة .

منه [1] ، ومن تجنيه أن تشبث بهنات مطبعية وقعت في الكتاب مما يقع مثله في كل مطبوع بالعربية ، وعلق عليها بعبارات لا يصدر مثلها إلا من الجهلاء ، فجاء شيوخنا الأفاضل وتلقفوا هذه الهنات وما علق عليها بغير أن ينظروا في حقيقتها ، ثم خرجوا على الناس فخورين بها ، أن قدموا للعلم والنقد بحثاً ليس له من قبل نظير !

ولو أنهم كانوا على شيء من العلم والفهم ، واصطنعوا أناة العقلاء ، وتحقيق العلماء ، وأصول النقد العلمي ، والتفتوا وراءهم قليلاً ، لوجدوا أن هذه الهنات التي استلبوها من هذا السباعي ، ثم هللوا بها وكبروا ، وقذفونا من أجلها بما قذفوا ، وعلى أساسها بنوا حكمهم علينا (بالفسق) قد صححت هي وغيرها من سائر الهنات التي وقعت في الطبعة الأولى ، لا لأن السباعي هذا قد لاحظها ، ولكن لأننا قد عثرنا عليها لما قرأنا الكتاب بعد طبعه ! ولم يكن هذا التصحيح مرة واحدة بل مرتين اثنتين في طبعتين متواليتين صدرتا من كتاب (شيخ المضيرة) إحداهما في سنة ١٩٦٣ والأخرى في سنة ١٩٦٤ أي قبل ظهور كتيب ، مشايخنا ببضع سنين !

---

(١) لم نستطع أن نرد على هذا السباب لأننا لا نحسن السفاهة ، ولكي لا نجاريه في خلقه فنكون معه سواء فيه ، ولما كان الله سبحانه ، يدافع عن الذين آمنوا ؛ فقد قيض الدكتورة بنت الشاطىء لتتولى الرد عليه عنا ، وقد وفته حسابه ، ولطمته لطمات أليمة ، وذلك في مقال طويل نشرته بجريدة الأهرام الصادرة في ١٩٦١/٧/٢٨ ومما جاء في مقدمة هذا المقال الممتع :

«إن الذي أومن به أن أسلوب القذف والسباب تأباه الخصومة الفكرية التي لا تجيز غير سلاح الفكرة والمنطق والدليل ، ثم هو لا يغني عن الحق شيئاً ، بل لعله أجدر بأن يضعف مركزنا بما يثير من نفور القارىء الواعي وما يلقي في روعه من وهن مركزنا ، بحيث لا نملك إلا أن نستعين على خصومنا بالشتائم واللعنات إلخ» والمقال كله على هذا الغرار اللاذع الأليم . . .

هذا هو السباعي وسفاهته الذي جاء شيوخنا ـ بعد بضع سنين ـ ليقلدوه وليتلقوا عنه ، وليستعينوا بسبابه وقذفه وعلمه علينا ، فما أشبه الليلة بالبارحة ، وحقاً ما قالوا : إن الطيور على أشباهها تقع .

وهذه والله وحدها لآية أخرى بينة تدل دلالة واضحة على أنهم قوم لا يفقهون من أمر النقد شيئاً .

ولو أن مشايخنا كانوا على شيء من معرفة أصول الدين وحقائق العلم لنأوا بأنفسهم عن الكلام في هذه الهنات لأنها في نفسها ـ حتى لو بقيت بغير تصحيح لا تمس الدين ولا العلم في شيء . . وليس في إتيانها أي وزر أو ذنب .

ومن التهم التي نقلها شيوخنا عن شيخهم السباعي هذا بغير فهم ولا إدراك ، أننا بكتابنا الأضواء إنما نخدم المستشرقين ، بما نطلعهم على خفايا الدين التي لا يعرفها أحد من غير المسلمين ! كأنهم يستعلنون بذلك أن الدين الإسلامي وتاريخه وكتبه ، كل ذلك محجوب علمه عمن ليسوا بمسلمين ، وأن هؤلاء المستشرقين كانوا عن ذلك كله من الغافلين الجاهلين ، حتى أتاهم كتابنا فكشف لهم الغطاء عن المكنون من أسرارنا ، والمخفي من ديننا ، فعرفوا منه ما لم يكونوا يعرفون ! وهذا والله هو الجهل والغباء بعينه .

ولقد وقع في هذه الجهالة أخيراً الشيخ محمد أبو شهبة علامة الأزهر في كتابه الذي سنتكلم عنه فيما بعد ، فقال مثل قولهم !

ألا فليعلم شيوخنا ـ سلمت عقولهم ـ أن المستشرقين إنما يعرفون من أمر الإسلام وتاريخه ما لو عرفتم أنتم بعضه لكنتم من العلماء المحققين .

على أن هؤلاء المستشرقين الذين تنحطون عليهم وترمونهم دائماً بأنهم يطعنون في ديننا ويشوهون ديننا وعلمنا هم في الحقيقة لم يتجنوا علينا ولم يفتروا شيئاً من عند أنفسهم ، وإنما وجدوا مادة خصبة من الخرافات والأوهام قد انبثت في ديننا ونسب بعضها ـ وأسفاه ـ إلى النبي (ص) فتشبثوا بها وتسلقوا عليها وانتقدونا من أجلها ، ولا تثريب عليهم في ذلك . لأنهم قوم يفهمون بعقول راجحة وأذهان مستنيرة وعلوم واسعة وأفكار متحررة لا يكبلهم شيء من تقليد أو عبادة للأسلاف ، ولا يعرفون عبارة (قال المصنف رحمه

الله !) من أجل ذلك لا تلوموهم ولوموا أنفسكم ، ثم اجعلوا ردكم عليهم وصدكم لهجومهم أن تعمدوا إلى دينكم فتمحصوه وتطهروه من الشوائب التي لحقت به حتى يعود كما جاء على لسان محمد (ص) ديناً قيماً صافياً يتبين منه لأهل هذا العصر ومن يأتي بعدهم إلى يوم الدين **أنه دين العقل والعلم والحرية والفكر** .

هذا هو ما يجب عليكم إن كنتم تستطيعون ، أما طريقتكم هذه التي تتبعونها من الطعن فيهم في كل مناسبة ونبز كل من يتكلم بكلمة الحق أنه يساعدهم فهذا ليس بسبيل العلماء المحققين الذين يعرفون قدر أنفسهم ، ولو أنكم قد فهمتم كتابنا كما يجب أن يفهمه العلماء المحققون لتبين لكم أن الأمر فيه بعكس ما تظنون ، ذلك أن من أغراضه الواضحة أنه يصحح للمستشرقين وغير المستشرقين من المسلمين ما قد يوجد في بعض الأحاديث من شبهات أو مشكلات فيحيل وزرها على الذين أتوا بها من الرواة وينزه النبي (ص) عن قولها ، مثل حديث : أين تذهب الشمس بعد الغروب ، الذي قالوا فيه : إن إسناده جيد ، ذلك الذي يضحك الأطفال لأنه يخالف دليل العلم وشاهد الحس ؛ إذ يفيد أن الشمس عندما تغرب تصعد إلى عرش الرحمٰن فتسجد تحته ثم تستأذن ربها في الطلوع في اليوم الثاني فلا يؤذن لها ، وتظل تستأذن حتى يجيئها الإذن فيجرها سبعون ألف ملك من المغرب إلى المشرق لكي تطلع على الناس في اليوم الثاني ! ومثل حديث خلق الله التربة يوم السبت الذي صرح فيه أبو هريرة بأنه تلقاه عن النبي (ص) ويده في يده !! ثم تبين للعلماء أنه قد تلقاه عن كعب الأحبار اليهودي ـ وهذا الحديث مخالف لنص القرآن الكريم .

والأمثلة على ذلك كثيرة بيناها في كتابنا هذا وفي كتاب الأضواء .

ومثل آخر من علمهم !!

ونسوق هنا مثلاً آخر يفصح عن حقيقة دار الحديث هذه التي أنشأوها ، ويثبت أنه ليس فيها عالم بالحديث بصير بأمره ، يمكنه أن يميز بين الصحيح

منه وغير الصحيح ؛ بل كله عند العرب صابون !!

لقد أقحموا في كتيبهم هذا بغير مناسبة[1] حديثاً رواه البخاري عن أبي هريرة ، واعتبروه صحيحاً ، ما دام البخاري قد رواه ! وهذا نصه : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه .

ولقد كان على الشيخ عبد الحليم ـ خاصة ـ وجماعة دار الحديث عامة أن يرجعوا ـ قبل أن يأخذوا بهذا الحديث إلى ما قاله العلماء فيه ، كالذهبي وابن رجب والخطابي وما ذكره أبو نعيم في الحلية من أنه منقول عن وهب بن منبه اليهودي ، وكان أبو هريرة راوي الحديث تلميذاً لكهان اليهود يتلقى عنهم ويبث ما يتلقاه بين الناس على أنه من قول النبي (ص) .

حقّاً كان على مشايخنا أن يفعلوا ذلك ، إن كانوا علماء حقّاً ، ولكنهم لم يفعلوا لجهلهم بأمر الحديث وما قاله العلماء الأجلاء فيه .

قيمة كتيب هذه الجماعة

هذا بعض ما لاحظناه على كتيب هذه الجماعة ، وإذا كان الشيخ عبد الحليم قد قال إن ما فيه هو من ثمار وتوجيه وبركات هذه الدار التي أنشأوها لخدمة الحديث وتحقيق أمره ، وإنهم قد عرضوا هذه الباكورة ، على الناس ليتذوقوها ! فتبين لهم أن الفساد قد دب فيها ـ فالويل إذن للعلم وأهله مما تخرجه هذه الدار بعد ذلك من ثمار !

ولقد كان الأجدر بمشايخنا هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم ويحفظوا للعلم

---

(١) لعل الشيخ عبد الحليم قد أتى بهذا الحديث في كتيبه لكي يتقي به معاداة المبغضين له ، واعتراض المعترضين عليه ، ـ ومن قولهم في ذلك : من اعترض انطرد ـ أي من اعترض على مثل الشيخ عبدالحليم في شيء من أقواله أو أفعاله فإنه (ينطرد) من رحمة الله والعياذ بالله .

كرامته حتى لا يتورطوا في معالجة أمر هو من وراء علمهم ، وفوق طاقتهم ، ومن أجل ذلك جاء كتيبهم كغيره وليس فيه دراسة علمية تظهر خطأ أو تصحح غلطاً ، أو تعدل رأياً ، وكذلك ليس فيه نقد موضوعي يقوم على المنهج العلمي الحديث ـ وإنما يحمل مثل ما يحمله غيره من السب والشتم ، ورمي الناس بالتهم بغير رادع من دين ، ولا زاجر من خلق كريم ، مما أصبح بين الناس ممقوتاً مرذولاً ، لا يستسيغه عالم ، ولا يرضى به عاقل .

إن النقد العلمي الصحيح إنما يقوم على قرع الحجة بالحجة ، ودفع الدليل بالدليل ، وأن يكون ذلك في أسلوب عف وعبارة مهذبة ، أما ما عدا ذلك فإنه يعتبر هراء وهذياناً ، يرتد على صاحبه بالمقت ويُرمى من أجله بالجهل والسفاهة والغباء .

ولتجدن الذين قابلونا بنقدهم ، ليس فيهم عالم محقق ، ولا بينهم ناقد بصير ، وليس ذلك بغريب عليهم لأنهم جميعاً قد جمعوا بين التقليد الديني ، والجمود الفكري ، والحشو الذهني ، ومثل هؤلاء جميعاً يجب أن يقابلوا بما يستحقون من الإهمال والإعراض ، ومن أجل ذلك تركناهم في جهلهم يعمهون .

أما المقلدون فحسبك ما ذكره حافظ المغرب ابن عبد البر في وصفهم في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) إذ يقول : قال عبيدالله بن المعتز : **لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد**[1] وقال هو وغيره من كبار الأئمة : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن العلم معرفة الحق بدليله ؛ وقال ابن القيم تعليقاً على هذا القول : قد تضمن هذان الإجماعان اطراح المتعصب بالهوى ، والمقلد الأعمى من زمرة العلماء وأسقطوهما باستكمال من فوقهما الفروض من وراثة الأنبياء .

وقال الأصفهاني في كتابه (أطباق الذهب)[2] مثل المقلد بين يدي

(١) ص ١١٤ و١١٥ ج ٢ .
(٢) المقالة ٣٦ ص ٣٦ .

المحقق ، مثل الضرير بين يدي البصير المحدق ، ومثل الحكيم والحشوي كالميتة والمشوي ، أقنعه رواية الرواية عن در الدراية ، وما أشقى جهالاً قلدوا آباءهم فهم على آثارهم مقتدون ، أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون !

وقال العلماء : المقلدون للمذاهب[1] المتعصبون لها لا يعدون من العلماء حقيقة وإن عدوا عرفاً .

وكان السلف يعبرون عن المقلد بالجاهل مهما اشتغل بالعلم ، لأن العالم من كان مستقلاً في فهمه للعلم واستدلاله على مسائله ، وسئل بعض العارفين عن معنى المذهب ، فأجاب أن معناه دين مبدل[2] .

والحشويون سموا بذلك لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها ، في الأحاديث المروية عن رسول الله .

وهنا نقف عن المضي في الكلام عن هذا الكتيب وبحسبنا ما قدمناه في نقده ، وهو كافٍ في بيان قيمته العلمية ، وفي تعريف الناس بمبلغ الذين ألفوه من العلم ، ومقدار حظهم في النقد والفهم ، ثم ندع للعلماء المحققين بعد ذلك الحكم فيما بيننا وبينهم ، وغفر الله لنا ولهم أجمعين .

كتاب الازهر

وبعد أن فرغنا من الكلام عن كتيب دار الحديث وزعيمها الشيخ عبد الحليم محمود نقف وقفة قصيرة مع كتاب الأزهر الذي ظهر أخيراً في نقد كتابنا .

كان هذا الكتاب آخر الكتب التي تصدت لنقد كتابنا (الأضواء) وقد

---

(١) مما لا يخفى على أحد أن كل شيوخ الأزهر مقلدون يدرسون الفقه على المذاهب الأربعة وقد قرروا أن باب الاجتهاد قد أقفل بعد هؤلاء الأربعة ولا يجوز لأحد فتحه مهما أوتي من العلم ومن أجل ذلك لا نجد بين هؤلاء الشيوخ مجتهداً واحداً .

(٢) ص ١٠ من مختصر كتاب المؤمل للرد على الأمر الأول للإمام أبي شامة .

جعلوا عنوانه «دفاع عن السنة المحمدية من شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين» ومؤلف هذا الكتاب هو (الدكتور)[1] الشيخ محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين - وهذا الكتاب يعتبر ولا ريب كتاب الأزهر (الرسمي) للرد على كتابنا ، وأن ما عداه مما كتبه شيوخ الأزهر من قبل في هذا النقد هو (براني غير مدموغ !!) .

ومن أجل ذلك نرى الأزهر قد اهتم به وأعد له كل ما استطاع من قوة للدفاع عن السنة (كما زعموا) ثم عهدوا بالقيادة في هذه الحملة إلى بطل الأزهر الشيخ محمد أبو شهبة لكي يتولى الدفاع ضد العدو المغير على السنة وهو : محمود أبو رية بكتابه الأضواء . بخ . بخ !

ونحن قبل كل شيء نرحب والله بذلك ترحيباً شديداً ونشكر الله شكراً جزيلاً على ما أتانا من فضله ، وأن نرى الأزهر يقف بجحافله الجرارة لمحاربتنا ، وأن ينازلنا وحدنا في ميدان النضال دون سوانا .

ولو أنت قرأت كتاب الأزهر هذا بتدبر لوجدته - وكأنه مرآة مصقولة تراءى على صفحاتها علم الأزهر وتحقيقه ونقده ، وما أوتي شيوخه من عقل وفطنة ، ويصور أصدق تصوير مناهجه في البحث والدرس والنقد وما إلى ذلك مما اختص به وعرف عنه منذ إنشائه ، ويكشف عن الأسلوب الغالب على كثير من الشيوخ في الجدل والمناقشة العلمية ذلك الذي يقوم على السب والشتم والطعن في دين الغير[2] مما يحسبونه من أسباب التفوق

(١) كلهم ما شاء الله دكاترة ، وربنا يزيد ويبارك ! ورحم الله العقاد فيما صرح به لجماعة طلبوا منه أن يتقدم للجامعة المصرية لكي ينال منها درجة الدكتوراه ، لأنه عاطل منها ! فقال كلمته المشهورة : قولوا لي قبل كل شيء من هم هؤلاء الذين سيمتحنونني ثم يمنحونني هذه الدرجة لكي أعرفهم لأني لا أجد أمامي من يستحق ذلك !!

(٢) كنت ذات يوم مع الشيخ محمد أبو زهرة في كلية الحقوق وجاء ذكر طريقة الأزهر في المناقشة ، وكان قد أفاض علينا ذنوباً من هجائه المعروف فسألته : لم يتخذ الأزهر هذه الطريقة ؟ فقال : إن هذه هي طريقتنا ولا يمكن أن نتحول عنها فهنأته عليها وسكت !

والغلب . وفي الكتاب غير ذلك أمور كثيرة يجب أن تعرف عن هذا المعهد العتيق تولى بيانها بقلمه السيال عالم الأزهر ومدرهه الشيخ أبو شهبة .

ولخطر هذا الكتاب عند الأزهر وأنه لا يدانيه في المنزلة أي كتاب غيره تراهم قد عنوا به عناية فائقة واهتموا به اهتماماً شديداً فطبعوه على نفقة الأزهر الخاصة وهي ليست هينة ولا قليلة وأخرجوا منه عدة آلاف من النسخ وُزعت كلها بالمجان على المعاهد الدينية في بلادنا وغير بلادنا وعلى كثير من العلماء والوزراء والكبراء ـ وكأنهم يباهون العالم كله به !

ولعل الذين اهتموا بهذا الكتاب ، وبذلوا ما بذلوا في سبيل إخراجه ظنوا أنهم قد بلغوا به ما يريدون ، وأنهم قد أحسنوا الدفاع عن السنة ، وأن المغيرين عليها الذين يقصدونهم ، قد لاذوا بالفرار ، وولوا الأدبار !! وأن كتابهم قد ظهر على كتابنا ظهور الشمس في رائعة النهار !

إن كان هذا ظنهم فقد أخطأوا خطأ كبيراً ، ذلك بأن سنة الله قد مضت بأن الحق لا يدحض بالباطل ، وأن نور العلم لا يطفأ بالجهل ، وأستغفر الله من أن أصف علم الأزهر بالجهل !!

فكتابي ـ بحمد الله ـ الذي قام على دعائم قوية من البراهين الساطعة ، والحجج الدامغة ، رابض في مكانه كالصخرة العاتية ، لا يؤثر فيه ما يظهر من جهالات الجامدين ولا ينال منه ما يبدو من تلفيقات الحشويين ـ ويعتز أيما اعتزاز ، أنه قد أصبح بغير نزاع بين العلماء الفهماء ، هو الكتاب الأول والمصدر الوحيد الذي يؤرخ لحياة الحديث المحمدي أصدق تأريخ من لدن روايته ، بعد أن نهى النبي عن كتابته ، إلى أن خرج إلى الناس مدوناً في كتبه ، وهذه الحقيقة قد تقررت ورسخت ، فإن يكفر بها بعض المعاندين فقد وكل الله بها علماء أجلاء في جميع الأقطار الإسلامية ـ ليسوا بها بكافرين . وقد بدا ذلك جليّاً في أنهم قد قدروا كتابنا حق قدره ، ووفوه من جميل التقريظ[1] وحسن الثناء حقه وهذا من توفيق الله وفضله .

(١) نشرنا في الطبعة الثانية من كتابنا (الأضواء) طائفة من تقاريظ كبار علماء أفغانستان =

أما نحن فسنظل بعون الله وحوله ثابتين في موقفنا لا يزعجنا أي صوت يرتفع بالطعن فينا ، مهما كان ناعقه ! وإذا كانوا قد توهموا أن كتابهم متى ظهر باسم الأزهر ، واكتسب الصفة الرسمية الأزهرية فإن ذلك سيكون مدعاة لأن يتزاحم الناس على ورده ، ويهيموا شوقاً إلى إحرازه ، فقد فاتهم أن تقدير الناس لما كان يصدر عن الأزهر من كتب أو مطبوعات ، قد ذهبت أيامه ، وأن ما كان لشيوخه الكبار من احترام موروث قد تضاءل ، ذلك بأن أكثرهم قد هانوا على الناس . .

ومرد ذلك إلى أن الجيل الجديد قد بلغ درجة من السمو العلمي ، والنضج الفكري والعقلي بحيث أصبح وهو ينفر من الأوهام ولا يهتم إلا بالحقائق ولا يسعى إلا إلى معرفة العلم النافع ، ينبذ كل ما عدا ذلك مهما كان ومهما كان قائله ، وآية ذلك ظاهرة لا تحتاج إلى بيان ، وهذه الآية تتجلى في مجلة (الأزهر) وهي التي تصور ولا ريب علم الأزهر وأدبه وفكره أصدق تصوير ، وتبين ما بلغ إليه شيوخه في مضمار الثقافة العربية الإسلامية

= والعراق والشام ومنها خطاب من أحد علماء زنجبار جاء فيه هذه العبارة «كدت أجن طرباً لظهور مثل هذا الكتاب الذي يجب على كل مسلم شفيق على دينه أن يقتني نسخة منه» ومثل هذه العبارة ما سمعته بأذني من العالم المحقق الأستاذ إسماعيل مظهر رحمه الله ، فقد قابلني ذات يوم في الطريق وقال لي هذه العبارة بنصها (كتابك مجنني) وكتب عنه كلمة رائعة في جريدة الأخبار ختمها بقوله : «وفي القرن العشرين - عصر النور والعلم الذي حضنا على الاستزادة منه وطلبه ولو بالصين - ينبغي لكل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب ، ويطيل التأمل في حقائقه ليعرف أين هو من دينه ، دين العقل والمنطق وحرية التفكير» . وممن قرظوا كتابي الدكتور طه حسين فقد نشر عنه مقالا نفيساً في جريدة الجمهورية ذكر فيها أنه قرأ كتابنا مرتين وكتب على رأس هذا المقال هذه العبارة . «جهد وعبء ثقيل لا يقوم به في هذه الأيام إلا القليلون ، وختم مقاله ببيت بشار وهو :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وهذا البيت الحكيم - لا نفتأ نردده فإنه ينطق عن حقيقة أمرنا من الذين يتلقوننا كل يوم بقذائف جهالاتهم وشتائمهم .

في هذا العصر أجلي بيان ، والتي كانوا قد جلبوا لها كاتباً كبيراً مشهوراً[1] لكي يرفع من شأنها ، ويجذب القراء إليها ـ هذه المجلة كان الظن بها ـ بعد كل ذلك ـ أن تكون هي المجلة الإسلامية الوحيدة بين مشارق الأرض ومغاربها ، وأنها ستكون أوسع سائر المجلات بينها انتشاراً ! ترى ماذا هو شأنها الآن ؟؟

لو أنك اختبرت أمرها وعرفت مكانها بين سائر المجلات العربية والإسلامية التي تصدر في مصر خاصة وفي غيرها من الأقطار عامة لرثيت لها ، ولهالك ما تجد من حالها ، إذ ترى أنها أقل المجلات رواجاً وأندرها ذيوعاً ، على رغم رخص ثمنها ، ولولا بقية من قراء رئيس تحريرها القدماء في مجلاته لما وجدت لها اليوم بين الناس قارئاً ، وحسبنا ذلك دليلاً على قيمة ما يظهر من الأزهر للناس من كتب أو مطبوعات ؛ ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه .

هذا ولا يفوتنا قبل أن ننتهي من الكلام عن كتاب الأزهر أن نذكر أن الشيخ أبو شهبة هذا كان من أوائل الذين انتقدوا كتابنا (الأضواء) عند ظهوره في سنة ١٩٥٨ وكان ذلك بمجلة الأزهر وكان يشاركه في هذا النقد محب الدين الخطيب وكان يومئذٍ رئيساً لتحرير هذه المجلة ، ففضحنا علمهما ، وأظهرنا للناس جهلهما[2] ، هما وغيرهما من الذين انتقدوا معهم كتابنا وذلك في كتاب طبعناه يومئذٍ ووجهنا الكلام فيه إلى (مشيخة الأزهر) وإلى المراقبة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ، وإلى العلماء والمفكرين ثم وزعناه على

---

(١) هو الأستاذ أحمد حسن الزيات وقد توفي رحمه الله في ١٩٦٨/٦/١١ رحمه الله رحمة واسعة .

(٢) كان ردنا هذا من أسباب إقصاء محب الدين الخطيب عن رياسة تحرير مجلة الأزهر لما تبين من جهله وتلفيقه في علمه وقد تميز هو الآخر من الغيظ فأخذ يؤلب الناس ويحرضهم على نقد كتابنا في كتب يطبعها بمطبعته لينتفع بأجر طبعها ، وقد حسب هذا المغرور أن ذلك ينال منا ، ولكنا بما نعرف من تاريخه المشهور بين المطلعين عليه لم نأبه له ولا حسبنا له حساباً وتركناه يحترق بنار غيظه .

كثير من العلماء وقادة الفكر ، ومن أجل ذلك تمزق قلب الشيخ غيظاً منا ، وامتلأ ضغناً علينا وأصبح لا يفتأ يرمينا بين آن وآخر بترهاته في مقالات ينشرها في مختلف المجلات لا يني في ذلك ولا يفتر ! وكنت أعجب لذلك وأخجل ثم أقول : ما وراء ذلك كله ؟ وقد بدا ما أخفاه في نفسه : ذلك أن ضغنه قد انتهى به إلى أن يجمع كل ما سوده قلمه في مدى عشر سنين كاملة مما حسبه نقداً وهو ليس من النقد في شيء ، وأن يسوي منه كتاباً لم يلبث أن فزع به إلى رؤسائه مهولاً لهم في الأمر ، واستصرخهم بأن يدركوا السنة المحمدية مما يراد بها ، ويكاد لها ، وصور لهم كتابنا الأضواء في صورة مخيفة مروعة فاعتراهم الخوف ، ورأوا أن يستنصروا علماء الأقطار الإسلامية في أمر هذا الخطر الداهم على السنة ، فعرضوا الأمر على مجمع البحوث الإسلامية[1] الذي يتألف من مئة عالم من أربعين دولة إسلامية ، وبعد أن بحثوا الأمر من جميع نواحيه اتفق رأيهم على طبع كتاب الشيخ أبو شهبة على نفقة الأزهر لأنه بزعمهم هو الذي يستطيع أن يدفع عن السنة النبوية غوائل أعدائها الذين انقضوا عليها ، وكذلك طبع الكتاب .

أصبح الامر قضية بيننا وبين الازهر

وإني بعد ذلك كله لأستعلن بهذه الصيحة الصريحة وأرسلها تدوي بين جميع الأرجاء ، أن الأزهر قد وضع كتابه وسماه (دفاع عن السنة) ليدفع به هجمات الطاعنين فيها ، وجعل كتابي هو وحده الطاعن في السنة مع

---

(١) نشرت جريدة الأخبار المصرية في عددها المؤرخ ١٩٦٦/٧/٢٠ «أن أكثر من مئة عالم من ٤٠ دولة سيجتمعون في القاهرة خلال الشهر القادم بدعوة من (مجمع البحوث الإسلامية ويرأس المؤتمر شيخ الأزهر ـ وسيكون في جدول أعمال المؤتمر ـ «**مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية والرد على مثيري الشبهات حول حجيتها أو رجالها وسندها والحديث وقيمته العلمية والدينية**» وقد علمنا أن الدكتور محمود حب الله أمين هذا المجمع كان أشد أعضاء المجمع حماسة لطبع كتاب الأزهر ـ وقالوا : إن ذلك قد جاء من قوة إيمانه وشدة غيرته على السنة ، ولأنه من كبار علمائها وله مؤلفات ومواقف عديدة في الذب عنها وبيان حقيقتها !

المستشرقين والذي يجب محاربته والقضاء عليه .

وإني في تواضع شديد أقول : إن كتابي هذا إنما وضعته في الحقيقة ليكون دفاعاً عن الحديث المحمدي مما ناله بفعل أعدائه وأوليائه على السواء ، وما بذلت ما بذلت من جهد ونصَب سنين طويلة - في سبيل تأليفه إلا من أجل هذه الغاية البعيدة - **وعلى ذلك أصبح الأمر بيني وبين الأزهر قضية تحتاج إلى تحكيم قضاة عادلين ، ليقضوا فيها بحكمهم النزيه .**

وتلقاء ذلك رأيت من الواجب عليّ أن أسارع إلى وضع كتابي هذا بين أيدي جميع العلماء المحققين وقادة الفكر النابهين ذوي الرأي السديد ، والعقل الرشيد ، الذين نزعوا عن أعناقهم أغلال الجمود ، وخلصوا أيديهم وأرجلهم من قيوده الثقيلة مصريين وغير مصريين ، ليدرسوه مع كتاب الأزهر ويوازنوا بينهما ثم يصدروا فيهما حكماً قاطعاً يتبين منه قيمة كل كتاب منهما ، وأيهما هو الأحق بالدفاع عن السنة ، والأجدر بالقيام بهذا العبء الثقيل ، ثم أيهما الذي يخدم الحديث خدمة صحيحة ويحرص عليه ويبين حقيقة ما بأيدي الناس منه أو غير ذلك : أهو كتاب الأزهر ! أم هو كتاب الأضواء

على أن لا يكون بين القضاة في هذه القضية شيخ أزهري ، حتى تتحقق النزاهة ويصدر الحكم عدلاً . وفي بلادنا وغير بلادنا من العلماء الأجلاء من غير هؤلاء الشيوخ من يتولون هذه الحكومة بعدل وعلم ونزاهة .

وإني لراض كل الرضا ومطمئن غاية الاطمئنان بما يصدر في ذلك من حكم الحاكمين سواء أكان عليّ هذا الحكم أم لي !

ولو أن هذا الكتاب قد خرج باسم الشيخ أبو شهبة ولم يكن باسم الأزهر ، لأهملنا أمره ولنبذناه ظهريّاً كما فعلنا بغيره من سائر الكتب التي صدرت قبله في نقد كتابنا ، ذلك بأنه لا يمتاز منها بشيء ، ولأن مؤلفه لا فرق بينه وبين من سبقوه في النقد لا في العلم ولا في الفهم ، فهم جميعاً والحمد لله سواسية ، ونحن نعرفهم على حقيقتهم ، ولا ينبئك مثل خبير .

ونختم هذه المقدمة بكلمة نبين فيها شيئاً مما كيد لكتابنا .

إن هـذا الكتاب ـ الـذي قامت قيـامتهم عليه ، واعتـوروه بالنقـد سنين عديدة من كل نواحيه ، وهو كتاب الأضواء قد كتب الله له النجاح والرواج بما لم نكن نحتسب ، فبعونه تعالىٰ نفدت طبعته الأولى في زمن وجيز ، ثم طبـع مرة ثانية بلبنان ، وأخيراً ظهرت طبعته الثالثة على أكبر مطابع الشرق[1] .

وهذا صنوه (شيخ المضيرة) نخرجه اليوم في طبعته الثـالثة على مـطابع هذه الـدار كـذلك بعد أن طبع مرتين في مدى سنتين ، مما لا يتفق وقوعه لأي كتاب إلا في الندرة ـ وقد جاء ذلك كله على رغم ما كان يتمنى أعداء الكتاب الذين كانوا يقدرون أن لا يظهر في غير طبعته الأولى ، وكـانت تضم الكتابين معاً ، فجمعوا له كيدهم ، وحسبوا أنهم قد وأدوه بوهمهم ، وبخاصـة بعد أن حذروا الناس من قراءته أو شـرائه ـ وكـأن الأقدار كـانت تضحك وتسخـر مما يقدرون ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولقد كان من توفيق الله وفضله أن ترجم كتاب شيخ المضيرة ، وهو هذا الكتـاب ، باللغـة الفارسيـة ، وانتشـر في بـلاد إيـران ومـا وراءهـا من البـلاد الإسلامية وسننشر ترجمة مقدمة هذه الترجمـة في آخر الكتاب لنفاستها ليـطلع القراء عليها .

فنحمـده تعالىٰ أخلص الحمـد ، ونشكـره أجـزل الشكـر على أن كتب لكتابنا هذا البقاء والنماء ، وأن يظل نوره يتـأرج في الأرجاء ، وهـو سبحانـه يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

محمود أبو رية

يطيب لنا هنا أن نتمثل ببيتين من الشعر لولي الدين يكن رحمه الله :

كتـابي سر في الأرض واسلك فجـاجها ... وخـل عـبـاد الله تـتـلـوك مـا تـتـلـو

فمـا بـك من أكـذوبـة فـأخـافهـا ... ولا بـك من جهـل فيـزري بـك الجهـل

(١) هي مطابع دار المعارف المشهورة .

تمهيد

قبل أن نمضي في الحديث عن تاريخ أبي هريرة ، نرى من التدبير أن نقدم بين يدينا صدراً وجيزاً من القول عن الدعوة الإسلامية ، ومن تصدّى لها من أعدائها في أول أمرها ، لنمهد به إلى ما نحن بسبيله من غرضنا .

ذلك بأن أبا هريرة هذا الذي نؤرخ له قد عاش بجوار صاحب هذه الدعوة صلوات الله عليه وقتاً ما .

وقد اصطلحوا على أن يجعلوا مثله من صحابته - ثم انقلب بعد ذلك فاتصل بمن كانوا أكبر أعداء الدعوة المحمدية وصاحبها من أول ظهورها ، فظاهرهم ، وسار تحت رايتهم ، ونال جزاءه على ذلك من رفدهم ونوالهم كما سنبينه بعد .

* * *

بعث الله محمداً (ص) بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم بإذنه إلى الصراط المستقيم .

كان يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويأمر بالعدل والإحسان وعمل الخير ، واجتناب الشر ، وما إلى ذلك من الأغراض النبيلة ، والمقاصد الجليلة ، التي تكفل للإنسان السعادة في دنياه وآخرته .

وإذا كان الأساس الأول للدعوة الإسلامية هو عبادة الله وحده وترك الشرك في جميع مظاهره ، فإن أهم غرض يرمي إليه الدين بعد ذلك ، هو إنصاف أهل الفقر من أهل الغنى ، وأن يكون الناس جميعاً سواسية في الحقوق الاجتماعية والسياسية .

ومن أجل ذلك كان أول من ثار على هذه الدعوة الأغنياء ، ذوو الثراء ، وبخاصة بنو أمية وبنو أبي معيط ، وهم الذين كانوا مسيطرين على مكة حينئذٍ ، وسنعقد فصلاً خاصّاً لدولتهم وكيف نشأت .

أما الفقراء والمساكين فقد استبشروا بدعوة محمد (ص) والتفوا حوله ، وأيقنوا أنهم بفضل دينه سينالون في الحياة حقهم الذي كتب الله لهم ، وأنهم سيعيشون كما يعيش الناس سعداء مطمئنين .

الحياة في مكة زمن البعثة

قضت حكمة الله أن يكون مبعث الرسول محمد (ص) في البلاد العربية ، وأن تكون مكة أول بلد يشرق منه نور الإسلام .

وكان أهل مكة حينئذٍ يتألفون من طبقات ثلاث ، طبقة أرسطقراطية غنية ، وهم صناديد قريش ، وكانت مكة خالصة لهم ، وأخرى متوسطة ، وثالثة فقيرة ، وكان يعيش بين هذه الطبقات (الرقيق) الذين لم يكن لهم أي حق في الحياة من الحقوق الإنسانية ، وإنما كانوا كالأنعام أو العروض التجارية ، ملكاً خالصاً لأسيادهم ، يسخّرونهم في كل ما يريدون ، ويتصرفون فيهم كما يشاءون ، إن بالهبة ، وإن بالبيع ، ويعاقبونهم بأنواع العقاب بغير أن يسألهم أحد عما يفعلون .

فلما أمر النبي (ص) أن ينذر قومه ، وأن يدعوهم إلى البر والتقوى والعدل والمساواة ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، وتلا عليهم الآية الكريمة (٤٩ : ١٣) : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ كبر ذلك على كبار القوم وأغنيائهم ، وعزّ عليهم أن يعلو شأن الفقراء

بينهم ، وأن يكون لهم ، حق معلوم في أموالهم ، وأخذوا يحاربون هذه الدعوة بكل ما استطاعوا من قوة ، فلم يجد النبي مناصاً من أن يهاجر من مكة إلى المدينة ، بعد ما لقي من أذى قريش وعنتهم ما لقي أكثر من عشر سنين ، ولكن قريشاً لم تدعه يهدأ في مهجره ، بل لاحقوه هناك بعدائهم وبغيهم ، وكان أبو سفيان بن حرب أشد الناس عداوة للنبي (ص) مما ستعرف نبأه فيما بعد .

* * *

ولم يجد النبي (صلوات الله عليه) راحة في المدينة التي هاجر إليها بعد ما أصابه بمكة ما أصابه ، فقد كثرت هناك أعداؤه ، وزادت فيها أعباؤه ، فبعد أن كان في مكة يكيد له قريش وحدهم أصبح في المدينة ـ وقد ظهر له عدو شديد ماكر هم اليهود ، ومع هؤلاء وهؤلاء انبعث عدو أخبث مَن خلق الله وهم المنافقون ـ وكانت المدينة مباءة للنفاق ، ولعل ذلك بسبب وجود اليهود بينهم .

وأجمع هؤلاء الأعداء الأشداء أمرهم بينهم على أن يحاربوا النبي (ص) ودعوته حرباً لا هوادة فيها ، واتصلت هذه الحرب بينهم وبينه بضع سنين حتى كان يوم فتح مكة فاستسلمت قريش وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب ومَنّ النبي (ص) عليهم بالعفو وسمُّوا من هذا اليوم (الطلقاء) ثم زاد من فضله عليهم وبره بهم ـ على ما كانوا يضمرون من بغض له ولدعوته في نفوسهم ـ فتألفهم بالمال يهبه لهم وعاملهم بالحسنى وهم المعروفون (بالمؤلفة قلوبهم) .

وقعة خيبر

وإذا كان ليس من همنا أن نتوسع هنا بالكلام عن تلك الحروب التي وقعت بين النبي (ص) وبين أعدائه لأن هذا الكتاب لم يعقد لذلك ، فإنه لا بد لنا من أن نشير إلى وقعة منها ، لأنها تتصل بموضوعنا الذي نحن فيه ، تلك هي وقعة (خيبر) .

كانت وقعة خيبر هذه سنة سبع من الهجرة وبعد أن فرغ النبي منها منتصراً ، قدم اليمنيون من بلادهم على النبي (ص) ليسْلموا ، وكذلك قدم أبو هريرة الذي هو موضوع كتابنا .

قدوم الاشعريين والدوسيين إلى النبي (ص)

خرج أبو موسى الأشعري ومن كان معه من الأشعريين من بلادهم ـ كما قال هو ـ وقدم على النبي (ص) الأشعريون منهم والدوسيون وهو بخيبر وكان ذلك بعد أن افتتحت في سنة ٧ هـ . وإليك ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري :

بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن[١] فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي ، أنا أصغرهم في ٥٣ أو ٥٢ رجلاً من قومي ، فركبنا سفينة فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب[٢] فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبي حين افتتح خيبر[٣] .

وروى عنه البخاري كذلك : قدمنا على النبي بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا[٤] .

قال ابن حجر في الفتح وهو يشرح هذا القول : أراد أنه لم يسهم لأحد لم يشهد الموقعة من غير استرضاء أحد من الفاتحين إلا لأصحاب السفينة التي قدم عليها أبو موسى ومن معه .

ووقع عند البيهقي ، أن النبي قبل أن يقسم لهم كلم المسلمين فأشركوهم .

---

(١) من العجيب أن يقول أبو موسى الأشعري ذلك وقد كان مخرج النبي قبل ذلك بعشرين سنة .

(٢) قال البلاذري إنه كان مع أبي موسى ٤٠ رجلاً وكان مع جعفر ١٦ رجلاً .

(٣) ص٣٩١ ج٧ فتح الباري ويراجع ص١٨٢ ج٦ من فتح الباري لابن حجر العسقلاني .

(٤) ص٣٩٢ ج٧ من نفس المصدر .

سبب تأخر الاشعريين
في القدوم إلى النبي (ص)

وقد تكلم ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن أسباب تأخر الأشعريين في القدوم إلى النبي فجعل من هذه الأسباب **أنهم علموا ما كان المسلمون فيه من المحاربة مع الكفار ، فلما بلغتهم المهادنة أمنوا وطلبوا الوصول إليه**[1]

ومعنى كلام ابن حجر صريح بأن هؤلاء الأشعريين لم يقدموا إلى النبي أيام محنته في مكة ولا في زمن حروبه الطاحنة وهو بالمدينة لينصروه ، ويجاهدوا معه ، بل هرعوا إليه بعد الغزوات الكبيرة التي انتصر فيها ، وغنم منها المغانم ، من غزوة بدر وأحد والخندق أي بعد أن استقر أمر البعثة وأصبح لها شوكة وهيبة وصولة !![2] .

هذا هو أمر الأشعريين عامة الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري ، وقدومهم على النبيّ (ص) . أما قدوم أبي هريرة ، فإليك نبأه الصحيح .

قدوم أبي هريرة إلى النبي (ص)

إنّ الثابت الصحيح الذي لا ريب فيه ومن قوله هو نفسه في ذلك : «أتيت رسول الله وهو بخيبر بعدما افتتحها ، فقلت يا رسول الله أسهم لي ، فكلم المسلمين فأشركونا من سهامهم[3] .

هذا هو أمر إسلام أبي هريرة وزمنه على حقيقته أما ما يقال غير ذلك فمحض افتراء لا يلتفت إليه ، وقد فندنا ما زعمه بعضهم من أنه أسلم وهو في بلاده[4] .

---

(١) ص٣٩ ج٧ فتح الباري .
(٢) ص٥٤ و٥٥ ج٣ أسد الغابة .
(٣) ص٣١ ج٦ وص٣٩٣ ج٧ من فتح الباري ، وستقابلك قصة هذا القدوم مفصلة في مكانها من كتابنا هذا .
(٤) راجع الكلمة التي رددنا فيها على العجاج مصنف كتاب (أبو هريرة) في آخر الكتاب .

وقفة قصيرة هنا لماذا تأخر قدوم أبي هريرة إلى النبي (ص) ؟

وهنا نقف وقفة قصيرة مع أبي هريرة ننظر : لماذا تأخر قدومه إلى النبي (ص) عشرين سنة كاملة ، من مبدأ البعثة إلى وقعة خيبر التي كانت في سنة ٧ من الهجرة !! على حين أن بلاده دانية من بلاد الحجاز ؟

لَمَ تأخر هذا الزمن الطويل إذا كانت له رغبة صادقة ، ونية خالصة في أن يتبع هذا الدين ، ويكون مسلماً مجاهداً مع المجاهدين ؟

وإذا كان ابن حجر العسقلاني قد بين في إيجاز ورفق سبب تأخر الأشعريين عن القدوم إلى النبي ، فإن لأبي هريرة شأناً آخر غير شأن الأشعريين الذين أسلموا معه في وقت واحد ، ذلك أنه ثبت من تاريخه أنه كان لفقره يخدم الناس بطعام بطنه[١] !

فإذا ما انتهى إلى مسمعه أن نبيّاً ظهر بمكة بدين يدعو إلى مساعدة البائسين ، وسد عوز المحتاجين ، فإنه ولا ريب يغتبط بذلك ويشرق قلبه فرحاً !

وإذا ما بلغه كذلك أنه بعد أن هاجر إلى المدينة قد أصبح مأوى المجاويع ، وأنه قد جعل للفقراء الذين يقصدون المدينة مكاناً خاصّاً يؤوون إليه ، يطعمهم فيه ويسقيهم[٢] فإن نفسه تشرئب ولا جرم إلى ذلك ، ويتمنى لو يضمه هذا المأوى ليطعم فيه ، ويُكفى مشقة خدمة الناس ، وما يلقى في سبيل ذلك من نصب ؟

وإذا علم غير هذا وذاك ، أنه قد جعل للفقراء والمساكين نصيباً في مغانم الحرب وأنه (صلوات الله عليه) قد اتخذ له موالي وخدماً[٣] . . .

وإذا ما انتهى إليه كل ذلك وغيره فترى ماذا يكون أمره ؟؟

---

(١) سترى كلاماً مفصلاً عن ذلك في مكانه من هذا الكتاب .

(٢) هو المكان المعروف بالصفة .

(٣) أنظر في ذلك أنساب الأشراف للبلاذري ص٤٦٧ تجد أسماء موالي النبي وخدمه .

إنه ولا شك يطير فرحاً ، ويهيم سروراً ، وتشتد به الرغبة ، ويستبد به الطمع ، وتلح عليه الحاجة ، في أن يهرع إلى صاحب هذا الدين ليعيش في كنفه ، ويستظل بظله .

هذا أمر لا شك فيه ، والجبلة الإنسانية تميل إليه وتبعث عليه ! ولكن أنى له بلوغ ذلك ، وكيف السبيل إليه وهو يسمع فيما يسمع كذلك أن الناس يحاربون هذا النبي وأصحابه ، وأن النضال المسلح متصل بينهم وبينه لا ينقطع - وهو بطبعه يريدها سهلة غير ذات شوكة ، لأنه ليس من أبطال الحروب ، ولا عهد له بميادين القتال ، وأنه لم يخلق إلا ليخدم ويطعم من أجر خدمته !

تلقاء ذلك لم يجد مناصاً من أن يصبر على مضض وأن يرتقب حتى تسكن غمغمة الحرب بين النبي وأعدائه ، ويرى لمن تكون الغلبة ، شأنه في ذلك شأن غيره في ذلك العهد ممن على شاكلته . وهم الذين كانوا يقولون في أنفسهم «دعوه وقومه فإن غلبهم دخلنا في دينه . . وإن غلبوه كفونا شره» .

وظل أبو هريرة يرتقب حتى فتح الله على نبيه ورسخت قواعد الدين ، وثبتت دعائمه ، وبسط على أرجاء الأرض جناح سلطانه ، وأصبح كل من اتبعه وصدّق بدعوته آمناً مطمئنّاً لا يخشى ظلماً ولا رهقاً .

حينئذٍ طابت نفسه ، واطمأن قلبه ، وذهب الخوف عنه ، ولم يلبث أن ركب رجليه واتخذ طريقه إلى النبي ليخدمه على ملء بطنه ، ويملأ يده من مغانمه ، ويسكن المأوى الذي أعده للفقراء من أتباعه ، وكان ذلك في شهر صفر سنة ٧ هـ .

وكان له ما أراد عندما اتصل بالنبي ، وحقق كل ما كان يبتغيه، فأطعمه النبي ومن عليه بالعطاء من غنائم خيبر - وهو لم يشهدها - ، وأسكنه المأوى الذي أعده للفقراء وهو الصفة[١] .

---

(١) زعم ابو هريرة أنه كان عريفاً لأهل الصفة واعتمد المؤرخون على روايته وحده في ذلك ولكن لم يأت في ذلك خبر صحيح من غيره .

وما نذكره هنا أمر ثابت لم نتهمه به ، ولم نفتر عليه فيه ، ذلك بأنه قد اعترف هو مراراً بأنه قد خدم النبي على ملء بطنه وسترى ذلك مبيناً في مكانه من هذا الكتاب ، واعترافه الصريح من أول يوم لقي فيه النبي . وما كاد يملأ عينه من رؤية مغانم خيبر حتى رنا إليها ، وطالب بنصيب فيها ، على حين أنه لم يشهدها ، وله في ذلك قصة ستقف عليها في موضعها من هذا الكتاب .

والذي نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون إليه بما تبين لنا من القرائن والأدلة الصحيحة وما بدا من اعترافاته الصريحة أن أبا هريرة ـ إنما كان يبتغي من قدومه على النبي (ص) أن يحقق مطامعه الشخصية ، ومآربه الذاتية لا ليلتمس أن يتفقه في الدين كما يفعل غيره من الذين أسلموا مخلصين .

ولعلك ترى الفرق الهائل بينه وبين غيره من الذين كانوا يقدمون على النبي عن طواعية ، مخلصة قلوبهم ، راضية نفوسهم بالدين الحنيف .

ولنضرب لذلك مثلاً واحداً من أمثلة كثيرة لا تحصى .

ذلك هو مثل إياس بن عُمير الحميري الذي قدم وافداً على النبي في نفر من حمير ـ إذ بينما نجد أبا هريرة يصرح تصريحاً لا لبس فيه ولا إبهام بأنه قد جاء إلى النبي ليخدمه على ملء بطنه ، إذ بهذا الحميري ومن معه يقولون للنبي : «أتيناك يا رسول الله لنتفقه في الدين»[1] .

هذا هو الإسلام الصحيح ، والإيمان الخالص لوجه الله ، الذي ليس وراءه أي مأرب شخصي أو غرض ذاتي .

وإنا بعد ذلك نمضي فيما أخذنا على أنفسنا أن نقوم به من ترجمة أبي هريرة الذي أفردناه دون الصحابة جميعاً بالتأريخ ، لأنه كان أكثرهم تحديثاً عن النبي ، على حين أنه لم يصاحبه صلوات الله عليه إلا عاماً وبعض عام ، ونفذت رواياته إلى عقائد المسلمين وأحكامهم وغير ذلك على ما فيها من خرافات وشبهات ومشكلات كانت مبعث ضيق لصدر المسلمين ، وانتقاداً على الدين الإسلامي من غير المسلمين !

---

(١) ص ٧٩ ج ٨ فتح الباري .

أبو هريرة

الاختلاف في اسمه :

لم يختلف الناس في اسم أحد في الجاهلية والإسلام ، مثل ما اختلفوا في اسم «أبي هريرة» فلا يعرف على التحقيق اسمه الذي سماه به أهله ليدعى بين الناس به ، وكذلك اختلفوا في اسم أبيه اختلافاً كثيراً .

قال النووي : اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو من ثلاثين قولاً .

وقال القطب الحلبي : اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً مذكورة في الكنى للحاكم وقد ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة[1] .

وقال حافظ المغرب ابن عبد البر في الاستيعاب :

«واختلفوا في اسم أبي هريرة واسم أبيه اختلافاً كثيراً ، لا يحاط به ، ولا يضبط في الجاهلية والإسلام ـ وقال : ومثل هذا الاختلاف والاضطراب لا يصح معه شيء يعتمد عليه ، وقد غلبت عليه كنيته ـ فهو كمن لا اسم له غيرها ؛ وأولى المواضع بذكره الكُنى[2] أي لا يذكر اسمه بين الأسماء ، وإنما يذكر في الكُنى .

---

(١) ١٩٩ ج ٧ .

(٢) ص ٧١٨ و٧١٩ ج ٢ طبعة الهند و١١٧٠ و١١٧١ من القسم الرابع طبعة مصر .

وفي أُسد الغابة : وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً لم يختلف في اسم آخر قبله ولا يقاربه[1] . أما أمه فقد ذكروا أن اسمها (أميمة) .

وقال الفيروز آبادي : واختلف في اسمه على نيف وثلاثين قولاً .

ومما أوردناه لك يكون الجزم باسم صحيح يطلق عليه من ضروب التخمين ، فنكتفي بذكر كنيته التي التصقت به والتحمت وظهرت على الألسنة في حياته وبعد موته ، وقد بين هو سببها فقال :

كنت أرعى غنم أهلي ، وكانت لي هرة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة وإذا كان النهار ذهبت بها معي فكنوني أبا هريرة ، ولا ضير من تصديق ما قاله ، ويبدو أن هذه الهرة قد ظلت تلازمه وهو بالمدينة ، فقد رآه النبي وهو يحملها في كمه فقال : يا أبا هريرة ، واشتهر به ، كما ذكر ذلك الفيروز آبادي في قاموسه المحيط .

أصله ونشأته

كل ما عرف عن أصله ـ على ما قيل ـ أنه من عشيرة سليم بن فهم من قبيلة أزد ، ثم من دوس إحدى قبائل العرب الجنوبية ـ أما نشأته فلم يعرفوا عنها شيئاً ـ وكذلك لم يعرف الناس عن حياته في بلاده (اليمن) في مدى السنين التي قضاها بها قبل إسلامه ـ غير ما قاله هو عن نفسه من أنه كان يرعى الغنم وكان فقيراً معدماً يخدم الناس بطعام بطنه ، وروى عنه ابن قتيبة قال : نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي فكنت أخدم إذا نزلوا ، وأحدو إذا ركبوا[2] .

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال : وقد رأيتني وإني لأجير لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي [3] ، أسوق إذا ارتحلوا وأحدو[4]

---

(١) ص ٣١٥ و٣١٦ ج ٥ .

(٢) ص ١٢٠ من كتاب المعارف .

(٣) العقبة أي نوبة ركوبه .

(٤) يبدو أن هذا الحداء الذي كان يحسنه أبو هريرة هو الذي جعله يطلب من العلاء بن =

بهم إذا نزلوا[1] .

ولقد كان أبو هريرة أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وظل على أميته طول حياته .

قدومه إلى النبي وهو بخيبر

لما سمع أبو هريرة ببعثة النبي وانتشار دعوته وانتصاره على أعدائه قدم إليه صلوات الله عليه وهو بخيبر كما قدم غيره من الدوسيين الأشعريين[2] وكان ذلك بعد أن تخطى الثلاثين من عمره ، وذلك بعدما افتتحوها ـ كما ذكر هو نفسه في قوله : أتيت رسول الله وهو بخيبر بعدما افتتحوها[3] .

قال ابن سعد في طبقاته وهو يتكلم عن غزوة خيبر :

وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة وقدم الطفيل بن عمرو وقدم الأشعريون ورسول الله بخيبر فلحقوه بها فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا[4] .

وقال المقريزي في إمتاع الأسماع :

وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم ونفر من الأشعريين ؛ فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ، فقالوا نعم يا رسول الله[5] .

= الحضرمي أن يجعله مؤذناً وهو بالبحرين ، وقد ظل يهوى التأذين حتى بعد أن زادت سنه على الستين ، فقد ثبت أنه كان يؤذن كذلك لمروان بن الحكم وهو حاكم على المدينة من قبل معاوية سنة ٤١ هـ . كما ستراه فيما بعد .

(١) ص ٥٣ ج ٤ قسم ٢ من الطبقات وص ٤٤٠ ج ٢ سير أعلام النبلاء .

(٢) راجع ما كتبنا آنفاً .

(٣) ص ٣١ ج ٦ و٣٩١ و٣٩٧ ج ٧ من فتح الباري وص ٤٣٦ ج ٢ سير أعلام النبلاء للذهبي وص ١٠٢ ج ٨ من البداية والنهاية .

(٤) ص ٧٨ ج ١ .

(٥) ص ٣٢٦ ج ١ .

ونقل ابن حجر في الإصابة عن ابن أبي حاتم قدوم الطفيل بن عمرو وأبي هريرة على النبي بخيبر[1] .

ولما رأى كثرة مغانم هذه الغزوة جاشت مطامعه وطلب من رسول الله أن يسهم له ؛ ثم تدخل فيما لا يعنيه ، فطلب من النبي أن لا يسهم لأبان بن سعيد بن العاص الذي كان ممن خاضوا غمار هذه الغزوة . فانبرى له أبان بن سعيد وأغلظ له في القول وأهانه ، لأنه لم يكن من الذين اصطلوا بنار الغزو ولا اشترك في الجهاد ـ فكيف تطمع نفسه في أن يشارك في المغانم ؛ وقد بلغ من إيلام أبان لأبي هريرة ، أن قال له : واعجباً لوبر[2] تدلى علينا من قدوم ضأن[3] ، وفي رواية : يا وبر تحدر من رأس ضال ؛ فقال النبي : يا أبان ، إجلس ، ولم يقسم له ، وتلقى أبو هريرة هذه الإهانة فقبع ، ولم يجد له جواباً يرد به على أبان .

وقد علق الخطابي على قول أبان هذا فقال : أراد أبان تحقير أبي هريرة ، وأنه ليس في قدر من يشير بعطاء ، ولا منع ، لأنه قليل القدرة على القتال .

وعن أبي الحسن القابسي : أن معناه أنه ملصق في قريش ، وشبهه بما يعلق بوبر الشاة من الشوك وغيره .

ولو كان لأبي هريرة نفس يعرف قدرها ، أو كرامة يحافظ عليها ، لأبى أن تمتد يده إلى ما ليس من حقه ، أو يرنو بعينيه إلى مغانم حرب لم

---

(١) ص ٢٨٧ ج ٣ .

(٢) الوبر دويبة صغيرة وحشية كالسنور ، ونقل أبو علي القالي عن أبي حاتم أن بعض العرب يسمي كل دابة من حشرات الأرض وبراً ـ وقال الفريق أمين المعلوف باشا في كتابه «معجم الحيوان» : إنه حيوان ، من ذوات الحافر في حجم الأرنب أطحل اللون أي ما بين الغبرة والسواد . قصير الذيل يحرك فكه الأسفل كأنه يجتر .

(٣) قدوم ضأن جبل في أرض دوس ـ قوم أبي هريرة ـ وقيل هو رأس جبلي لأنه في الغالب مرعى غنم .

يشهدها ، ولما تعرض لهذا الازدراء والتحقير ـ وبخاصة ـ وهو في أول يوم يلقى النبي وأصحابه فيه .

ومن العجيب أنه كان حينئذٍ بين بضع وخمسين من الأشعريين ومنهم أبو موسى الأشعري ، وقد أسلم معهم عمران بن حصين الخزاعي وأبوه مبيد ابن خلف والطفيل بن عمرو[1] ولكن لم يبد من أحد منهم جميعاً مثل ما بدا من أبي هريرة بل ظلوا قانعين حتى أعطاهم النبي من مغانم خيبر من غير أسهم المحاربين .

مفتاح شخصيته

وإن ما بدا من أبي هريرة في خيبر ، وكشف به ـ من أول يوم ـ عن مكنون مطامعه ، وخفي مآربه ، وحقيقة نفسه ، ثم ما وقع منه وهو في الصفة ، لما يصح أن يجعله المؤرخ (مفتاحاً لشخصيته) .

ولا ريب في أن النبي (ص) قد أسقطه من عينه ، فلم يقم له من يومئذٍ وزناً ، ووضعه بين أصحابه في المكان الذي يليق به ـ وآية ذلك أنه صلوات الله عليه لم يؤاخذ أباناً بما أغلظ له في القول ـ على حين أنه كان (ص) يغضب غضباً شديداً عندما ينال أحد (أصحابه) إهانة من (صحابي) آخر كما فعل عندما تقاول خالد بن الوليد ، وعبدالرحمٰن بن عوف في بعض الغزوات ، وأغلظ خالد في المقال لعبد الرحمٰن بن عوف ، وبلغ ذلك رسول الله غضب غضباً شديداً وقال : لا تسبوا أصحابي ـ الحديث ؛ ومن جهلهم يجعلون حكم هذا الحديث عامّاً بحيث يشمل الصحابة جميعاً[2] .

أما ما كان بين أبان وأبي هريرة فقد أغضى النبي عنه ، ولم يقل لأبان شيئاً ، واكتفى بأن قال له : إجلس يا أبان ، ولم يسهم لأبي هريرة وتركه يغدو مغيظاً محنقاً ، وكأنه بذلك قد أقر أباناً على ما فعل بأبي هريرة .

---

(١) ص ٣٩٣ ج ٢ سير أعلام النبلاء .

(٢) يراجع فصل عدالة الصحابة بكتابنا (أضواء على السنة) الطبعة الثالثة .

وأبو هريرة كان في هـذا اليوم يعـد ضيفاً ، والضيف لـه حرمـة يستحق التكريم من أجلها ، ولو بكلمة طيبة ، ولكنه لم يـظفر من النبي بهـا ، وحقت عليه المهانة أمام الصحابة جميعاً من أول يوم جاء فيه إلى النبي (ص) .

سبب صحبة أبي هريرة للنبي (ص) :

كان أبو هريرة صريحاً في الإبـانة عن سبب صحبتـه للنبي فلم يقل إنـه قد صاحبه للمحبة أو للهداية كغيره ، من الذين كانوا يسلمون وإنما قال : إنه صاحبه على (ملء بطنه) .

ففي حـديث رواه أحمد والشيخـان عن الزهـري عن عبـد الـرحمٰن بن الأعرج قال :

سمعت أبا هريرة يقول : إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني[1] .

وفي رواية أخرى «لشبع بطني» ورواية الكشميهني «بشبع بطني»[2] .

وفي رواية لمسلم كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله على ملء بطني ـ وفي رواية له أيضاً ـ وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني[3] .

وقال ابن حجر العسقلاني في شرح أحاديث البخاري التي جاءت بلفظ (لشبع ولفظ بشبع) والمعنى مختلف فإن الذي بالباء يشعر بالمعـاوضة ـ ولكن رواية اللام لا تنفيها ورواية بشبع أي لأجل الشبع .

وقال كذلـك في شرح الـرواية التي جـاءت بلفظ (لشبع) : لشبـع بلام التعليل وهو الأكثر وهو الثابت في غير البخاري[4] .

---

(١) ص ٢٧١ و٢٧٢ ج ١٣ من فتح الباري والأعرج هو تلميذ أبي هريرة .
(٢) ص ٦١ ج ٧ من نفس المصدر .
(٣) على هنا للتعليل ـ قال ابن هشام وهو يتكلم عن معاني (على) في المعنى : إنها تكون للتعليل كاللام نحو : ولتكبروا الله على ما هداكم . أي لهدايته إياكم .
(٤) ص ١٧٣ ج ١ فتح الباري .

وهذا الذي اعترف به أبو هريرة ننقله على حقيقته بغير أن نخرم منه حرفاً ، والاعتراف كما يقولون (سيد الأدلة) ولا علينا مما يقال بعد ذلك[1] !!

حياة أبي هريرة بعد اسلامه في المدينة :

لما انصرف النبي (ص) إلى المدينة بعد فتح خيبر رجع معه أبو هريرة فيمن رجعوا ـ كان الظن أن يتخذ سبيله وهو بالمدينة إلى السعي في مناكب الأرض ليأكل من رزق الله ، إما بالصفق في الأسواق ، أو بالزرع في الأرض ، كما كان يفعل غيره . لكي يعيش عيشة كريمة ، ولكنه تنكب طريق العمل واتخذ سبيله إلى مثابة ليس لمن يؤمها أي عمل إلا أن يتلقى ما تجود به نفوس المحسنين من فضلاتهم وصدقاتهم ، التي سماها النبي أوساخاً ـ فيطعم هو ومن معه من الذين أخلدوا إلى الخمول والكسل ، شأن سكنة التكايا والخوانق ، وقد فعل ذلك ليثبت بفعله ما أعلنه بقوله : من أنه خدم النبي لملء بطنه ، ولو أنه آثر الأجدر بالرجال ، والأخلق بالذين يحافظون على كرامتهم ـ أو لو أنه اتبع ما رواه هو عن النبي (ص) من قوله (ص) : والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبْله فيحتطب على ظهره فيأكل ـ خير له من أن يأتي رجلاً أغناه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه[2] . لو أنه فعل

---

(١) كان هذا الأمر من الهنات الثلاث التي أخذها الدكتور طه حسين علينا في كلمته النفيسة التي كتبها عن كتابنا (الأضواء)(*) وأولاها أنه شك في اشتراك كعب الأحبار في مؤامرة قتل عمر وزاد من شكه أن تهكم بالخبر ! وشك كذلك في أن أبا هريرة قد أسلم على ملء بطنه ، وأنه كان يأكل مع معاوية ويصلي خلف عليّ (ع) وقد عجبنا أن يجهل مثله وهو من كبار العلماء هذه الأمور ويفوته معرفتها ، وهي ثابتة صحيحة لا يستطيع أحد أن يماري فيها ـ وقد زال عجبي عندما تبين للدكتور بعد دراسته لتاريخ عمر أن ما قلناه عن اشتراك كعب في مؤامرة قتل عمر صحيح(**) وقلنا ولو أنه قد درس تاريخ أبي هريرة حق الدرس كما درس تاريخ عمر لعرف أن كل ما قلته لا شكّ فيه ولا يمكِن دفعه .

(*) راجع هذه الكلمة في صدر الطبعة الثالثة من كتاب الأضواء .

(**) راجع ص ٢٥٤ إلى ٢٥٧ من كتاب (الشيخان) للدكتور طه حسين .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم .

ذلك لوجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، ولعاش كريماً ، عيشة رغداً !

ولكنه اختار أن يسأل الناس فهذا يعطيه ـ وهذا يمنعه ، كما صرح هو مراراً فيما ستقرؤه من بعد .

وانظر الفرق بينه وبين غيره مثل عبد الرحمٰن بن عوف ، الذي آخى النبي بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان ذا غنى ، فقال له سعد : أقاسمك مالي نصفين وأزوجك ! فقال له عبد الرحمٰن بن عوف ، بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق[1] .

ومن يقرأ ما صرح به أبو هريرة مراراً عن نفسه ، وما وصف من سوء حاله ، يتبين له أن معيشته كانت ضنكاً أيام إقامته بالمدينة في عهد النبي ، حتى لقد بلغ من شدة بؤسه وفاقته ، أن كان يصرع من الجوع ، حتى وصف بعضهم هذا الصرع بالجنون .

سكنه في الصفة

أما المثابة التي لجأ إليها أبو هريرة ، ورضي بها مقاماً له فهي (الصُّفة)[2] وقد نص أبو نعيم في حلية الأولياء[3] على أن أبا هريرة كان أشهر من سكن الصفة ولم ينتقل عنها ـ إلا عندما أُقصي من المدينة كما ستعرف ذلك .

---

(١) ص ٢٣٢ ج ٤ من فتح الباري .

(٢) الصفة موقع مظلل في مؤخرة مسجد النبي بالمدينة من الجهة الشمالية ، وأهلها الذين يتخذونها سكناً لهم هم ـ كما قال أبو الفداء في تاريخه المختصر ـ : أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد رسول الله في المسجد ويظلون فيه ـ وكانت صفة المسجد مثواهم ، فنسبوا إليها ـ وكان إذا تعشى رسول الله يدعو طائفة منهم يتعشون معه أو يفرق طائفة منهم على الصحابة ليعشوهم ، وكانوا يكثرون فيها ويقلون بسبب من يتزوج منهم أو يسافر أو يعمل في الأرض ـ اللهم إلا أبو هريرة فقد ظل فيها لا يبرحها إلى أن انتقل منها إلى البحرين كما سنبينه لك .

(٣) ص ٣٧٦ ج ٢ من فتح الباري .

ومن قول أبي هريرة : كنت من أهل الصُّفة ، وكنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله ، فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر[1] .

وقال[2] : رأيت سبعين من أصحاب الصفة ، وما منهم رجل عليه رداء ، وإنما عليه إما إزار وإما كساء ربطوه في أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

وقال واثلة بن الأسقع[3] : كنت من أصحاب الصفة ، وما منا إنسان يجد ثوباً تامّاً ، قد جعل الغبار والعرق في جلودنا طرقاً .

حياة أبي هريرة في الصفة

أما حياته في الصفة ، فندع له هو وصفها بلسانه ، ولا نزيد شيئاً من عندنا عليها حتى لا نرمى بالطعن فيه أو بالتحامل عليه .

قال رحمه الله فيما أخرجه ابن نعيم في الحلية[4] :

كنت من أهل الصفة فظللت صائماً فأمسيت وأنا أشتكي بطني ، فانطلقت لأقضي حاجتي ، فجئت وقد أكل الطعام ، وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام لأهل الصفة ، وقلت : إلى من أذهب ؟ فقيل لي : إذهب إلى عمر بن الخطاب ، فأتيته وهو يسبح بعد الصلاة ، فانتظرته فلما انصرف دنوت منه ، فقلت : أقرئني ! وما أُريد إلاَّ الطعام ! قال : فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب ، فأبطأ فقلت ينزع ثيابه ! ثم يأمر لي بطعام ! فلم أر شيئاً !

وروى البخاري[5] عنه قال : والله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت

---

(١) ص ٢٣٨ ج ١١ البخاري .
(٢) ص ٤٢٦ من نفس المصدر .
(٣) ص ١٧٢ ج ١ من أنساب الأشراف .
(٤) ص ٣٧٨ ج ١ منه .
(٥) ٢٣٦ و٢٣٧ ج ١١ من فتح الباري .

لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه من المسجد ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله وما سألته إلا (ليشبعني) - فمر ولم يفعل ثم مر عمر بي فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فلم يفعل - الحديث .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال :

أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب . فاستقرأته آية من كتاب الله ، فدخل داره وفتحها عليّ فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع !

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث (فاستقرأته آية) أي سألته أن يقرأ عليّ آية من القرآن ، آية معينة ، على طريق الاستفادة وفي غالب النسخ (فاستقريته) بغير همزة - وهو جائز على التسهيل ، وإن كان أصله الهمزة[1] . وبينما يقول ابن حجر ذلك ، إذ ببعض الجهلاء الذين ردوا علينا يقول إنها من القِرى ! !

وروى البخاري عنه قال : لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليّ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون ! ما بي إلا الجوع[2] .

والأخبار كثيرة عن حياته وهو في الصفة فنكتفي بما أوردناه هنا منها ، وليس القصد من نقلها أن نعيب على أبي هريرة فقره الذي اعترف به ، كما فهم بعض الأغبياء ، فليس في الفقر من عيب وإنما لنبين ناحية من تاريخه لابد أن تعرف .

---

(١) ص ٤٢٨ ج ٩ من فتح الباري .
(٢) ص ٢٥٩ و٢٦٠ ج ١٣ من فتح الباري .

أين كان المزود وهو يتلوّى من الجوع ؟

على أن مما لا يقضى الإنسان منه عجباً ، أن أبا هريرة بينما يصف هنا ما ناله من الجوع هذا الوصف الذي يرق له قلب الشحيح ، إذ به يزعم في ناحية أخرى أنه كان له مزود فيه بقية من تمر فمسها النبي (ص) بيده الكريمة وقال له : كل من هذا المزود[1] ما شئت في أي وقت ، فأصبح به غنيّاً عن الناس ، وظل يأكل منه حياة النبي (ص) وحياة أبي بكر وحياة عمر ، وحياة عثمان إلى أن أغارت جيوش الشام على المدينة بعد قتل عثمان فانتهبته ، وقد حسب أبو هريرة ما أكله من مزوده في هذه الفترة فوجده مئتي وسق !

فانظر إلى هذه الغرائب بغير أن تحدثك نفسك بالاعتراض عليها أو الشك فيها ؛ لأن أبا هريرة لا تنقضي عجائبه ! ثم إنه يعد من الصحابة الذين يحرم أن يتجه إليهم أي نقد !!

وهنا يبدو سؤال : هل يا ترى ظل هذا المزود معلقاً بحقوه عندما أُقصي إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي ؛ أو تركه أبو هريرة ليأكل منه غيره من أهل الصفة حتى يعود فيأخذه ؟

ولعلنا نجد من يتفضل بالجواب ، ويكون له من الله حسن الثواب ، ومن الناس ومنا الثناء المستطاب .

أبو هريرة وجعفر بن أبي طالب[2]

كان الذي يسعف أبا هريرة عندما كان يستطعم الناس فيزورّون عنه ، وينفرون منه ـ كما علمت ـ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) سيأتيك نبأ هذا المزود فيما بعد .

(٢) كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ، ويحسن إليهم ، وكان رسول الله يكنيه أبا المساكين . وفي كتاب «أنباء نجباء الأبناء» لأبي ظفر الصقلي . دخل مرة أبو سفيان بن حرب على ابنته أم حبيبة زوج النبي فوجد عندها عبدالله بن جعفر وهو صبي ، فقال لها . أي بنية ، من هذا الغلام الذي يتضوع كرماً ، ويتألق شرفاً ، ويتميع حياء ؟ فقالت : من تظنه ؟ فقال : أما الشمائل فهاشمية ! قالت : نعم ، وهو =

فقد روى البخاري[1] عن أبي هريرة قال : «كنت أستقرىء الرجل الآية ـ هي معي ـ كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان أخير الناس للمسكين ـ جعفر بن أبي طالب ـ كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته» .

وروى الترمذي عنه : وكنت إذا سألت جعفراً عن آية لم يجبني حتى يذهب إلى منزله[2] .

ومن أجل ذلك كان جعفر عند أبي هريرة أفضل الصحابة جميعاً ، ففضله على أبي بكر وعمر وعليّ وغيرهم ، فقد أخرج الترمذي والنسائي بإسناد صحيح عن أبي هريرة : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا ولا وطىء التراب ـ بعد رسول الله ـ أفضل من جعفر بن أبي طالب ، وقد جاء هذا الخبر كذلك في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي[3] .

هذه كانت حياة أبي هريرة في الصفة وهو بالمدينة ، فلم يكن له شأن يذكر ، ولا عمل يؤثر .

نهم أبي هريرة

لشخصية أبي هريرة نواح كثيرة منها نهمه الشديد للطعام ، ومن أجل ذلك كان ـ كما علمت ـ يتكفف الأبواب ويستكف الناس[4] ، وهذا النهم كان له ولا ريب أثر بعيد في حياته ، وقد لازمته هذه الصفة طول عمره حتى لقد جاءت الرواية الصحيحة أنه لما نشب القتال في صفين بين عليّ رضي الله عنه وبين معاوية ـ كان يأكل على مائدة معاوية الفاخرة ، ويصلي وراء علي ،

= هاشمي ، فمن تظنه من بني هاشم ؟ فتأمله ، ثم قال : إذا لم يلده جعفر فلست بسداد البطحاء ! فقالت أم حبيبة : نعم هو ابن جعفر ! فقال : أما إنه لم يمت من خلف مثل هذا .

(١) ص ٦١ و٦٢ ج ٧ من فتح الباري .

(٢) لما يعرف من عادته .

(٣) ص ١٥٨ ج ١ .

(٤) استكف مد كفه للسؤال ، وتكفف الأبواب إذا وقف بها سائلاً .

وإذا احتدم القتال لزم الجبل[1] .

ومرد ذلك إلى أنه لم يؤت قناعة في نفسه تعصمه من التعرض لما يأتي من ورائها من زراية الناس واحتقارهم .

وقد عرضنا لذكر هذه الخلة فيه حتى لا يبدو تاريخنا له غير كامل .

ولقد تبين لك مما رواه هو عن نفسه أنه قد بلغ من أمره أنه كان يعترض الناس في طرقهم ، ويغشاهم في بيوتهم ليستطعمهم ، وأنهم كانوا ، يصرفون وجوههم عنه . وقد اشتهر ذلك عنه حتى لقد اضطر النبي صلوات الله عليه أن يأمره بأن يزور الناس غِبّاً كما ستقف عليه فيما بعد ، وقد ظلت هذه الشهرة تلاحقه على مد التاريخ كله .

وسيقابلك كذلك بعض ما ذكره العلماء والكتاب في هذا النهم وبخاصة شغفه بالمضيرة .

شيخ المضيرة

كان أبو هريرة يلقب (بشيخ المضيرة) وهو صنف من الطعام كان مشهوراً بين أطعمة معاوية الفاخرة .

وقد نالت هذه المضيرة من عناية الكتاب والشعراء ما لم ينله صنف آخر من الطعام ، وظلوا يتندرون بها ، ويغمزونه قروناً طويلة من أجلها .

وإليك بعض ما كتبوه فيها :

قال الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)[2] ما يلي :

---

(١) ص ٦٤ ج ١ شذرات الذهب في تاريخ من ذهب لابن العماد الحنبلي ـ وقد ذكر هذا الخبر مؤرخون كثيرون غير ابن العماد وما يزال يدور على الألسنة في كل عصر ومصر .

(٢) ص ٨٦ و٨٧ من طبعة مطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ وص ١١١ و١١٢ طبعة دار نهضة مصر ١٣٨٤ ـ ١٩٦٥ .

شيخ المضيرة[١] : كان أبو هريرة على فضله واختصاصه[٢] بالنبي مزاحاً أكولاً وكان يدّعي الطب[٣] فيقول : أكل التمر أمان من القولنج ، وشرب العسل على الريق أمان من الفالج ، وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد ، والزبيب يشد العصب ، ويذهب الوصب والنصب ،والكرفس يقوي المعدة ، والقرع يزيد في اللب ، ويرق البشرة ، وأطيب اللحم الكتف وحواشي فقار العنق والظهر . وكان يديم أكل الهريسة والفالوذج[٤] ويقول : هما مادتا الولد ، وكان يعجبه المضيرة جدّاً ، فكان يأكل مع معاوية فإذا حضرت الصلاة صلّىٰ خلف عليّ رضي الله عنه ، فإذا قيل له في ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم ، والصلاة خلف علي أفضل ، وكان يقال له (شيخ المضيرة) وفيه يقول الشاعر :

وتولى أبو هريرة عن نصـ ـرعليّ ليستفيد الثريدا
ولعمري إن الثريد كثير للذي ليس يستخف الهبيدا[٥]

---

(١) المضيرة لحم يطبخ باللبن وربما خلط بالحليب وهو الأجود ثم يضيفون إليه من الأبزار ما يوفر اللذة في طعمه ، وله مريقة يحمدون أكلها . قال الأستاذ الإمام محمد عبده في شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني : ربما تكون لبنية بلاد الشام هي المضيرة ، وكانت من أطايب أطعمة معاوية حتى ضربوا المثل بها .

(٢) لم يكن أبو هريرة مختصاً بالنبي كما ذكر الثعالبي .

(٣) من ينعم النظر في طب أبي هريرة يجده كله أطعمة تشفي داء الأمعاء . وتداوي نهم البطن .

(٤) أطايب أطعمة العرب التي ضرب بها المثل : مضيرة معاوية ، وثريد غسان ، وفالوذج ابن جدعان ، وكان ملوك غسان يختصون من بين ملوك العرب بالطيبات ، ولهم الثريدة التي أجمعت العرب على أنه ليست ثريدة أطيب منها ـ وكان عبدالله بن جدعان من مطعمي قريش كهاشم بن عبد مناف ، وهو أول من عمل الفالوذج للأضياف وفيه يقول أمية بن أبي الصلت:

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي
إلى ردح من الشيزي ملاء لباب البر يلبك بالشهاد(*)

(*) الشهاد عسل النحل .

(٥) الهبيد هو حب الحنظل ـ كان يطحنه الناس في أيام الجدب .

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار : وكان أبو هريرة يعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية ، وإذا حضرت الصلاة ، صلّىٰ خلف عليّ ، فإذا قيل له في ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم ، والصلاة خلف عليّ أفضل ، وكان يقال له : شيخ المضيرة .

وله في أساس البلاغة : عليّ مع الحال المُضيرة ، خير من معاوية مع المضيرة .

وفي شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي[1] :

وكان أبو هريرة يصلي خلف عليّ ويأكل على سماط معاوية ويعتزل القتال ويقول :

الصلاة خلف عليّ أتم ، وسماط معاوية أدسم ، وترك القتال أسلم .

وقد أورد هذا الخبر كذلك برهان الحلبي في السيرة الحلبية[2] وصاحب كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار لمحمد بن يعقوب في باب الطعام وألوانه : فقال : إن أول من صنع المضيرة معاوية ، وإن أبا هريرة كان يستطيبها ويأكل عنده في أيام صفين ويصلي خلف عليّ وبذلك سمي «شيخ المضيرة» وموقعة صفين كانت في شهر صفر[3] سنة ٣٧ هـ .

وعقد بديع الزمان الهمذاني مقامة خاصة بين مقاماته سماها (المقامة المضيرية) غمز فيها أبا هريرة غمزة أليمة فقال :

حدثنا عيسى بن هشام ، كنت في البصرة ومعي أبو الفتح الإسكندري ، رجل الفصاحة ، يدعوها فتجيبه ، والبلاغة يأمرها فتطيعه ، وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت إلينا مضيرة ، تثنى على الحضارة ،

---

(١) ص ٦٤ ج ١ .
(٢) ص ٣٩٧ ج ٣ .
(٣) ص ١٢٢ واختلاف الألفاظ في هذا الخبر جاء من أنهم كانوا يروون بالمعنى كما فصلنا ذلك بكتابنا أضواء على السنة .

وتترجرج في الغضارة وتؤذن بالسلامة ـ **وتشهد لمعاوية بالإمامة !**

وقال أستاذنا الإمام محمد عبده رضي الله عنه في شرح هذه العبارة :

«ومعاوية ادعى الخلافة بعد بيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلم يكن من يشهد له بها في حياة عليّ ، **إلا طلاب اللذائذ ، وبغاة الشهوات ، فلو كانت هذه المضيرة من طعام معاوية لحملت آكليها على الشهادة له بالخلافة ، وإن كان صاحب البيعة الشرعية حيّاً** ، وإسناد الشهادة إليها لأنها سببها الحامل عليها ، والإمامة والخلافة في معنى واحد[1] .

وقد حملت فعلاً أبا هريرة وغيره على الشهادة لمعاوية بالخلافة !

وإذا كان الأستاذ الإمام لم يذكر أبا هريرة صراحة ، فإنه قد وفاه حسابه تلميحاً .

وكذلك فعل الهمذاني[2] .

وفي الحلية لأبي نعيم[3] أن أبا هريرة كان في سفر فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه وهو يصلي فقال إني صائم ! فلما كادوا يفرغون ، جاء

---

(١) ص ١٠٩ ، وأمر هذه المضيرة وشيخها ثابت على مر التاريخ لا يمتري فيه باحث عالم مدقق لم يلعب بعقله الهوى ، وقد جرى لقب (شيخ المضيرة) على ألسنة الناس من عهد معاوية بن أبي سفيان ودونه كبار المؤرخين في كتبهم ـ كما رأيت ، وقد التصق لقب (شيخ المضيرة) بأبي هريرة لا ينفك عنه حتى إنه إذا ذكر هذا اللقب مجرداً فإنه لا ينصرف إلا إليه . وكان الدكتور طه حسين قد استراب في هذا الخبر وفي خبر اشتراك كعب الأحبار في مؤامرة قتل عمر كما بيناه آنفاً في صفحة ٤٨ ، ويراجع ردنا على الدكتور طه حسين فيما سماه هنات وذلك في كتابنا . الأضواء الطبعة الثالثة .

(٢) مما يجب التنبيه عليه هنا أن بديع الزمان الهمذاني كان «ثقة في الحديث يعرف الرجال والمتون متعصباً لأهل الحديث والسنة (ص ١٦٢ ج ٢ معجم الأدباء) فكلامه هذا يعتبر ولا ريب طعناً صريحاً في أبي هريرة ورواياته ـ ولو كان لأبي هريرة قدر عند هذا العالم المحدث الكبير لما رماه بهذا النبذ المعيب الذي يلاحقه على مدّ العصور .

(٣) ص ١/٣٨٠ حلية الأولياء .

فجعل يأكل الطعام فنظر القوم إلى رسولهم ! فقال : ما تنظرون ! قد والله أخبرني أنه صائم . فقال أبو هريرة صدق . إني سمعت رسول الله (ص) يقول : صوم رمضان وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر ، وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر فأنا مفطر في تخفيف الله صائم في تضعيف الله . وهذا الخبر أورده ابن كثير بتغيير في بعض الألفاظ[1] .

وفي خاص الخاص للثعالبي[2] :

كان أبو هريرة يقول ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز ، وما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر !

ولنهمه بالطعام جعل الأكل من المروءة ! فقد سئل ما المروءة ؟ قال : تقوى الله وإصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالأفنية !

ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن المضيرة ، ونأخذ في الكلام عن غيرها .

وفي البداية والنهاية أن أبا هريرة كان يقول : اللَّهُمَّ ارزقني ضرساً طحوناً ، ومعدة هضوماً ودبراً نثوراً .

وقد أورد هذا الخبر الزمخشري في ربيع الأبرار[3] .

وقد أضربنا عن أخبار كثيرة غير ما أوردناه حتى لا نزيد في إيلام الحشوية وعبدة الأشخاص الذين يكرهون ذكر الحقائق .

ولا يؤاخذنا أحد إذا ذكرنا مثل هذه الأخبار لأن كبار العلماء قد ذكروها قبلنا ، ونحن قد نقلنا عنهم وناقل الكفر ليس بكافر .

حديث : زر غِبّاً تزدد حبّاً

لما رأى النبي كثرة غشيان أبي هريرة لبيوت المسلمين ، وتبرم أصحابها

---

(١) ص ١١١ ج ٨ من البداية والنهاية .

(٢) ص ٤٣ .

(٣) ص ١١٣ ج ٨ وص ١٢٥ وكتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار .

بـه ، أراد أن يلقنه درساً في الأدب حتى يفيء إلى القناعـة ، ويحفظ لنفسـه كرامتها - وكان صلوات الله عليه نعم المؤدب لأصحـابه يتـولاهـم دائماً بتـأديبه وحكمته ، ويغرس فيهم مكارم الأخلاق بكمال سيرتـه ، وما كـان له (ص) أن يذر مثل أبي هريرة على ما كان عليه من اقتحام بيـوت الناس في كـل وقت ، وأخـذ الطريق على أصحـابها على مـا لا يقضي به أدب الليـاقة - من غيـر أن يؤدبـه بأدبـه العالي وتـربيته الحكيمـة ، فقال لـه يومـاً : أين كنت أمس يا أبـا هـريرة ؟ قـال زرت أناسـاً من أهلي ، فقال : يـا أبا هـريـرة ، «زر غبّـاً تـزدد حبّاً» . ولكن أبا هريرة لم يرعو وظل على ما تعـود ، ومن أجل ذلـك لم يجد النبي بدّاً من أن يقصيه عن المدينة كما سيتبين لك ذلك فيما بعد .

أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

وكنا نشرنا كلمة بمجلة الرسالة[1] عن حديث - زر غبّـاً - وحديث أُنصـر أخاك نجتزىء منها هنا بما يلي لاتصاله بما نحن بصدده .

إن كلمة (أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) كانت مبدأ جاهليّاً مقرراً ، فلمـا جاء الإسلام نسخ ما كانت تعتقده الجاهلية من هذه العبارة ، وفسرها الـرسول بما يتفق ومبادىء الإسلام العادلة القويمة .

وقـد ذكر المفضـل الضبي في كتابـه الفاخـر أن أول من قـال : «أُنصـر أخـاك ظالمـاً أو مظلومـاً ، جندب بن العنبـر بن عمرو بن تيم ، وأراد بـذلـك ظاهره ، وهو ما اعتاده من حمية الجاهلية ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

إذا أنـا لم أنصر أخي وهـو ظـالم ... على القوم لم أنصر أخي وهو يُظلم

ولقد كان النبي يتكلم بما للعرب من أمثـال فلا يلبث الـرواة أن يصيروه من كلامه ويتلقاه الناس على أنه حديث ، وأصله ما علمت .

ومثل هذه الكلمـة المثل المشهـور «زر غبّاً تـزدد حبّاً» فقـد أورده رجال

---

(١) العدد ٩١٨ السنة ١٩/٥ فبراير سنة ١٩٥١ .

الحديث على أنه من قول النبي ودونوه في كتبهم ـ وكان أول من قالـه معاذ بن حزم الخزاعي فارس خزاعة .

وقد ذكر أبو حيان التوحيدي في كتابه (الصداقة والصديق)[1] ما يلي :

وقـال أبو هريرة : لقد دارت كلمة العرب «زر غباً تـزدد حباً»[2] إلى أن سمعت من رسول الله ، ولقد قالها لي .

قـال العسجدي : ليست هـذه الكلمة محمـولة على العـام ، ولكن لها مواضع يجب أن تقال فيها ، لأن الـزائر يستحقهـا ، ألا ترى أنـه صلوات الله عليـه لا يقول ذلك لأبي بكر ولا لعلي بن أبي طـالب وأشباههمـا ، فأمـا أبـو هـريرة فـأهل ذاك لبعض الهنـات التي يلزمه أن يكـون مجانبـاً لها ، وحـائـداً عنها .

وهنات أبي هريرة التي يغتمزه بها العسجدي أنه كان لنهمه يغشى بيوت الصحابة في كل وقت ، وكان بعضهم يزورّ عنه ، وينزوي منه ، فأراد الرسول أن يلقي عليـه درساً في أدب الزيارة فـذكر لـه المثـل العـربي «زر غبّـاً تـزدد حبّاً» .

وفي الزيارة المتواترة قال الشاعر :

وإذا شئت أن تقلى فـزر متـواتـراً   وإن شئت أن تـزداد حبّاً فـزر غبـاً

ولم يكتف الرسول صلّىٰ الله عليه وسلّم بهذا القول بل كـرره مرة ثـانية لما وجده لم يرجع عن طبيعته ، وأشار عليه بأن يسلك في الحياة طريقاً كريماً لابتغاء العيش ، بأن يعمل ولو بأن يحتطب !

وها هوذا يعتـرف بأنـه سمع هـذه النصيحة من النبي (ص) كمـا اعترف في حديث : زر غبّاً تزدد حبّاً .

---

(١) ص ٥١ .

(٢) قول النبي (ص) لأبي هريرة هذه الكلمة ثابت ولا يمكن لأحد أن يماري فيه وقد أورده فيلسوف العربية ابن جني في كتابه الخصائص ص ٨٩ ج ١ .

فقد روى أحمد والشيخان عنه أنه قال : سمعت رسول الله يقول : «والله لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يأتي رجلاً أغناه الله عزّ وجل من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه»[1] .

ويبدو أن الرسول صلوات الله عليه لما وجد أن طبيعة أبي هريرة قد استعصت عليه أقصاه عن المدينة إلى البحرين وسنعرض لهذا الأمر فيما بعد .

وإليك حديثاً رواه مسلم عن أبي هريرة نأتي به هنا لأنه يتصل بموضوعنا : شَرّ الطعام طعام الوليمة ، يُمنعها من يأتيها «أي بغير دعوة» ويدعى إليها من يأباها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله ! أي أنك إذا لم تجب الدعوة إلى الولائم لتتملأ منها فقد عصيت الله ورسوله ، بهذا يقضي أبو هريرة بمقتضى أحكام شريعته في الطعام !

مزاح أبي هريرة وهذره

أجمع مؤرخو أبي هريرة على أنه كان رجلاً مزاحاً يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة مزاحه وبالإغراب في قوله ، ليشتد ميلهم إليه ، ويزداد إقبالهم عليه .

قالت عائشة وهي أعلم الناس به في حديث المهراس : «لقد كان رجلاً مهذاراً»[2] .

---

(١) راجع صفحة ٤٩ من هذا الكتاب .

(٢) في لسان العرب مادة «هذر» الهذر هو الكلام الذي لا يعبأ به ، وهذر في كلامه كفرح . أكثر من الخطأ والباطل ؛ والهذر الكثير الرديء ، وقيل هو سقط الكلام والإسم الهذر وهو الهذيان . وحكى ابن الأعرابي : من أكثر أهذر أي جاء بالهذر ـ وقد أثارت كلمة عائشة هذه ثائرة ـ مصطفى السباعي ـ أحد الذين انتقدونا عندما قرأها في كتابنا «أضواء على السنة» وكذب خبرها ثم اندفع فألقى إلينا هذا التحدي «إن أحداً لم يصف أبا هريرة بأنه مهذار ! ونحن نتحداه أن يأتينا برواية صحيحة في هذا الشأن» وقد لف هذا التحدي في خرقة قذرة من السب والشتم الذي ملأ به كتابه ، وخصنا به ! وقد عجبنا أن يصدر هذا التحدي من مثله وهو ـ كما يزعم ـ رئيس قسم الفقه ومذاهبه

وإليك بعض ما أوردوه في مزاحه وهذره :

عن أبي رافع قال : كان مروان (ابن الحكم) ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعة وفي رأسه خلبة[1] من ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول :

الطريق ، قد جاء الأمير ! وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فينفر الصبيان فيفرون[2] .

ورواية ابن كثير «كأنه مجنون يريد أن يضحكهم فيفزع الصبيان منه ، ويفرون هنا وههنا يتضاحكون[3]» .

وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال :

أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب ـ وهو يومئذٍ خليفة لمروان فقال : أوسع الطريق للأمير[4] (يا ابن أبي مالك ، فقلت له : يكفي هذا ، فقال : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه)[5] .

= في جامعة دمشق وأستاذ الأحوال الشخصية في كليتي الشريعة والحقوق ـ ما أكثر الألقاب وما أحقر الهر . . . وكيف غاب عنه أن يطلع على هذا الخبر وهو في أكبر مصدر يجب على مثله أن يدرسه ويطلع عليه ؟ وهذا المصدر هو الإحكام في أصول الأحكام للآمدي الذي لم يؤلف مثله في موضوعه فليرجع إليه في الصفحة ١٠٦ من الجزء الثاني ونصه فيه «إن الصحابة أنكرت على أبي هريرة كثرة روايته ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها : رحم الله أبا هريرة لقد كان رجلاً مهذاراً» في حديث المهراس . أفهمت يا مولانا ، وهذا الكتاب طبع بمطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ ميلادية .

(١) الخلبة : الحلقة .
(٢) ص ١٢١ من كتاب المعارف لابن قتيبة وص ٤٤١ و٤٤٢ ج ٢ من سير أعلام النبلاء وص ٥٣ . ج ٤ /٢ طبقات ابن سعد .
(٣) ص ١١٣ ج ٨ من البداية والنهاية .
(٤) ص ٤٤٢ ج ٢ من سير أعلام النبلاء .
(٥) هذه الزيادة من الحلية لأبي نعيم .

وخلافة أبي هريرة لمروان على المدينة قد نـالها بعـدما اتصـل بمعاويـة وكان من أنصاره كما سنبينه في محله من هذا الكتاب .

* * *

إقصاء أبي هريرة إلى البحرين
ومدة صحبته للنبي (ص)

بينـا لك من قبـل كيف كـانت حيـاة أبي هـريـرة وهـو من أهـل الصفـة بالمدينة ، ولكي تعرف ماذا كانت حياته بعـدها ، نسـوق إليك نبأ ذلك لكي يتصل الحديث عن حياته كلها بعضه ببعض .

لبث أبو هريرة في الصفة يعاني فيها مـا يعاني كمـا وصف ذلك بلسـانه زمنـا يبتدىء من شهـر صفر سنـة ٧ هـ . وهو الشهـر الـذي وقعت فيـه غـزوة خيبـر ـ وينتهي إلى شهـر ذي القعـدة سنـة ٨ هـ ، ثم انتقـل بعـد ذلـك إلى البحرين وبذلك يكون قد قضى بالمدينة : سنة واحدة وتسعة أشهر[١] ـ لا كما اشتهـر بين الجمهور[٢] من أنـه قضى بـالمـدينـة حيـاة النبي ـ ثـلاث سنين ! وبعضهم أوصلها إلى أربع سنين !

وإليـك قصة ذهـابـه إلى البحـرين وإقـامتـه بهـا نـوردهـا لـك من أوثق المصادر ، وأصح الأسانيد[٣] .

---

(١) هـذه المدة مقـدرة على اعتبار أن وقعـة خيبر كـانت في شهر صفـر سنة ٧ هـ كمـا هو المشهور ولو نحن أخذنا بمـا روى ابن سعد في طبقـاته من أن هـذه الوقعـة كانت في جمادى الأولى لكانت مدة صحبة أبي هريرة للنبي أقل من عام ونصف عـام . وثم رواية أخرى ذكرهـا أبو سعيـد الخدري ورواهـا عنه ابن سعـد أنه خـرج مع النبي إلى خيبـر لثمان وعشرين في رمضـان ؛ فلو اعتمدنـا عليها لـرجعت صحبة أبي هـريرة للنبي إلى سنة واحدة وشهرين ! فحسب .

(٢) إن ما اشتهر بين الجمهور إنما كان أخذاً بما ادعـاه مـن أنه صحب النبي ثلاث سنين ـ ص ٤٧٦ ج ٦ فتح الباري .

(٣) رجعنـا في هـذا البحث إلى طبقـات ابن سعد وتـاريخ الـطبـري وسيـرة ابن هشـام والإستيعـاب لحافظ المغـرب ابن عبد البـر وابن خلدون وأسد الغـابـة وأعـلام النبـلاء والتـاريخ الكبيـر للذهبي والبـدايـة والنهـايـة لابن كثيـر ومعجم البلدان وفتـح البـاري والإصابة لابن حجر العسقلاني .

بعث رسـول الله (ص) منصرفـه من الجعرانـة[١] ـ بعـد أن قسم غنـائم حنين العـلاء بن الحضرمي إلى المنـذر بن ساوى العبـدي عامـل الفرس على البحرين[٢] وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة في الإبـل والبقر والغنم والثمـار يصدقهم على ذلك ، وأمره أن يأخـذ الصدقـة من أغنيائهم ، وبعث معـه نفراً كان فيهم (أبو هريرة) وقال له : استوص به خيراً[٣] .

فقال له العلاء : إن رسول الله قد أوصاني بك خيراً فانظر ماذا تحب ؟

فقال : تجعلني أؤذن لك ، ولا تسبقني بآمين ، فأعطاه ذلك[٤] .

فأسلم المنذر وحسن إسلامه وأسلم معه أهلها العرب ومن لم يسلم من

---

(١) الجعرانة ماء بين الطائف ومكـة وهو إلى مكـة أقرب وعلى هذا الماء وزع النبي مغـانم حنين وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ .

(٢) بلد مشهـور بالعـراق وهي بين البصرة وعمان وكان يسكن هـذه المنـطقـة قبـل الفتـح الإسـلامي خلق كثير من عبـد القيس وبكر بن وائـل وتميم وكـانت إذ ذاك تحت حكم الفرس . وقال البـلاذري عن المنذر بن سـاوى هذا إنـه من قوم كـانوا يعبـدون الخيل بالبحرين ص ٩٦ ج ١ من فتح البلدان .

(٣) أنظر نص اعتراف أبي هريرة نفسه بذلك فيما بعد .

(٤) يتبين من هـذا الخبر الصحيـح أن أبا هـريرة كـان لا يحسن شيئاً من أمـور الدين أيـام ذهـابه إلى البحـرين إلا (التأذين) فقـد روى البخاري في (بـاب جهر الإمـام بالتأمين) قـال : وكان أبـو هريـرة ينادي الإمـام (لا تفتني بآمين) هـذا لفظ البخاري ومن شـرح الحافظ ابن حجر لهذا الحديث «ومراد أبي هريرة أن يؤمن مع الإمـام داخل الصـلاة ، ومعناه : لا تنازعني بالتأمين الذي هو من وظيفة المأموم ـ وقد جـاء عن أبي هريـرة من وجـه آخر أخـرجه البيهقي قـال : كان أبـو هريـرة يؤذن لمروان فـاشتـرط أن لا يسبقـه بالصلاة حتى يعلم أنه دخل في الصـف وكأنه كان يشتغل بالإقامـة وتعديـل الصفوف ، وكان مروان يبادر إلى الدخول في الصلاة قبل فراغ أبي هريرة، وكان أبو هريرة ينهاه عن ذلك ومعلوم أن مروان تولّى المدينة في عهد معاوية أي بعـد سنة ٤١ هـ وقـد وقع لـه مع غير مروان فروى سعيد بن منصور من طريق محمد بن سيرين : أن أبا هـريرة كـان مؤذنـاً بالبحـرين ، وأنه اشتـرط على الإمام أن لا يسبقـه بآمين والإمـام بالبحـرين كان العلاء بن الحضرمي ، بينه عبد الرزاق من طريق أبي سلمـة عنه ص ٢٠٨ و٢٠٩ ج ٢ فتح الباري .

مجوس تلك البلاد صالحهم على الجزية .

ومات المنذر بن ساوى بعد رسول الله قبل ردة أهل البحرين ـ والعلاء عنده أميراً لرسول الله .

ولما ارتد أهل البحرين فيمن ارتدوا بعد موت رسول الله ـ بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي في جيش من المسلمين لمحاربة المرتدين **وبينه وبينهم البحر يعني الرقراق ، فمشوا فيه بأرجلهم وقطعوا كذلك مكاناً تجري فيه السفن** ، وحاربهم وانتصر عليهم ـ وبذلوا الزكاة ثم سار إلى مدينة دارين فافتتحها وظل يقاتل هناك حتى مات أبو بكر والعلاء على البحرين ، وتولى عمر والعلاء على البحرين وكان حينئذٍ محاصراً لأهل الردة[١] ، ثم بعث إليه : أن صر إلى عتبة بن غزوان[٢] فقد وليتك عمله ـ فخرج العلاء في رهط منهم (أبو هريرة) وولى عمر على البحرين قدامة بن مظعون[٣] ثم عزله في سنة ٢٠ كما روى الطبري لأنه شرب الخمر واستعمل أبا هريرة بعده وكان يومئذٍ لا يزال هناك .

ولأن العلاء بن الحضرمي قد تولى البحرين عهد النبي وعهد أبي بكر وعمر ، فقد قال الذهبي ولاه رسول الله (ص) البحرين ثم وليها لأبي بكر وعمر[٤] .

اضطرابهم في أخبارهم :

ولا بد لنا هنا من أن نشير إلى بعض أمور مما اضطربت أخبارهم فيها ، وتناقضوا ـ كعادتهم ـ في ذكرها ، وأهملوا العقل والمنطق في فهمها .

---

(١) ص ٥١٨ ج ٢ من الاستيعاب لابن عبد البر .
(٢) عتبة بن غزوان أسلم سابع سبعة ، وكان من الأمراء الغزاة وهو الذي اختط البصرة وأنشأها وهو الذي مصرها لما استعمله عمر عليها وبنى بها مسجداً ولم يبن بها داراً ، توفي سنة ١٨ وقيل سنة ١٥ (له حديث في مسلم) .
(٣) قدامة بن مظعون من السابقين البدريين .
(٤) ص ١٩١ ج ١ سير أعلام النبلاء للذهبي .

فمن ذلك : أنه بينما تترادف الأخبار بأن النبي صلوات الله عليه قد ولى العلاء بن الحضرمي البحرين وتوفي (ص) وهو عليها ، فأقره أبو بكر خلافته كلها عليها ، ثم أقره عمر وتوفي في خلافة عمر[1] وأن هذه الأخبار يعززها ما جاء في الاستيعاب لابن عبد البر قال : مات أبو بكر والعلاء محاصر لأهل الردة[2] فأقره عمر . وذلك لأن أبا بكر كان قد عهد بمحاربة المرتدين في البحرين إليه . . والردة كما هو معلوم كانت بعد وفاة النبي (ص) .

وبينما يتفق كثير من المؤرخين على أن العلاء بن الحضرمي قد ظل عاملاً على البحرين بعدما أرسله النبي (ص) إليها إلى سنة ٢١ هـ . وأن عمر قد استعمل في هذه السنة أبا هريرة مكانه ، إذ بهم يقولون إن العلاء قد توفي سنة ٢٠ هـ . وإن عمر ولى أبا هريرة قبل موت العلاء وإن العلاء قد أتى «تَوّج» من أرض فارس وعزم على المقام بها ثم رجع إلى البحرين فمات هناك ، ثم تأتي رواية أُخرى لأبي مخنف ذكرها البلاذري في فتوح البلدان أن عمر كتب إلى العلاء وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه ، وولى عثمان بن العاص الثقفي البحرين وعمان ؛ فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل إليها حتى مات وذلك في سنة ١٤ هـ . أو سنة ١٥ هـ . ثم إن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحي جباية البحرين ثم عزله وحدّه على شرب الخمر ، وولّى أبا هريرة مكانه ثم عزله وقاسمه ماله ثم ولّى عثمان بن أبي العاص البحرين وعمان !

بينما يقولون ذلك كله إذ بهم يذكرون في تأريخ أبان بن سعيد أن رسول الله استعمله على البحرين بعد أن عزل العلاء عنها فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله فرجع إلى المدينة **وقال : لا أعمل لأحد بعد رسول الله ، ونحن أبناء بني أُحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله !** وكأنه أنف من أن يعمل

---

(١) جاء ذلك الخبر بلفظه صريحاً في الاستيعاب ص ٥١٨ ج ٢ وأسد الغابة ص ٧ ج ٤ الإصابة ص ٢٥٩ ج ٤ وسير أعلام النبلاء ص ١٩١ ج ١ .

(٢) ص ٥١٨ ج ٢ .

تحت إمرة أبي بكر التيمي . ثم تخرج رواية بأنه لما عاد أبان إلى المدينة غير راغب في الولاية دعا أبو بكر العلاء بن الحضرمي وقال له : إني وجدتك في عمال رسول الله الذين ولّى فرأيت أن أوليك ـ ما كان رسول الله ولاك ، وظل إلى أن توفي أبو بكر وولي عمر ، وفي خبر أن أهل البحرين سألوا أبا بكر أن يرد عليهم العلاء ففعل ، ثم يعودون بعد ذلك كله فيقولون : إن أبان هذا قد عمل لأبي بكر على بعض اليمن !!

كل هذا وغيره من التناقض والتخليط قد حشوا به كتبهم وهو كثير لا يمكن تفصيله وإنما أشرنا إلى بعضه[1] .

ومن تناقضهم كذلك : أنه على رغم اعتراف أبي هريرة نفسه بأن النبي قد بعثه إلى البحرين كما مرّ بك ، وأنه رأى بعينه حرب المرتدين هناك مع العلاء وزعمه بأنه شاهد الخوارق التي وقعت من العلاء في هذه الحرب كخوضه لخليج البحر ، وسيره بفرسه على وجه الماء . . . الخ ما خرف به وتلوته قريباً ـ ثم شهادته على قدامة عندما شرب الخمر وهو في البحرين ـ على رغم ذلك كله وغيره من الأدلة القاطعة ، والقرائن الصحيحة التي تقطع بوجوده في البحرين من يوم أن ذهب مع العلاء بن الحضرمي ـ يأتي ابن حجر الذي يقولون عنه بأنه أمير المؤمنين في الحديث فيروي من مزاعم أبي هريرة هذا الخبر بغير مناقشة ولا اعتراض ، كأنه من الأخبار الصحيحة كعادتهم في تصديق كل صحابي فيما يرويه مهما كان ، على حين أنه ينادي على نفسه بأنه كذب محض وهذا الخبر هو :

---

(١) من أراد أن يطلع على تفصيل هذا التناقض والتخليط في هذا الأمر فليرجع إلى الاستيعاب لابن عبد البر ص ٥١٨ ، و٥٤٨ ج ٢ طبعة الهند ، وإلى الكامل لابن الأثير ص ١٦ ج ٣ طبعة ليدن ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ص ٢٩٤ ؛ ج ٥ طبعة ليدن وطبقات ابن سعد ص ٧٧ ـ ٧٩ ج ٢ طبعة ليدن وسير أعلام النبلاء للذهبي ص ١١٦ و١٨٩ ص ١٩٢ ج ١ وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٥٢٩ ج ١ وأسد الغابة لابن الأثير ص ٣١ ج ١ وص ٧ و١٩٩ ج ٤ والإصابة لابن حجر ص ٧ و٢٥٩ ج ٤ و٢٣٣ ج ٥ والبداية والنهاية ص ١٢٠ ج ٧ وفتوح البلدان ص ٩٩ ـ ١٠٤ ج ١ .

«قدمت ورسول الله بخيبر وأنا يومئذٍ قد زدت على الثلاثين ، فأقمت معه حتى مات !!! أدور معه في بيوت نسائه !! وأخدمه ـ وأغزو معه وأحج فكنت أعلم الناس بحديثه»[1] .

وهذه المتناقضات وغيرها مما لا نعرض له ، لا نعنى بها ، ولا نلتفت إليها ، وندعها لأصحابها !! وإنما الذي يهمنا ويعنينا ويجعلنا لا نحول وجهنا إلى غيره مهما كان ، ومهما كان قائله ـ هو إثبات وجود أبي هريرة في البحرين من يوم أن ذهب إليها مع العلاء بن الحضرمي في شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ . وأنه ظل هناك ولم يعد إلى المدينة إلا بعد وفاة النبي صلوات الله عليه بسنين طويلة ـ لكي يتبين للناس كافة مقدار الزمن الصحيح الذي قضاه تحت ظل الصفة بمسجد المدينة في حياة النبي (ص) ، وهذا الزمن هو عام وتسعة أشهر فقط ، وهذه حقيقة ثابتة لا يستطيع أحد أن يدفعها ، أو يماري فيها . ومن كان عنده دليل صحيح يثبت عودته من البحرين إلى المدينة في عهد النبي فليبده ، ونحن لا نجد ما يمنع من تصديقه .

أما ما زعمه هو وروته عنه كتب السنة ، من أنه أقام مع النبي حتى مات أو صحب النبي (ص) حتى مات ! فهذا كله محض افتراء منه وممن رووه عنه . ولا يمكن لعاقل أن يستمع إليه ، أو يعول عليه . اللَّهُمَّ إلا إذا كان قد فقد عقله ومنطقه .

* * *

يتبين مما ذكرنا آنفاً أن أبا هريرة قدم من بلاده على النبي وهو بخيبر سنة ٧ هـ . وأن النبي بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين بعد منصرفه من الجعرانة[2] بعد أن قسم مغانم خيبر ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ . وبذلك تكون مدة إقامته بجوار النبي ـ مقيماً مع أهل الصفة تبتدىء

---

(١) ص ٢٠٥ ج ٧ من الإصابة .

(٢) ص ٧٠ و٧٧ ج ٤ ق ٢ من طبقات ابن سعد وكذلك ورد هذا الخبر في كثير من المصادر الموثوق بها كالإصابة لابن حجر ص ٢٠٤ ج ٧ .

من شهر صفر سنة ٧ هـ . وتنتهي في شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ ، وإذا حسبناها وجدنا أنها لا تزيد على سنة واحدة وتسعة أشهر فقط !

وهاك نص ما قاله أبو هريرة في ذلك ونقله ابن سعد في طبقاته الكبرى (ص٧٧ ج٤ ق٢) عن سالم مولى بني نصر قال :

سمعت أبا هريرة يقول : بعثني رسول الله (ص) مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه بي خيراً ؛ فلما فصلنا قال لي :

إن رسول الله قد أوصاني بك خيراً ، فانظر ماذا تحب ؟ قال قلت : تجعلني أؤذن لك ولا تسبقني بآمين .

فأعطاني ذلك[١] .

وقد جاء هذا الخبر بحرفه في الإصابة لابن حجر العسقلاني (ص٢٠٤ ج٧) وإليك نص ما قاله :

بعثني رسول الله مع العلاء بن الحضرمي فأوصاه بي خيراً ، فقال لي : ما تحب ؟ قلت : أؤذن لك ولا تسبقني بأذاني .

ولما ذهب إلى البحرين ، كان عمله هناك (التأذين) كما طلب هو ، ولو أن العلاء كان يأنس من أبي هريرة القدرة على أداء أي عمل ديني ، لما قال له : أنظر ماذا تحب ؟

وكذلك لو كان النبي يعلم منه أنه كفيّ للقيام بأي أمر من أمور الدين لقال للعلاء وهو يوصيه : إني أرسله معك ليعلم الناس دينهم ، كما كان يرسل غيره مثل معاذ بن جبل وابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري[٢] ـ الذي

---

(١) راجع ص ٤٦ .

(٢) قدم أبو موسى على النبي عند فتح خيبر كما علمت ولم يلبث أن صار له شأن فولاه رسول الله مخاليف اليمن وولاه عمر البصرة ثم عزله بعد أن قاسمه ماله ، وولاه عثمان الكوفة فعزله علي ، من أجل ذلك انقلب على عليّ وأخذ يطعن فيه وانحرف عنه يوم الحكمين ، ونال بذلك مكانة عظيمة عند معاوية ، قال ابنه أبو بردة : إن معاوية لم =

أسلم مع أبي هريرة في وقت واحد ـ وغيرهم ـ ليعلموا الناس دينهم ![1] .

ويخلص من ذلك كله ، أن أبا هريرة لم يكن كما قلنا يفقه شيئاً من أمور الدين ينفع الناس به في زمن النبي (ص) وزمن أبي بكر وعمر وعثمان وسنثبت ذلك بأدلة قوية أخرى فيما بعد إن شاء الله .

أما التأذين الذي كان يحسنه مع العلاء بن الحضرمي ، وظل يؤديه إلى زمن مروان بن الحكم الذي كان والياً لمعاوية على المدينة بعد سنة ٤١ هـ . التي تم فيها الغلب للطليق معاوية . فيبدو أن إحسان أبي هريرة له إنما جاءه ، لأنه كان يجيد الحداء في زمن شبابه أيام خدمته لابن عفان وبسرة ابنة غزوان ـ وبذلك يثبت ثبوتاً قاطعاً صحة ما حققه ابن سعد في طبقاته وغيره من أن أبا هريرة لم يظهر بالفتوى والتحديث إلا بعد مقتل عثمان ـ وسنأتيك بما ذكره ابن سعد وغيره في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

ومن الأدلة القوية التي نسوقها لإثبات وجود أبي هريرة في البحرين - غير ما قدمناه آنفاً ـ أن العلاء لما غزا زارة[2] ودارين[3] في خلافة عمر بن الخطاب رأى أبو هريرة أن يهتبل هذه الفرصة لكي يزدلف بشيء إلى مولاه العلاء ، فأخذ يظهر براعته في تصوير ما بهره مما زعم أنه (شاهده بنفسه) من بطولة العلاء وشجاعته في هذه الغزوة مما يجعله في منزلة سعد بن أبي وقاص أو خالد بن الوليد في البطولة .

وكان كلامه في ذلك أقرب إلى الخرافات منه إلى الحقيقة ، وإليك شيئاً مما قاله لكي تقف على مقدار براعته وتفننه في الرواية !

زعم غفر الله له : أنه كان مع العلاء بن الحضرمي لما بعث في أربعة

= يغلق دونه باباً ، ولا كانت له حاجة إلا قضيت ، وذلك لولاء أبيه لمعاوية .

(١) قال الغزالي في المستصفى إنه قد تواتر أن الرسول (ص) كان لا ينفذ أمراءه وقضاته ورسله وسعاته إلى الأطراف إلا لقبض الصدقات وحل العهود وتبليغ أحكام الشرع (ص ٩٦ ج ١) . ليس أبو هريرة من هؤلاء جميعاً في شيء .

(٢) زارة قرية كبيرة بالبحرين .

(٣) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك وغيره من الهند .

آلاف إلى البحرين فانطلقوا حتى أتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلهم أحد ! ولا يخوضه بعدهم أحد ! **وأخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء ! وسار الجيش وراءه ، قال : (فوالله) ما ابتل (لنا) قدم ولا خف ، ولا حافر !**

وفي حديث آخر (رأيت) من العلاء أشياء لا أزال أحبه أبداً ، قطع البحر يوم دارين وقدم يريد البحرين ، فدعا الله بالدهناء ، فنبع لهم ماء فارتووا، ونسي رجل منهم بعض متاعه فرد عليه فلقيه ولم يجد الماء ، ومات ونحن على غير ماء فأبدى الله لنا سحابة فمطرنا فغسلناه ، وحفرنا له (بسيوفنا) ودفناه ولم نلحد له !

وفي رواية له قال : دفنا العلاء ، ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجد العلاء في اللحد .

وكل الذي هول به أبو هريرة لم تكن حقيقته إلا أن جيش العلاء لما تحصن منه في دارين جمع من المحاربين له ـ وكان الماء يفصل بينهم دله كراز النكري[1] على مخاضة في الماء فخاضها العلاء بجيشه ووصل إلى دارين وفتحها ، وقد عبر إلى دارين من مخاضة كان يخوض منها الناس وأن كراز النكري هو الذي دلهم عليها[2] .

وما كان تهويل أبي هريرة هذا إلا ليتقرب بذلك إلى العلاء ليجعله من كبار قواد المسلمين ، ثم ليثبت لنفسه أنه كان في هذه الوقعة من أبطال المحاربين .

من هذا كله يتبين بما لا شك فيه أن أبا هريرة قد ظل بالبحرين من يوم

---

(١) النكري بضم فسكون فخذ من بني ثعلبة .

(٢) إرجع في ذلك إلى الاستيعاب لابن عبد البر ، والإصابة لابن حجر ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، ومعجم البلدان ، وفتوح البلدان للبلاذري ، وطبقات ابن سعد وص ١٦٢ من كتاب عبدالله بن سبأ للعلامة مرتضى العسكري من كبار علماء العراق الطبعة الثالثة .

أن بعثه النبي مع العلاء في سنة ٨ هـ . ولم يعد إلى المدينة لا في عهد النبي (ص) ولا في عهد أبي بكر ، وهذا ينافي قطعاً ما زعمه هو من أنه كان مع أبي بكر في حجته سنة ٩ هـ ؛ ويثبت ما قلناه ثبوتاً قاطعاً لا ريب فيه أن مدة صحبته للنبي (ص) كانت من شهر صفر سنة ٧ هـ . إلى ذي القعدة سنة ٨ هـ . لا كما هو مشهور لدى الجمهور من أنه صاحب النبي ثلاث سنين ! أخذاً بروايته هو !

ولا بد لنا ـ لكي نمتلخ عروق الشك فيما أدى إليه بحثنا الذي لم يصل إليه أحد من قبلنا ـ من أن نقول إن أبا هريرة لم يصاحب النبي (ص) غير عام وتسعة أشهر ، لأن المشهور أنه صاحب النبي ثلاث سنين ـ ورفعها بعضهم إلى أربع !

وأول شيء نعرض له في صدر بحثنا هو ما ذكره بعض المؤرخين من أن أبا هريرة عاد مع العلاء إلى المدينة في حياة النبي بعد أن أقصاه إلى البحرين ، حتى لا يتشبث بهذا الخبر أحد من الذين يصدقون بكل ما ينشر في الكتب بغير أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن حقيقته فنقول :

إن هذا الخبر الذي شذ به بعضهم لم يذكره أحد من كبار المؤرخين ، ولا أتى به راوٍ من ثقات المحدثين ، ولو أنه كان صحيحاً لجاءوا به ولكان مشهوراً بينهم ، ومن أجل ذلك تراه متهافتاً يحمل في طياته برهان بطلانه ، وعلة كذبه ، وقد أرسله (واضعه) بغير زمام ، فلم يسنده بدليل ثابت ، أو يؤيده بسند صحيح ، وكذلك لم يبين فيه هل كان ذلك بأمر النبي ، كما أمر بإبعاده ، أو أن العلاء الذي حمله إلى البحرين قد رده لأمر أتاه ؟ أو أن أبا هريرة قد عافت نفسه الحياة في البحرين واستوخم مناخها فانقلب عنها ! أو أنه قد ملّ عمل التأذين فعاد إلى النبي ليعهد إليه بأمر آخر ؟؟ كل ذلك لم يتبين ! وكل ذلك مجهول لا يعرف .

وكذلك لم يتضح : في أي زمن عاد أبو هريرة إلى المدينة حتى تعرف المدة التي قضاها في البحرين فتطرح من مدة صحبته للنبي (ص) ! ولا في

أي وقت كان رجوعه إلى البحرين ثـانية ، وقـد ثبت أنه كـان هناك مـع جيش العـلاء الذي حـارب المرتـدين في عهد أبي بكـر ـ وكان ممـا زعمه في هـذه الحرب أنه خاض الخليج على فرسه !! مع العلاء وجيشـه ، وأيد زعمـه هذا بيمين غمـوس ـ كعـادتـه ـ هـذا نصـه **«فـوالله مـا ابتـل لنـا قـدم ولا خف ولا حافر»** ؟!

كل ذلك وغيره لم يفصح عنه (واضع الخبر) حتى يكون لخبـره وزن ، ولكلامه اعتبار !

وعلى فرض صحة الخبر وقولهم : إن أبـا هريـرة قد ظـل بالمـدينة مـع النبي إلى أن قـامت حروب الـردة فبعثه أبـو بكـر فيمن اختـارهم ليكـونـوا في جيش العلاء في حربه ، فإنا نذكر أن هذا القول يدفعـه ويدحضـه ما علم من تاريخ أبي هريرة ، ـ فهـو لم يكن من أبطال الحـروب ولا فرسـان الملاحم ، حتى يختاره أبو بكر فيمن اختارهم ليحاربوا مع العلاء ! وإنما كان بطبيعته وما جبلت عليه نفسه ، لا يصلح لخـوض غمرات الحـروب وحمل السيـوف ، لا فارساً (ولا راجلاً) بل كان ـ كما هو مشهور عنه ـ جباناً رعديـداً ـ على أن هذا القول لم يذكره أحد من الثقات . وسنبين لك فيما بعد مثلاً من شجاعته .

وكأن هذا الخبر قد (وضع) لكي يثبتوا به صدق أبي هريرة فيمـا ادعاه ـ ورواه عنـه البخـاري . من أنـه صـاحب النبي ثـلاث سنين . . لأنـهم لا يستطيعون أن يشكو فيما يروى اتباعاً لقاعدتهم التي ألزموا بها أنفسهم ، وهي تصديق كل صحابي في جميع ما يرويـه ، لأنهم بزعمهم كلهم عـدول[1] ولو كان فيه ما فيه !!

على أن هذا الخبر (الموضوع) الذي اجتلب لتأييد أبي هريـرة لم يحل المشكلة ولم يغير من وجه الحقيقـة شيئاً ـ ذلـك أنهم **قد أجمعـوا على أمرين في تـاريخ أبي هـريرة** ، **أولهمـا : أنه أسلم بعـد فتح خيبـر في سنـة ٧ هـ** .

---

(١) راجع فصل عدالة الصحابة في كتابنا أضواء على السنة الطبعة الثالثة .

وثانيهما أن النبي قد أقصاه من المدينة إلى البحرين في العام الثاني من إسلامه أي في سنة ٨ هـ . فأي زمن يقضيه في البحرين سواء أكان قليلاً أم كثيراً فإنه ينقص ولا ريب من السنين الثلاث المزعومة ـ وبذلك ينهدم أساس هذا الادعاء وتنهار قواعده ، على رأس من وضعه ، وتفصح الرغوة عن الصريح ، ويصبح ما حققناه هو الصحيح ، والحمدلله على توفيقه .

على أني لا أدري ما جداء هذا اللجاج والتشبث بالأخبار الواهية لدفع ما هو صحيح ثابت ؟ وهبه قد عاش بجوار النبي ثلاث سنين كما زعموا ! أو أربعاً كما افتروا ، أو أكثر من ذلك ! فهل ترى ذلك مغيراً شيئاً مما وجه إليه من تهم ؟ وما نفذ إلى رواياته من شك ؟

وهل طول زمن الصحبة وحده لمثل أبي هريرة يكون سبباً في أن يخلع على شخصه رداء العدالة والثقة ، وأن يكسب مروياته رواء الصحة والصدق ؟؟

إن ذلك كله وغيره لا يجدي ولا ينفع !! ذلك بأنه هو هو أبو هريرة ملفف بتاريخه وما قيل فيه ، حتى لو قضى حياته كلها بجوار النبي خادماً أو صاحباً !!

جبن أبي هريرة

قرأت في الصفحات الماضية شيئاً من أخبار حرب الردة وما زعم أبو هريرة من أنه كان له فيها سيف وفرس ! وكأني بك قد حسبت أن ما زعمه أبو هريرة كان صحيحاً ! وأنه قد شهد هذه الحرب وكان من أبطالها الذين اصطلوا بنارها ! ولكنه في حقيقة الأمر كان بعيداً عنها كما هو شأنه في غيرها من سائر الحروب الإسلامية التي وقعت ، ذلك بأنه لم يدخل في أية حرب منها سواء في عهد النبي (ص) أو في عهد الخلفاء ، وذلك بأن الله قد حرمه نعمة الشجاعة وخلقه جباناً رعديداً ، ولقد كان هذا الجبن من أسباب إبعاده عن المدينة إلى البحرين !

وقد حاول مرة أن يخرج على جبنه ويتشبه بالرجال وينازل الأبطال فذهب يحارب في غزوة مؤتة التي وقعت في جمادى الأولى سنة ٨ هـ ـ وما كاد يسمع صليل السيوف ويرى لمعان الأسنة حتى غلب عليه طبعه فجبن وهلع وولّى الأدبار ولاذ بالفرار ، ولما عيروه بفعلته هذه لم يجد جواباً يدفع به عن نفسه واستخذى ! .

ولو أنت رجعت إلى كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري[١] لوجدت في الصفحة الثانية عشرة من الجزء الثاني ـ أن أبا هريرة يعترف بهذا الفرار ويتوارى منه خجلاً حتى من ابن عمه ، ولا يدري ماذا يقول له !

وهاك ما جاء في هذه الصفحة :

وعن الأعرج[٢] عن أبي هريرة قال : لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام فقال : إلا فرارك يوم مؤتة ؟ فما دريت أي شيء أقوله له !

ومن العجيب أن يأتي في آخر الزمان من يأتون بفرية مفضوحة ويزعمون أن أبا هريرة قد شهد حروب النبي كلها ! ثم اشترك بعد ذلك في حروب الردة[٣] .

وإنا نتحداهم جميعاً أن يثبتوا أنه قد حضر غزوة أو سرية واحدة مع النبي (ص) أو أنه قد شهد حروب الردة أو غيرها !!

---

(١) نقلنا هذا الخبر عن المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية والمسجلة برقم ٦١٧ (حديث) .

(٢) الأعرج صاحب أبي هريرة هو عبدالرحمٰن بن هرمز ويكنى أبا داود مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب خرج إلى الإسكندرية فأقام بها حتى توفي سنة ١١٧ هـ ـ ص ٢٠٥ من كتاب المعارف لابن قتيبة .

(٣) أنظر ما كتبناه عن كتاب ظهر حديثاً ألفه طائفة من شيوخ الأزهر وجامعة القاهرة لشخص اسمه العجاج الخطيب .

سبب إقصاء أبي هريرة عن المدينة

ذكرنا من قبل نبأ إقصاء أبي هريرة عن المدينة إلى البحرين ولم نبين سبب هذا الإقصاء الذي لم يصب غيره من الصحابة جميعاً ـ وقد رأينا أن نقدم كلمة في هذا الأمر الذي يجب أن يطيل الباحث نظره فيه .

لم يبين النبي صلوات الله عليه السبب الذي من أجله أبعد أبا هريرة عن المدينة ، إلى البحرين ، ولم يعرف الناس ما هي العلة في أن ينتهي أمر هذا الرجل الذي قدم من بلاده ليخدم النبي على ملء بطنه ، إلى هذا المصير الذي لم ينته إليه أحد غيره من الصحابة جميعاً ، ومما لا خلاف عليه أن النبي لا يصدر منه شيء عبثاً ، بل كل أعماله إنما يأتيها لحكمة بالغة ، ظاهرة كانت أو باطنة .

ولو نحن أردنا أن نتوسل بالقرائن التي تعد من الأدلة القوية في القضايا ، ونستعرض الأمور بملابساتها ، ونظرنا فيما يقضي به العقل والاستنتاج المنطقي ، ثم رجعنا ـ بعد ذلك كله ـ إلى مفتاح شخصية (أبي هريرة) ، الذي حدثناك عنه من قبل[1] والذي نستطيع أن نفتح به كل مغلق من نزعاته النفسية ـ لعلنا نصل إلى معرفة سبب إقصائه عن المدينة ، فإنا بذلك كله يمكنّا أن نرد هذا السبب ـ ونحن مطمئنون ـ إلى ما بدا من شرهه للطعام ، وإيغاله في التطفل على الناس بغير وازع من أدب ، ولا رادع من عفة ، وأنه لإشباع نهمه كان يقتحم كل سبيل ويركب كل صعب .

وما ظنك برجل يتصدى للصحابة في طرقهم أنّى ساروا ملحّاً عليهم أن يطعموه ، وبخاصة الكبار منهم كأبي بكر وعمر ويلاحقهم في سبيلهم حتى تضيق منه صدورهم ، فيضجرون منه ، ويزورون عنه ويفرون !

هذا هو أبو هريرة وقد كان لأشعبيته لا يدعهم حتى يدخلوا بيوتهم ، ويضطروا إلى أن يقفلوا في وجهه أبوابها ، هرباً منه وتخلصاً ، كما اعترف هو بذلك ورواه عنه البخاري فيما نقلناه من قبل .

(١) راجع ص ٥٢ .

ولم يقف الأمر عند ضجر كبار الصحابة ونفورهم بل كان يذهب إلى مكان عزيز من النبي (بين منبره وحجرة عائشة) فيتماوت ويمثل مشهداً تشمئز منه النفوس الأبية ، وتنفر منه الطباع الكريمة .

وهذا المشهد كان لا يفتأ يأتيه في هذا المكان العزيز من النبي ـ إنما كان ولا جرم مما يؤذي النبي ، ويبعث في نفسه الأسى ـ أن يكون بين من ينتمون إليه ، ويُحسبون عليه ، من يبدو أمام الناس كل يوم في هذه الصورة المزرية المشينة !

وما نذكره هنا ليس من عندنا ، ولا نفتري عليه به ، وإنما هو أمر ثابت لا ريب فيه وذلك باعتراف أبي هريرة نفسه ، **فقد روى البخاري عنه هذا الحديث «لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليَّ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون ! وما بي من جنون ! ما بي إلا الجوع[(١)]»** .

ولا ريب في أنهم ما كانوا ليفعلوا ذلك معه إلا استهانة به ، وازدراء له ، إذ لو كان له حرمة عندهم ، أو مكانة لديهم ، لأشفقوا عليه وأعانوه ولم يطأوا عنقه ! .

ولما رأى النبي ذلك كله منه أراد أن يؤدبه بأدبه العالي ويردعه لكي يقلع عن هذه العادة الذميمة فنصح له أول الأمر بأن يزور الناس غبّاً[(٢)] ولكن غلبته نفسه ، واستعصت عليه طبيعته ، فلم يستمع إلى هذه النصيحة الغالية واتبع هواه ، ولما رأى النبي أن هذه النصيحة لم تبلغ منه ، عززها بقوله في حديثه الشريف على مسمع منه «والله لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يأتي رجلاً أغناه الله عزّ وجل من فضله فيسأله أعطاه أو منعه»[(٣)] .

---

(١) ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ج ١٣ من فتح الباري ويرجع إلى ملاحقته لكبار الصحابة فيما أوردناه من قبل نقلاً عن البخاري .

(٢) راجع صفحة ٦٤ .

(٣) رواه أحمد والشيخان .

وبديهي أنه صلوات الله عليه بعد أن عيل صبره لم ير مناصاً من التفكير في إقصائه عن المدينة ليتخلص منه ، وليريح الناس من ملاحقته إياهم ، إذ لا يصح أن يكون بين أصحابه ، ومن يعيشون بجواره ، من لم يحمل نفساً أبية عفيفة قانعة .

ومما نزيده توكيداً لذلك وتأييداً أن كثيراً من أهل الصفة الذين كان يعيش بينهم لم يفعل واحد منهم مثل ما فعل ، فيخرج منها ليستطعم الناس مهما بلغ به الجوع ، بل كان كثير منهم لا يرضون بعيشتهم فيها ، ولا يطيقون المقام بها ، ويهتبلون الفرض لمغادرتها ، يضربون في الأرض ، ويأكلون بسعيهم من رزق الله .

أما أبو هريرة فقد أخلد إليها ، لا يريم عنها ثم كان (وحده) من دون إخوانه جميعاً لا ينتظر حتى يأتيه طعامه مما يجود به النبي أو غيره من الصحابة ، بل كان يخرج من الصفة ليتكفف الناس ، وهذه صفة لا تقبلها نفس كريمة ولا يرضى عنها النبي (ص) بل يمقتها مقتاً شديداً ، لأنه يريد من أصحابه وسائر من يتبعونه أن يكونوا شرفاء النفس متردين برداء العفة ، لا يعيشون من فضلات الناس ، وإنما يأكلون من كسب أيديهم ولو أن يحتطبوا ، لأن هذه الفضلات إن هي إلاَّ أوساخٌ .

ومما يجب ملاحظته هنا ، أن من المستحيل أن يأتي رجل من مكان سحيق ليخدم آخر متطوعاً بغير أجر إلا أن يملأ بطنه ، ثم يكون الطرد جزاؤه !

إن هذا لما تأباه كل نفس كريمة وبخاصة ـ عند العرب ـ فما بالك إذا كان ذلك من النبي صاحب الخلق العظيم ، والذي أتى إلى الناس بمكارم الأخلاق .

وإذا كان ذلك مما لا يصدقه أحد ، ولا يسلم به عاقل ، فإن الذي يقضي به العقل الصريح ، ويحكم به المنطق الصحيح ، أن النبي (ص) لم يُخرج أبا هريرة من المدينة إلا لأسباب قوية ، لا يمكن الصفح عنها ، أو

التسمح فيها ! وليس هناك من أسباب أقوى وأظهر مما بيناه .

هذا ومما لا ريب فيه أن النبي (ص) وهو الخبير بطبائع أصحابه ، لو كان يعلم أن في أبي هريرة خيراً وفضلاً ، وأنه أهل لصحبته لأبقاه بجواره ليستضيء بنوره ، كسائر أصحابه ، ولكنه لما علم فيه أنه غير صالح لصحبته ، أقصاه عن هذا النور النبوي ، ولم يرض أن يظل منه قريباً .

ومن العجيب أننا لم نر النبي صلوات الله عليه قد صنع مع أحد من أصحابه جميعاً حتى المنافقين منهم مثل ما صنع مع أبي هريرة ، وبخاصة فإنه لم يخالفه في شيء ، وإنما كان يبعث من يبعث من أصحابه إلى مختلف البلدان ، إما ليعلموا الناس ، أو ليكونوا ولاة عليها أو مُصدقين فيها ، أو رسلاً وسفراء بينه وبين من يحكمونها كما بينا من قبل .

* * *

وثم أمر خطير وراء ذلك يُعتبر بالغ الأهمية ، وهو أقوى وأشد في نقيصة نهمه وشرهه ، يستوجب ولا ريب نفور النبي منه ، وعدم رضاه عنه ، ذلك هو ما بدا من جبنه ، وهلعه في غزوة مؤتة ، التي تكلمنا عنها من قبل إذ فر منها وولى مدبراً عندما احتدم القتال ، مما جعل الصحابة جميعاً يزدرونه ويعيرونه بهذه الفعلة التي انفضح بها ، ذلك بأن الشجاعة الحربية كانت أول صفة حميدة في العربي !! وقد قتل في هذه المعركة زيد بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة .

ومثل هذا الجبان الرعديد لا يرضى به النبي صاحباً ، ولا يقبل أن يكون له جاراً ؛ وهذا بديهي لا يقبل الجدل ـ وإنما يجب أن يقصيه عن صحبته ، ويبعده عن جواره ، بعد أن أصبح لا يصلح لا للعير ولا للنفير ، وليس فيه خير لا قليل ولا كثير ، وقد وقع هذا الإقصاء بعد أن بدا جبنه المزري ببضعة أشهر ، فقد كانت وقعة مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨ هـ . والإقصاء كان في ذي القعدة سنة ٨ هـ .

هذا ما انتهى إليه بحثنا المجرد عن الهوى وخرجنا منه بنتيجة صحيحة يبدو منها واضحاً سر إبعاد النبي (ص) لأبي هريرة عن المدينة إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي بعد أن لبث في الصفة سنة وتسعة أشهر !

ولعلنا نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ، وكشفنا عما يقصده النبي (ص) من إقصاء أبي هريرة إلى البحرين ـ ومن يماري في ذلك فليأتنا بسبب آخر على أن يكون صحيحاً معقولاً فنتبعه !

وإذا كان النبي (صلوات الله عليه) لم يفصح عن قصده في هذا الأمر تصريحاً ، فإنه قد ترك لمن خلفه من ذوي الألباب أن يفهموه تلميحاً .

وإن من حكمته صلوات الله عليه أن يدع مثل هذا الأمر بغير أن يكشف عن سببه ، لأنه يأبى بسمو أدبه ، وعظيم خلقه ، أن يؤذي أحداً عرف أنه من أصحابه ، مهما يكن من أمره ، حتى لا يظل على مد الزمن كله ، موضع ازدراء الناس وتحقيرهم ، وويل لمن يصيبه مثل ذلك !

سيرته في ولايته :

علمت مما سقناه إليك من قبل ، أن أبا هريرة بعد أن قضى في الصفة ما قضى بعثه النبي فيمن بعثهم مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ . وأن العلاء قد سأله عما يستطيع عمله في البحرين فرغب في أن يكون (مؤذناً له) .

ونذكر هنا أن عمر قد ولاه على البحرين سنة ٢٠ هـ[١] كما روى الطبري وبعد ذلك بلغ عمر عنه أشياء تخل بأمانة الوالي فعزله وولّى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي ـ ولما عاد وجد معه لبيت المال أربعمائة ألف[٢]

---

(١) رواية الطبري أن عمر ولاه سنة ٢٠ هـ بعد أن عزل عنها قدامة بن مظعون وذكر بعض المؤرخين أن ولايته كانت بعد العلاء سنة ٢١ هـ . وفي بعض الروايات أن توليته كانت في غير هذه السنة .

(٢) يبدو أن البحرين كانت غنية جداً ، وأنه كان يأتي منها لبيت المال ما لم يأت مثله من غيرها . قال حميد بن هلال : بعث الحضرمي إلى رسول الله بمال ، ثمانين ألفاً من =

فقال له : أظلمت أحداً ؟ فقال لا . قال : فما جئت لنفسك ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : من أين أصبتها ؟ قال كنت أتجر[1] . قال : أُنظر رأس مالك ورزقك فخذه ، واجعل الآخر في بيت المال[2] ثم أمر عمر بأن يقبض منه عشرة آلاف وفي رواية اثنا عشر ألفاً .

ورواية ابن سعد في طبقاته عن أبي هريرة أن عمر قال له : عدوّاً لله وللإسلام . وفي رواية عدوّاً لله ولكتابه . سرقت مال الله . وفي رواية : أسرقت مال الله ؟[3] وقد روى البلاذري مثل ذلك في فتوح البلدان[4] .

وفي رواية أن عمر قال :

هل علمت من حين أني استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار . قال : كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت . قال : قد حسبت لك رزقك ومؤونتك ، وهذا فضل فأدّه ، قال : ليس لك ذلك ، قال له عمر : بلى والله : وأوجع ظهرك . ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه ، ثم قال له : إيت بها . قال : احتسبتها عند الله . قال : ذلك لو أخذتها (من حلال !) وأديتها طائعاً ، أجئت من أقصى حجر البحرين يجبى الناس لك ؟ لا لله ولا للمسلمين . ما رجعت بك أميمة[5] إلا لرعية الحمر[6] !

= البحرين فنثرت على حصير ، فجاء النبي فوقف ، وجاء الناس فما كان يومئذٍ عدد ولا وزن، ما كان إلا قبضاً ـ ص ٦٦ ج ٢ سير أعلام النبلاء للذهبي ، وقد ذكر البلاذري هذا الخبر في فتوح البلدان ص ٨١ طبع أوربا . فقال : إنه ما أتاه أكثر منه قبله ولا بعده .

(١) هل يليق بالوالي الأمين أن يتجر ؟ وانظر فيما بعد كيف يكون الولاة الأمناء .

(٢) ص ٣٣٨ ج ٢ تاريخ الذهبي الكبير . وص ٤٤٤ ج ٢ من سير أعلام النبلاء للذهبي .

(٣)اص ٥٩ و٦٠ ج ٤ قسم ٢ .

(٤) ص ٨٢ طبع أوربا .

(٥) أميمة هي أم أبي هريرة والرجع والرجيع ، والروث . والمعنى : ما روثت بك أمك لتكون والياً وأميراً وإنما تغوطت بك لترعى الحمير .

(٦) والحمر هي الحمير .

وهذه الرواية أقرب إلى الصحة ، لأنها تتفق مع حزم عمر وصرامته ، وطبع أبي هريرة ومهانته ، وقد ثبت أن عمر شاطره ماله كما شاطر غيره مثل أبي موسى الأشعري والحارس بن كعب بن وهب وغيرهما[1] .

وقال الأستاذ عبد الحليم الجندي رئيس أقلام قضايا الحكومة المصرية (سابقاً) إن عمر ضرب عامله على البحرين (أبو هريرة) حتى أدماه وأخذ منه ١٦٠٠ دينار وقال له :

«والله ما بعثناكم لتتجروا بأموال المسلمين» .

وكان يقول لمن يتعلل بالتجارة في إحراز الأموال :

«إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً»[2] .

وقد يرد على ذلك : إذا كان أبو هريرة على ما وصَفت من تاريخه فكيف يوليه عمر على البحرين ؟ إنه لم يفعل ذلك إلا لأن له شأناً وقدراً ؟

والجواب عن ذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، ذلك بأن سنة عمر في استعمال الولاة كانت تقضي بأن لا يستعمل كبار الصحابة ، حتى لا يدنسهم بالعمل ، أو لكي يمسكهم بالمدينة ليكونوا بين يديه ، حتى لا يخرجوا عليه وإنما يستعمل صغارهم كما ستعرف ذلك فيما بعد ، فاستعمال أبي هريرة على هذه السنة لا يكون مستغرباً ، هذا ولا يتوهمن أحد ، أو يظن إنسان أن عمر قد استعمله عن جهل به ، أو نسيان لتاريخه ، وكيف ينسى ما وقع له نفسه منه أيام كان يعيش في الصفة فقد كان يلاحقه في طريقه ، ويضايقه في سيره ، فلا يجد سبيلاً إلى التخلص منه إلا بأن يدخل داره ويغلق الباب في وجهه[3] ، وكان لا يخفى عليه أن النبي (ص) قد أخرجه من المدينة بعد أن

---

(١) ص ٥٣ ج ١ العقد الفريد . وأبو موسى الأشعري أسلم مع أبي هريرة في وقت واحد كما قلنا من قبل .

(٢) ص ٦٢ من كتاب توحيد الأمة العربية .

(٣) وكذلك كان الأمر مع أبي بكر وغيره ممن يضايقهم أبو هريرة بإلحاحه .

ظهر منه ما ظهر مما أضجر الناس منه .

فإذا كان عمر قد استعمله بعد كل ما بيناه ولم نبينه من تاريخه ، فإنما يكون ذلك على ظن منه وأمل بأنه ـ بما قضى مع العلاء بن الحضرمي قرابة اثنتي عشرة سنة ملازماً له في الصلاة ، وبما شهد من أعماله الصالحة وأحكامه العادلة ، قد يكون اكتسب شيئاً من الدراية والخبرة ، فيضطلع بأعباء الولاية كما يجب أن يكون عليه الوالي الصالح النزيه ، وأنه سيأخذ نفسه بأن يجعل من العلاء قدوةً صالحة له حتى لا يبدو عواره للناس إذا هو اعوج أو مال عن سيرة سلفه .

هذا ما كان يظنه عمر في أبي هريرة ويرجوه عندما استعمله على البحرين وما كان عمر ليعلم الغيب ، فقد خاب ظنه ، ولم يتحقق رجاؤه ـ إذ ما كاد أبو هريرة يتولّى أمر هذه البلاد الغنية بخيراتها حتى غلبته شنشنته ، وانطلقت من عقالها مطامعه ، فأرصد كل قوته لجمع المال وابتغاء الثراء ما وجد إلى ذلك سبيلًا ، وأنساه حب المال ذكر عمر وصرامته ودرته ، وأنه يقف وراءه بالمرصاد يترقب الصغير والكبير من أعماله .

ولقد كان أول ما انتهى إلى عمر من أخباره ، أنه ابتاع أفراساً بألف وستمائة دينار ! فهاله ما سمع ! ولما استقدمه من البحرين ـ أتاه يحمل أربعين ألف درهم لبيت المال ، وعشرين ألفاً لنفسه فدهش عمر كيف يجبي من الناس كل هذه المبالغ الطائلة ! ولم يملك إلا أن فاجأ أبا هريرة بقوله : أسرقت مال الله ؟ إنك عدو الله وعدو المسلمين !

وعندما سأله عن المال الذي أصابه لنفسه ، ومن أين أتى به ، أجابه بجواب غريب لا يصدر من وال أمين ! إذ قال : كنت أتجر ! وكانت لنا أفراس تناتجت[1] فلم يجد عمر من حيلة معه إلا أن يشاطره هذا المال ، وكانت هذه سنة عمر في الولاة الذين يخونون الأمانة في ولاياتهم ، ولم

---

(١) رواية الذهبي : خيل نتجت وغلة رقيق لي ص ٤٤٠ ج ٢ سير أعلام النبلاء .

يكتف بذلك مع أبي هريرة ـ كما كان يفعل مع غيره ، بل أوجع ظهره بدرته حتى أدماه ، ثم أخذ يلذعه بموجع القول وقوارص الكلم ، مما لا يُوجّه مثله إلا إلى رجل مهين فقد قال له : هل علمت من حين استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ! ولما طلب منه المال الذي استولى عليه من الناس ظلماً بغير حق ـ وأجاب أبو هريرة : لقد احتسبته عند الله! رد عليه عمر هذا الرد الأليم فقال له : ذلك لو أخذته من حلال !! أي أن هذا المال كان من المال الحرام !!

وقوله له : أجئت من أقصى حجر يجبى الناس لك ، لا لله ولا المسلمين !

ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر[1] .

وماذا بعد أن يرميه بسرقة مال الله أو أنه عدو لله وعدو للمسلمين !!

هذا وسواه قد صنعه عمر مع أبي هريرة عندما رآه قد أخل بأمانة الوالي الصالح الأمين النزيه ، واتبع هواه وكان من الخائنين !

وليس بعجيب أن يأتي أبو هريرة بما أتى في البحرين ، ولا أن ما فعله بمستغرب منه لأنه في الحقيقة إنما يكشف بذلك للناس عن أهم جانب من جوانب شخصيته التي وضعنا في يدك مفتاحها عندما حدثناك عما بدا من جشعه وطمعه ، في أن ينال من غنائم خيبر ما ليس من حقه .

وإن ما سيقابلك من أفعاله مع معاوية لمما يزيدك إدراكاً لحقيقة هذه الشخصية وأغراضها التي ترمي إليها ، وأنها لا تتحرج من ركوب أي مركب في سبيل تحقيقها ـ فقد مثل مع معاوية وقومه آخر فصل من فصول روايته الغريبة التي كان يمثل ـ على توالي السنين ـ فصولها ، ويعيش في الحياة ما يعيش من أجلها .

وقد صدق رسول الله (ص) حيث يقول : «كل مُيَسَّر لما خُلِق له» .

---

(١) تقدم معنى هذه العبارة في هامش رقم ٥ ص ٨٧ فراجع .

وسيأتيك ما جاء في أمر تولية عمر لولاته ، ننقله لنعزز كلامنا به .

أما كثرة أحاديثه فقد كانت في عهد معاوية . أما في زمن أبي بكر وعمر فلم يستطع أن يحدث بحديث واحد لأن عمر نهاه عن ذلك بل أوجع ظهره بدرته .

وإليك طرفة نتحفك بها :

طرفة

عمر يرمي أبا هريرة بالتنطع في النهاية !

لما استعمل عمر بن الخطاب على البحرين قدامة بن مظعون ـ كما ذكروا ـ شرب هناك الخمر ، فقدم الجارود العقدي سيد عبد قيس على عمر من البحرين وقال له : إن قدامة شرب فسكر ! فقال عمر : من يشهد معك ؟ فقال أبو هريرة ، إذ كان حينئذٍ معهم هناك ، فدعى أبو هريرة . فقال : لم أره يشرب ، ولكني رَأيته سكران يقيء ! فقال له عمر : لقد تنطعت في الشهادة ! وأرسل عمر إلى زوجة قدامة هند بنت الوليد . فأقامت الشهادة على زوجها[1] .

ولما أراد عمر أن يحد قدامة ، قال قدامة : ليس لك ذلك ! يقول الله عزّ وجل ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا**﴾ (الآية ٩٣ من سورة المائدة) .

فقال له عمر : أخطأت التأويل فإن بقية الآية (إذا ما اتقوا) فإنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك ثم أمر به فجلد ثم رجع فكلمه واستغفر له .

ولم يحد أحد من أهل بدر في الخمر إلا قدامة[2] .

---

(١) أنظر كيف كانت هذه السيدة الجليلة أقوى ديناً وأصدق شهادة من أبي هريرة على حين أن الأمر يعنيها هي وكان يجب أن تكون شهادتها عكس ذلك ، إذ كانت هي أولى بأن تدرأ عن زوجها هذه التهمة حتى ينجو من عقابها فتكتم الشهادة !

(٢) ص ٥٤٨ ج ٢ من الاستيعاب طبعة الهند وص ١٢٧٧ ـ ١٢٧٨ قسم ٣ طبعة مصر =

ولا يفوتنا هنا أن نبين أن خبر شرب قدامة بن مظعون الخمر وهو والٍ على البحرين وشهادة أبي هريرة عليه قد ذكره كبار المؤرخين وأكدوه حتى ليصح أن يعد هذا الخبر متواتراً بحيث لا يقبل أي شك ، وإن كانوا لم يبينوا لنا ـ كما أسلفنا ـ متى استعمل عمر قدامة على البحرين ؟ وهل كان ذلك بعد العلاء بن الحضرمي ؟ .

على أن الذي لا شك فيه أن هذا الخبر الثابت مما يزيد في توكيد الدلائل وتوثيق البينة على وجود أبي هريرة في البحرين إلى أن ولاه عمر عليها ـ ومن أجل ذلك أتينا به .

سنة عمر في استعمال الولاة :

كان عمر لا يستعمل كبار الصحابة ويستعمل من دونهم ممن لا شأن لهم ولا قدر من أصحاب رسول الله مثل عمرو بن العاص ومعاوية والمغيرة ابن شعبة حتى من الموالي مثل عمار بن ياسر[1] فقد ولاه على الكوفة وسلمان الفارسي على المدائن وهما من الموالي ؛ وكانت العرب عامة وقريش خاصة تحتقر الموالي ـ وكان يدع من هم أفضل منهم مثل علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف ونظرائهم .

وقيل له : ما لك لا تولي الأكابر من أصحاب رسول الله فقال : (أكره أن أدنسهم بالعمل[2]) ولم يقف الأمر عند ذلك فقد حبس هؤلاء الأكابر في المدينة معه .

قال الدكتور طه حسين نقلاً عن الطبري :

= وص ٢٥٥ ج ٧ من فتح الباري وقدامة بن مظعون هذا من أخوال أم المؤمنين حفصة وابن عمر وله هجرة إلى الحبشة وممن شهد بدراً توفي سنة ٣٦ رضي الله عنه .

(١) قال عمر لعمار لما ولّاه الكوفة : أردت أن أحقق قول الله عزّ وجل **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾** (ص٢٣٥) من كتاب الشيخان للدكتور طه حسين .

(٢) ص ٢٠٣ ج ٣ ق ١ طبقات ابن سعد .

كـان عمر بن الخـطاب قـد حجـر على أعـلام قـريش من المهـاجـرين الخـروج من البلدان إلا بإذن عـاجل فشكـوه فبلغـه فقـام فقـال : ألا إني قـد سننت الإسلام سنّ البعير ، يبدأ فيكون جذعاً ثم ثنياً ، ثم رباعيّـاً ثم سديسـاً ثم بازلا ، ألا فهل ينتظر من البازل إلا النقصان ! ألا فإن الإسلام قد يبـزل ، ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معـونات دون عبـاده . ألا فأمـا وابن الخـطاب حيّ فـلا ! إني قـائم دون شعب الحـرة ، آخـذ بحـلاقيم قـريش وحجـزها أن يتهـافتـوا في النـار . . ولم يمت عمـر رضي الله عنـه حتى ملتـه قريش ، وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال ، إن أخـوف ما أخـاف على هذه الأمة انتشـاركم في البلاد[1] وقـال : إن قريشـاً كانت تـزعم لنفسها أرستقراطية متفوقة وقد اعترف لها العرب بهذه الأرستقراطيـة في جملتهم[2] . وليس ببعيد أن يفعل ذلك عمر خشية أن يستأثر كل والٍ بـولايته عنـدما يـولّى عليها ويقطع صلته بالمدينة حضرة الملك كما فعل معاوية عندما استأثر بحكم الشام وبذلك تتمزق الدولة .

وكان من سنة عمر إذا بعث عاملاً له على مدينة أو ولاية كتب مالـه لكي ينـظر ماذا سيتصـرف في ولايته ومـدى ما ينتفـع منها فـإذا زاد هذا المـال بعد توليته شاطره ما يزيد على أصل ماله . وكان من وصيته ألا يقر عاملاً في عمله أكثر من سنة [3] .

هذه هي سنة عمـر من توليـة الولاة فليس غـريباً إذن أن يـولي عمر أبـا هريرة ولاية البحرين . على أن هذه الولاية قد كشفت عن حقيقة أمانة ونزاهـة أبي هـريرة ـ وانتشـر نبأ ذلـك بين النـاس وسجله التـاريـخ فيمـا يسجـل على صفحاته ـ فقد ظهرت بعد ذلك فرية تقـول : إن عمر قـد عاد فـطلب من أبي هريرة بعد عزله أن يعمل ثانية ولكنه أبى !

---

(١) ص ٧٩ من الفتنة الكبرى ج ١ (عثمان) .
(٢) ص ٨٠ من نفس المصدر .
(٣) ص ٢٨١ ج ٢ سير أعلام النبلاء .

وهـذه الفريـة ظاهـرة البطلان ولا يمكن لـذي لب أن يقبلهـا ، لأنـه لا يمكن لمثل عمر في حزمه وصرامته أن يفعلها . وبخاصة مع مثل أبي هريرة !

ولقد يكون لمثـل هذه الفـرية وجـه من الصحة إذا كـان قد ثبتت لعمـر براءة أبي هريرة مما رمي به، فقد اتهمه عمر بسرقة مال الله ووصمه بأنه عدو لله[1] وأنه قد ردّ إليه المال الذي انتزعـه منه بـرغـم أنفه ! ولكن هـذا الأمر لم يرد فيه خبر لا صحيح ولا موضوع !

اللَّهُمَّ إلا إذا كـان عمر قـد انقلب في آخر حيـاته فـأصبـح من الحكـام الـطغاة الـظالمين الذين يسلبـون أموال النـاس بغير حق وينفقـونهـا في سبيـل أغـراضهم الذاتيـة ، ويستعينون على ذلـك بولاتهم ـ ومن أجـل ذلك أراد أن يعيـد أبا هـريرة بعـدما آنس منـه الكفايـة والمقدرة على ابتـزاز أمـوال النـاس ليستأنف نشاطه ويأتي لعمر بما يريد من أمـوال الناس ثم أبى ورع أبي هـريرة أن يقع في هذا الفخ وسلم !

هذا ما يقضي به منطق هـذه الفريـة نذكـره لذوي الألبـاب ؛ أما الـذين يصدقون كل دعوى أو ادعاء بغير فـهـم ولا تمحيص فهؤلاء ندعهم لعقولهم ، ولا كلام لنا معهم !

وقفة قصيرة مع عمر :

مما يدعـو إلى الملاحـظة هنا أننـا لم نجد عمـر رضي الله عنه قـد اتبع هذه السنة مع معاوية بن أبي سفيان ، فقد أبقاه عاملاً على دمشق سنين طويلة ولم يزعجه بـالعزل كغيـره ـ وكان ذلـك مما أعـان معاويـة على طغيانـه ، وأن يحكم حكماً قيصرياً طوال أيـامه ، وبخـاصة بعـد أن استولى على الشـام كله في عهد عثمان ، ثم امتد هذا الطغيان الأموي إلى ما بعد معاويـة حتى تسلم العباسيون الحكم .

وأمر آخر يستـوجب الملاحـظة ، ذلك أن عمـر لم يكن هو الـذي ولّى

---

(١) ذكر ذلك ابن سعد والبلاذري راجع صفحة ٨٧ من هذا الكتاب .

معاوية على دمشق وإنما الذي ولاه هو أخوه يزيد بن أبي سفيان .

ذلك أنه لما فتحت دمشق في عهد عمر أمّر عليها يزيد بن أبي سفيان ، ولما احتضر يزيد (مات بالطاعون سنة ١٨ هـ) ، استعمل أخاه معاوية مكانه من غير أن يستشير عمر ، وأقره عمر على ذلك .

هذان أمران قد يستوجبان الملاحظة على موقف عمر من معاوية وبني أمية ، ولم يأت لنا من أحد من المؤرخين في ذلك بيان نسكن إليه .

فهل جعل عمر (دمشق) من نصيب بني أمية فأمر عليها في أول الأمر يزيد بن أبي سفيان ثم رضي بأن يعهد يزيد هذا بالإمارة إلى أخيه معاوية بغير أن يرجع في ذلك إليه ؟

وهل فعل عمر ذلك ليتألف بني أمية وليتقي كيدهم ومكرهم ، وهم قوم أهل شر ومكر وكيد ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى دعت إلى ذلك ! .

هذا ما لا علم لنا به ! وإنما الذي يعلمه هو علام الغيوب !

مثل الولاة الامناء :

تبين لك من سيرة أبي هريرة في ولايته على البحرين أنه كان فيها على غير ما يجب أن يكون عليه الوالي النزيه الأمين ، مما جعل عمر بن الخطاب يعزله ، ويأخذ منه شطر ماله ثم يصفه بما وصف ، وقد كان مما سوغ به أبو هريرة إحرازه للأموال الطائلة التي استولى عليها من البحرين بغير حق ، أنه كان يتجر ، وهل للوالي النزيه أن يتجر مع رعيته ، وبخاصة من كان مثل أبي هريرة ؟

وليس غريباً كما قلنا أن يتخذ أبو هريرة هذا السبيل في سيرته بالبحرين ، بل الغريب أن يتخذ غيرها ، فإن تاريخه قبل ولايته ، لا يمكن أن يؤدي به إلا إلى السبيل التي سلكها ، ورضي بها .

ولو شئت أن ترى مثلاً عالياً لما يكون عليه الوالي النزيه الأمين فإنا نسوق إليك من سير بعض أجلاء الصحابة ما تعرف منها الفرق بين النفس

العالية الأبية ، العفيفة المؤمنة الطاهـرة ، وبين غيرهـا ممن حرم هـذه المزايـا الغالية العاطرة .

سيرة حذيفة بن اليمان :

حذيفة بن اليمان من نجباء الصحابة ، وصاحب سر النبي الذي أسر إليه بأسماء المنافقين[١] .

ولاه عمـر على المدائن ، وكتب لـه عهـداً قـال فيـه لأهـل المـدائن : اسمعـوا له وأطيعـوا وأعطوه مـا سألكم ، فخـرج على حمـار مُـوكف ، تحتـه زاده ، فلما قدم المدائن ، استقبله أعاظم الـدهاقين (التجـار) وبيده رغيف ، وعِرق من لحم ولما قرأ عليهم عهده ، قالوا : سـل ما شئت ، قـال : طعامـاً آكله ، وعلف حماري هذا ـ ما دمت فيكم ـ من تبن . فأقام ما شـاء الله ، ثم كتب إليه عمر : أقدم ؛ فلما بلغه قدومه ، كمن له على الطريق ـ وكانت هذه عادته ـ فلما رآه على الحال التي خرج عليها ، أتاه فالتـزمه وقـال : أنت أخي وأنا أخوك[٢]

سلمان الفارسي :

وإليك سطرين من تاريخ صحابي جليل آخـر نعطر بهـا هذا الكتـاب ، ننقلهما عن حافظ المغرب ابن عبد البر ـ ذلكم هو سلمان الفارسي .

دخـل قوم عليه ـ وهو أميـر على المدائن ـ وهـو يعمل الخـوص ، فقيل له : ـ لِمَ تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق ؟ فقال : إني أحب أن آكل من عمل يدي . وكان يشتري خوصاً بـدرهم فيعمله ويبيعه بثـلاثة دراهم ينفق درهماً ويتصدق بدرهمين .

---

(١) ناشده عمر : أأنا من المنافقين ؟ فقال : لا ، ولا أُزكي أحداً بعدك ، وكان عمر يترقبه عند موت أحد الصحابة . فإذا رآه لا يشهد جنازتـه ، عرف أنـه من المنافقين ؛ مـات سنة ٣٦ هـ ، ولم يدرك وقعة الجمل ، وقد قتل صفـوان وسعيد ابنـا حذيفـة بصفين ، وكانا قد بايعا عليّاً بوصية أبيهما إياهما ، له في الصحيحين ١٢ حديثاً .

(٢) ص ٢٦٠ وما بعدها ج ٢ من سير أعلام النبلاء .

وقد ذكروا أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار أيام كان بها مع النبي (ص) وكان عطاؤه خمسة آلاف ، يتصدّق به ، ويأكل من عمل يده[1] .

وزار مرة المدينة أثناء ولايته فجمع عمر الصحابة وقال لهم :

هيا بنا نخرج لاستقبال سلمان . ولم يفعل ذلك لغيره .

عبد الله بن رواحة :

ونضيف هنا في أمثلة الأمانة والنزاهة هذا الخبر الذي قرأناه عن عبدالله بن رواحة أحد شعراء النبي (ص) لأن هذا المكان يليق به .

ذلك أن النبي (ص) بعثه إلى خيبر ليخرص[2] بينه وبين اليهود فجمعوا له حُلياً من نسائهم وقالوا : هذا لك وخفف عنا ! فقال لهم :

يا معشر يهود ، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم ، والرشوة سحت ! فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض[3] .

فترى لو كان أبو هريرة هو الذي بعثه النبي (ص) إلى هؤلاء اليهود ورنت عيناه إلى حلي نسائهم ! هل كان يغمض عينيه عنها ، أو يصم أذنيه عن سماع وسوستها[4] .

ونكتفي بما أوردناه في هذه المثل العليا التي يفخر بها وبمثلها الإسلام على مد عصوره ، حتى لا يطول الحديث ، وهل يستوي الخبيث والطيب ؟

أخذ أبي هريرة عن كعب الاحبار :

ما كاد أبو هريرة يرجع إلى المدينة معزولاً عن ولايته بالبحرين حتى

(١) ص ٥٧٢ ج ٢ من الاستيعاب ـ طبع الهند . وانظر فضائل سلمان الفارسي في هذا الكتاب .

(٢) الخرص هو حذر ما على النخل من الرطب تمراً ، والخرص أيضاً الكذب .

(٣) ص ١٧٠ ج ١ سير أعلام النبلاء .

(٤) وسوستها أي صوتها .

تلقفه الحبر الأكبر كعب الأحبار اليهودي ، وأخذ يلقنه من إسرائيلياته ، ويدس له من خرافاته ، وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون ، وبخاصة بعد أن قال لقيس بن خرشة هذه الأكذوبة : «ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل على موسى ما يكون عليه ، وما يخرج منه[1]» .

ومن أجل ذلك هرع أبو هريرة إليه ، ليأخذ منه ويتتلمذ عليه ، وسال سيل روايتهما ، ولا سيما بعد أن خلا الجو لهما ، بموت عمر واختفاء دِرته .

ولا يزال هذا السيل يتدفق بالأحاديث الخرافية والمشكلة . وقد سمعت مرة من أحد أحرار الفكر المحققين أن أبا هريرة وكعباً هما اللذان أفسدا الإسلام بما بثا فيه من الخرافات والأوهام .

ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يطلقون عليهم جمهور المسلمين أنه على رغم ما قيل فيهما ، وما ثبت من أكاذيبهما ثبوتاً بيناً ، لا يزالون يثقون بهما ، ويأخذون بما يرويانه وفيه ما لا يقبله عقل صريح ولا نقل صحيح ثم يجعلون الأول من خيار التابعين ويجعلون الآخر راوية الإسلام من بين جميع المسلمين .

كيف اتصل أبو هريرة بكعب الاحبار وتتلمذ عليه :

روى ابن سعد في طبقاته الكبرى عن عبدالله بن شقيق أن أبا هريرة جاء إلى كعب يسأل عنه . وكعب في القوم ، فقال كعب ما تريد منه ؟ فقال : أما إني لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله مني !! فقال كعب : أما إنك لم تجد طالب شيء إلا سيشبع منه يوماً من الدهر إلا طالب علم ، أو طالب دنيا ! فقال أبو هريرة : أنت كعب ؟ فقال : نعم ، فقال : لمثل هذا جئتك[2] .

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل .

(٢) ص ٥٧ ج ٤ ق ٢ . وقال الحاكم في المستدرك حديث صحيح على شرط الشيخين ٩٢ ج ١ .

إنني جئتك لأطلب عندك العلم ، وأستقي من معينك الغزير ، وقد وجد كعب بغيته في أبي هريرة الذي يزعم أنه أحفظ الناس لحديث رسول الله ، وأنه نعم التلميذ النجيب الذي يحمل عنه ما يريد بثه مما يفسد عقائد المسلمين .

وقد بلغ من علو شأن كعْب حينئذٍ أنه كان يلقي دروسه في المسجد ، فقد نقل الدكتور أحمد أمين[1] عن طبقات ابن سعد حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبدالله بن عبد القيس جالس إلى كتب ، وبينها سفر من أسفار التوراة ، وكعب يقرأ[2] .

وقد أثبت علماء الحديث أمر أخذ أبي هريرة وغيره عن كعب الأحبار وذلك في باب (رواية الأكابر عن الأصاغر ، أو الصحابة عن التابعين) وقد عدوا كعباً من كبار التابعين ، قال السيوطي في ألفيته :

وقد روى الكبار عن صغار ... في السن أو في العلم والمقدار[3]
ومنه أخذ الصحب من أتباع ... وتابع عن تابع الأتباع
كالحبر عن كعب وكالزهري ... عن مالك ويحيىٰ الأنصاري

وقال شارح الألفية الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : ومن هذا النوع رواية الصحابي عن التابعين كرواية الحبر عبدالله بن عباس وسائر العبادلة (وأبي هريرة) وأنس وغيرهم عن كعب الأحبار[4] وأبو هريرة وابن عباس كانا أكثر

---

(١) ص ١٩٨ فجر الإسلام .

(٢) ص ٧٩ ج ٧ . طبقات ابن سعد .

(٣) ص ٢٣٧ و٢٣٨ وورد مثل هذه الأبيات في ألفية العراقي راجع ٨٣٢ و٨٣٣ من فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي .

(٤) كعب الأحبار أكبر أحبار اليهود في عصره أسلم في عهد عمر إسلاماً ظاهراً ليخدع المسلمين ، وبث هو وزميليه وهب بن منبه وعبدالله بن سلام في الإسلام ما بثوا ، وكان من أعماله الخطيرة أن اشترك في مؤامرة قتل عمر ـ وقال له عمر : دعنا من يهوديتك ، وأنذره إذا لم يكف عن التحديث أن ينفيه . وقد كانوا ـ كما قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ـ يتوقفون فيما يرويه ، وقال ابن كثير : لما أسلم في الدولة العمرية جعل =

من نشر علم كعب الأحبار ، ويبدو أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة انخداعاً به ، وثقه فيه ، ورواية عنه ، كما كان أكثرهم رواية للحديث عن النبي (ص) ويتبين من الاستقراء أن كعب الأحبار بعد أن أصبح له شأن بين المسلمين كما بيناه في كتابنا الأضواء ، قد سلط من دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات وأساطير وأوهام ، وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة .

فقد ذكر الذهبي في طبقات الحفاظ وفي أعلام النبلاء في ترجمة أبي هريرة أن كعب الأحبار قال فيه ، أي في أبي هريرة : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة[1] .

وقال في سير أعلام النبلاء : إن أبا هريرة قد حمل عن كعب الحبر[2] .

وأخرج البيهقي في المدخل عن طريق بكر بن عبدالله عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : إن أبا هريرة لقي كعباً فجعل يحدثه ويسأله : فقال كعب : ما رأيت رجلاً لم يقرأ التوراة أعلم بما في التوراة من أبي هريرة[3] .

فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة الذي يتجلّى من تاريخه أنه كان رجلاً فيه غفلة وغِرّة ! إذ من أين له أن يعرف ما في التوراة وهو لا يعرف اللغة العبرية ؟ ثم إنه كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب حتى العربية ! على

= يحدث عمر عن كتبه قديماً فربما استمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده غثه وسمينه ـ ص ١٧ ج ٤ من تفسيره ، ولما وجد أنه تمادى في الحديث نهاه عن التحديث كما نهى أبا هريرة وقال عنه معاوية إنا كنا نبلو عليه الكذب ، وانظر كلامنا عن هذا الكاهن وغيره من كهان اليهود وما بثوه في الدين الإسلامي من الإسرائيليات وذلك في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) الطبعة الثالثة .

(١) ص ٤٣٢ ج ٢ أعلام النبلاء . وص ٣٤ ج ١ من تذكرة الحفاظ .

(٢) ص ٤١٨ ج ٢ .

(٣) ٢٠٥ ج ٥ من الإصابة .

أن التوراة كانت حينئذٍ مخفية عن المسلمين ، ولا يعلمها إلا الأحبار من اليهود .

وإليك سطوراً مما وصف به الدكتور طه حسين هذا الكاهن الخبيث :

كان غريب الأطوار ، عرف كيف يخدع كثيراً من المسلمين ومنهم عمر ـ وهو كعب الأحبار ، وكان كعب يهوديّاً من أهل اليمن زعم أنه سأل عليّاً رحمه الله عن النبي حين ذهب علي إلى اليمن مرسلاً من رسول الله (ص) فلما أنبأه علي بصفة النبي عرف هذه الصفة مما كان يجده بزعمه في التوراة ، ولم يأت المدينة أيام النبي وإنما أقام على يهوديته في اليمن . وزعم هو بعد ذلك للمسلمين أنه أسلم ودعا إلى الإسلام في اليمن ، وقد أقبل إلى المدينة أيام عمر ، فأقام فيها مولى للعباس بن عبد المطلب رحمه الله ، وكان بارعاً في الكذب على المسلمين يزعم أنه يجد صفاتهم في الكتب ، وكان المسلمون يُعجبون بذلك ويتعجبون له ، ولم يلبث أن كذب على عمر نفسه فزعم له أنه يجد صفته في التوراة فعجب عمر وقال : تجد اسم عمر في التوراة ؟ قال كعب : لا أجد اسمك وإنما أجد صفتك[1] .

وكان الأستاذ سعيد الأفغاني قد نشر مقالاً بمجلة الرسالة المصرية قال فيه : إن وهب بن منبه هو الصهيوني الأول ، فصححت هذا الرأي بمقال نشر في العدد ٦٥٦ من هذه المجلة أثبت فيه بالأدلة القاطعة أن كعب الأحبار هو الصهيوني الأول .

وما كاد هذا المقال ينشر حتى هب في وجهنا شيوخ الأزهر وأمطرونا وابلاً من طعنهم المعروف وقالوا : كيف تصف (سيدنا كعباً) بأنه الصهيوني الأول ، وهو من كبار التابعين وخيار المسلمين ، ومما يؤسف له أنهم لا يزالون يذكرون اسمه بالسيادة إلى اليوم .

ويرجع إلى ترجمة سائر كهنة اليهود بكتابنا الأضواء الطبعة الثالثة .

---

(١) ص ٢٥٤ و٢٥٥ من كتاب الشيخان .

كيف كان يتلقى عن كعب الاحبار :

روى أبو هريرة عن رسول الله «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه ، وفي يوم الجمعة خلق آدم وفيه أهبط إلى الأرض ، الحديث - وروى مالك عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال : قدمت الطور فوافقت كعباً فحدثني عن التوراة ، وحدثته عن رسول الله حديث يوم الجمعة ، فقال كعب : فيه خُلق آدم ! وفيه هبط إلى الأرض ، الحديث[1] .

وبذلك يكون أبو هريرة قد حدث ببعض الحديث عن رسول الله ؛ ثم تلقى بعضه عن كعب ونسب الحديث كله إلى النبي .

ومما يدلك على أن هذا الكاهن الداهية ، قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص ، ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبي (ص) ما نورد لك شيئاً منه .

روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي قال : «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»[2] .

وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث : زاد في رواية البزار ومن ذكر معه (في النار) فقال الحسن : وما ذنبهما فقال أبو سلمة : أحدثك عن رسول الله ، وتقول ما ذنبهما ؟

وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب الأحبار بنصه - فقد رَوَى أبو يعلى الموصلي قال : يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم يراهما من عبدهما[3] .

وروى الحاكم في المستدرك والطبراني ورجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة ، أن النبي قال : إن الله قد أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت

---

(١) ص ٥٧ من كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم البلخي .
(٢) ص ٢٢٩ ج ٦ فتح الباري و٤٧٥ ج ٤ تفسير ابن كثير .
(٣) ص ٢٣٢ حياة الحيوان .

رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول . سبحانك ما أعظم شأنك ! قال فيرد عليه ، ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً .

وهذا الحديث من قول كعب الأحبار ونصه : «إن لله ديكاً عنقه تحت العرش وبراثنه في أسفل الأرض ، فإذا صاح صاحت الديكة فيقول : سبحان القدوس الملك الرحمٰن لا إله غيره[1] .

حديث : «النيل ، وسيحان ، وجيحان ، والفرات من أنهار الجنة !» :

روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : «النيل ، وسيحان ، وجيحان ، والفرات من أنهار الجنة» ، وهذا القول نفسه رواه كعب الأحبار إذ قال[2] «أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عزّ وجل في الدنيا ، فالنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة» !

صدور هذه الانهار من الجنة أسطورة قديمة :

إن القول بأن هذه الأنهار تنبع من الجنة أسطورة قديمة ليست إسرائيلية فحسب ، وإنما يرجع تاريخها إلى ما وراء ذلك بأحقاب طويلة .

وإليك كلمة قيمة في هذا الصدد نشرتها مجلة الكتاب[3] للأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي بعنوان : كنك نهر الهند المقدس :

ذُكر نهر كنك في الكتب الأربعة الهندية المقدسة الشهيرة مراراً فذكر في «رج ويدا» مرتين وفي «پورانا» باسم «وياد كنك» ومعناه كنك الجني ، وكذلك ذكرت أسطورة صدوره من الجنة ـ ونسبة الأنهر إلى الجنة عقيدة عريقة في القدم ، وُجدت تقريباً في جميع الأديان ؛ فقد ذكر في نصوص

---

(١) ص ٢٢٠ ج ١٠ نهاية الإرب للنويري .

(٢) ص ٣٤ ج ١ النجوم الزاهرة .

(٣) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ من المجلد الأول السنة الأولى ـ الجزء الثالث ، يناير سنة ١٩٤٦ .

الديانة البابلية القديمة : أن أربعة أنهر من الجنة هي :

(١) نارو «وهو يسمى اليوم الفرات» (٢) سي جال (٣) سي ليم (٤) روديج «وهو يسمى اليوم في الغالب دجلة» . كذلك في التوراة بيان عن صدور أربعة أنهر من الجنة وهي : (١) فيشون (٢) جيحون (٣) حِدّاقل (٤) الفرات .

وفي الإسلام أيضاً ورد حديث رواه أبو هريرة ، أن رسول الله (ص) قال : «النيل ، وسيحان ، وجيحان ، والفرات من أنهار الجنة[1]» وفي حديث آخر عن ابن عباس[2] مرفوعاً : «أنزل الله تعالىٰ من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وجيحون ودجلة ، والفرات ، والنيل . أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل ، واستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس[3]» - وفي حديث آخر : نهران مؤمنان ! ونهران كافران ! أما المؤمنان ! فالنيل والفرات ! وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ ! وقد فسر إيمانهما بأنهما يفيضان على الأرض فيسقيان الحرث بلا مؤونة وكلفة ، وفسر كفرهما بأنهما لا يسقيان ولا ينتفع بهما إلا بمؤونة وكلفة[4] اهـ .

* * *

وهكذا يتسلل إلى ديننا مثل هذه الخرافات والأساطير التي تفضحنا بين الأمم ويضحك حتى أطفال المدارس منها ، وللأسف فإنهم يرفعون أخبارها إلى النبي (ص) ويثبتونها في كتبهم الصحيحة ! ويروجونها بين الناس بنشرها ، ثم يدافعون عنها - وإذا بصرناهم بالحقائق ، وفتحنا العيون العمي ،

---

(١) ذكره السيوطي في حسن المحاضرة طبع مصر ج ٢ ص ١٧٩ نقلاً عن الإمامين أحمد ومسلم «من هامش الأصل» .
(٢) ابن عباس وأبو هريرة كانا ، كما قلنا من قبل ، أكثر من نشر علم كعب الأحبار .
(٣) قال السيوطي : أخرجه الخطيب في تاريخه وابن مردويه في تفسيره ، والضياء المقدسي في صفة الجنة .
(٤) راجع النهاية لابن الأثير طبع مصر ج ١ ص ٥٤ من هامش الأصل .

والآذان الصم ، والقلوب الغلف - ونـزهـنـا مقـام الـنبـي (ص) عن هـذه الأساطير ، رمونا بالشتائم وقذفونا بالسباب ، وقالـوا : إننا نـطعن في صحابي جليل . . غفر الله لهم وشفاهم من داء الجهل والغفلة والحماقة .

ولنرجع إلى الإسرائيليات التي تلقاها أبو هريرة عن كعب الأحبار .

قال ابن كثير في تفسيره : إن حديث يأجوج ومأجوج الـذي رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة ونصه : إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كـل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الـذين عليهم : ارجعوا فستحفـرونه غـداً فيعودون . . إلخ» .

قال ابن كثير : لعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار فـإنه كـان كثيراً مـا يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة أنه مرفوع فـرفعه والله أعلم [1] .

وقد بين ابن كثير في مواضع كثيـرة من تفسيره مـا أخذه أبـو هريـرة عن كعب الأحبار ثم رفعه إلى النبي - فيرجع إلى هذا التفسير للوقوف عليها .

وفي الصحيحين البخـاري ومسلم - من حـديث أبي هـريـرة : «إن الله خلق آدم على صـورته [2]» - وهـذا الكـلام قـد جـاء في الإصحـاح الأول من

---

(١) ص ١٠٤ و١٠٥ ج ٣ تفسير ابن كثير .

(٢) من روايـات هذا الحـديث وطولـه - أي آدم - ستون ذراعـاً في سبعة أذرع عـرضاً وفي رواية على صورة الرحمن .

وقد انتقد هذا الحديث ابن حجر من إحدى نواحيه فقال - ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديـار عاد وثمـود - فإن مسـاكنهم تدل على أن قـاماتهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق - إلى أن قال : ولم يظهر لي إلى الآن مـا يزيـل هذا الإشكـال - ص ٢٨١ و٢٨٢ ج ٦ فتح البـاري ، وقد أنكـر الإمام مالك هذا الحـديث ، وحديث : إن الله يكشف عن سـاقه يـوم القيامـة ، وإنه - أي الله سبحـانه - يـدخل في النـار يـده حتى يـدخـل من أراد الله - إنكـاراً شـديـداً . والحديث الثاني من رواية أبي هريرة وهما في الصحيحين .

التوراة (العهد القديم) ونصه هناك : «خلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه» !

ولما ذكر كعب صفة النبي في التوراة ، قال أبو هريرة في صفته (ص) لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق . وهو نص ما قاله كعب كما أوردناه في كتابنا الأضواء .

حديث خلق الله التربة يوم السبت :

روى مسلم في كتابه عن أبي هريرة : **أخذ رسول الله بيدي ! فقال :** خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم (ع) بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل .

وقد روى هذا الحديث كذلك الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة - ورواية النسائي : «إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع» .

وقد ذكر الأئمة ومنهم البخاري في التاريخ الكبير وابن كثير أن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار ، لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام !!

ومما يدل على أن أبا هريرة قد استقى هذا الحديث من كعب الأحبار كما نص الأئمة على ذلك ، وأنه من نبع إسرائيلي ، أن هناك خبراً آخر يشابهه مروياً عن عبدالله بن سلام ـ الذي كان من أحبار اليهود وأسلم رواه الطبراني وهذا نصه :

«إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والإثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل

فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

وعبدالله بن سلام هـذا قد حـدث عنه أبـو هريـرة كما حـدث عن كعب الأحبار[1] .

ومن العجيب أن أبـا هريـرة قد صـرح في هذا الحـديث (بسماعـه) من النبي وأنه (ص) قد (أخذ بيده) حين حدثه به - وإني لأتحدى الـذين يزعمـون أنهم على شيء من علم الحـديث ، أن يحلوا هذا (المشكـل) وأن يخـرجـوا شيخهم من هذه الورطة التي ارتطم فيها !

إن الحديث صحيح السند على قواعدهم ، لا خلاف في ذلك بينهم ، وقـد رواه مسلم في صحيحة ، **ولم يصـرح بسماعـه من النبي فحسب** ، **بـل زعم أن رسول الله قد أخذ بيده وهو يحدثه به** ، وقد قضى أئمة الحـديث بأن أبا هريـرة قد أخـذه من كعب الأحبار وأنـه مخالف للكتـاب العزيـز - ولو رواه عنعنة لقلنا عسى ، ولالتمسنـا له مخـرجاً يخـرج منه ، ولكنـه صرح بسمـاعه ووضع يده في يد النبي عندما تلقاه منه - فمثل هذه الرواية تعد ولا ريب (كذباً صـراحاً وافتـراء على رسول الله) فمـا حكم من يقترفهـا ؟ وهل تـدخل تحت طـائلة حكم حديث الـرسول « من كـذب عليّ فليتبوأ مقعـده من النـار» . أم هناك مخرج لراوي هذا الحديث بذاتـه ، لأنه صـاحب الثوب ، والـوعاءين ، والمزود[2] ؟

إني والله لفي حاجة إلى الانتفاع بالجـواب المقنع عن ذلـك ! لأن هذا الحديث وحده لو حقق الإنسـان نظره فيه وأمعن في ظاهره ومطاويه ، لكشف ولا ريب عن حقيقة روايات أبي هريرة كلها ، لأنه إذا كان هذا شأنه في رواية ما يصرح بسماعه بأذنه من النبي (ص) فكيف يكون الأمر فيما يرويه عنعنة عن

---

(١) ص ٢٩٦ ج ٢ من سيـر أعلام النبـلاء للذهبي . وعبدالله بن مـالك وجمـاعة ، اتفقـوا على أنه توفي سنة ٤٣ هـ .

(٢) سنحدثك فيما بعد عن قصة الثوب والوعاءين والمزود وهي قصة طريفة .

غيره ؟ وأكثر رواياته عنعنة كما صرحوا بذلك .

وإني ـ كلما ذكرت هذا الحديث ـ يعتريني شيء أشبه ما يكون بالخجل أو الخزي !

إذ ماذا يقول العلماء وبخاصة علماء الجيولوجيا الذين انتهى بحثهم العلمي إلى أن الأرض قد انقضى على تكوينها آلاف الملايين من السنين ، ثم يأتي رسول المسلمين فيقول : إنها خلقت هي وما عليها في سبعة أيام من أيام الدنيا ! وماذا يكون ظن هؤلاء العلماء في مبلغ علمه عليه الصلاة والسلام ! على حين أنه يقول إنه تلقى علمه وحياً من الله ! وإنه لا ينطق عن الهوى ! وهكذا يورطنا أبو هريرة في المشاكل التي تفضحنا عند الأمم ولا نعرف كيف نتخلص منها !

ولقد أحسن علماؤنا في تكذيب هذا الحديث ، وأن يقطعوا بأن أبا هريرة قد كذب في أنه قد رواه عن النبي ـ وأنه قد قد تلقاه عن كعب الأحبار اليهودي الذي لم يكن له من عمل إلا أن يدس في الإسلام ما يشوه بهاءه ، وأن يفتح باب الطعن في علم من جاء به .

وهذه كلمة نتم بها نقد هذا الحديث .

إن الذين انتقدوا أبا هريرة في رواية هذا الحديث وكذبوه من أجله ، قد حصروا انتقادهم في الاختلاف بين عدد الأيام التي جاءت في حديثه وما جاء في القرآن ! ثم وقفوا عند ذلك ، وفاتهم أمر آخر مهم كان عليهم أن يشتدوا في نقده حتى ولو كانت رواية حديث أبي هريرة قد جاءت مطابقة لما في القرآن ! من حيث عدد الأيام ـ ذلك لأن الأيام التي ذكرها في حديثه والتي خلق الله العالم كله فيها ـ هي الأيام المعروفة لنا ، تلك التي جاءت من دوران الأرض حول الشمس ـ وهذه الأيام لم تكن معروفة يوم خلق الله السموات والأرض ، لا بأسمائها ولا بمقاديرها ! لأن ذلك قد جاء في اصطلاح البشر ، وكان لكل أمة اصطلاح خاص في ذلك . على أن هذه الأسماء التي وضعوها على أيام الأسبوع وأصبحت متعارفة اليوم لجميع الناس

قد كان للعرب قبلها أسماء أخرى يطلقونها على أيام الأسبوع وهي :

«أول ، وأوهد ، وجبار ، ودبار ، ومؤنس ، وعروبة ، وشيار» وجمعها بعضهم في هذين البيتين :

أؤمل أن أعيش وإن يومي بأول أو بأوهد أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار

ولا نتوسع في بيان أسماء الأيام عند غير العرب من المصريين والرومانيين والبابليين وغيرهم فإن لذلك بحثاً آخر هو أملك به .

ومما فات الذين انتقدوا أبا هريرة كذلك أنهم لم يفقهوا أن اليوم إذا كان مقداره عند الناس أربعاً وعشرين ساعة فإنه عند الله غير معروف المقدار ! فقد يكون ألف سنة كما في قوله تعالىٰ **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** ، وقد يكون خمسين ألف سنة كما في قوله تعالىٰ **﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** وقد يكون أكثر من ذلك ، والله عنده علم الغيب ، هذا ما كان يجب أن يتولاه العلماء في نقد أبي هريرة في حديث خلق الله التربة يوم السبت ؛ وتقصيرهم هذا ليس بغريب عليهم بل إنهم قد عُرفوا به إذ يجعلون وكدهم في نقد الأسانيد فحسب ، أما المتون فإنهم يدعونها على ما قد يكون فيها مما لا يقبله عقل صريح ، ولا يقره علم صحيح ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا «أضواء على السنة المحمدية» أكمل إيضاح وهم على كل حال مشكورون على ما بذلوه فيما يستطيعون !

وإن هذا الحديث الذي أثبت ثبوتاً قاطعاً كذب أبي هريرة وافتراءه على النبي (ص) ليكفي وحده في نزع رداء الثقة عن أبي هريرة ورواياته ، وفي امتلاخ كل عرق من الظن بأنه كان فيما يروي عن النبي (ص) صادقاً أميناً وإنه لكما وصفه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال فيه : إنه كان أكذب الناس ، هذا وسيأتيك في موضعه من هذا الكتاب ـ اتهام

الصحابة والتابعين ومن بعدهم إياه حتى كان بذلك (أول راوية اتهم في الإسلام) .

وإليك حديثاً آخر نضمه إلى حديث (خلق الله التربة يوم السبت) لأنه صرح كذلك فيه بسماعه من النبي :

روى ابن كثير في تفسيره عن أبي هريرة أنه قال[1] :

سمعت رسول الله يحكي عن موسى على المنبر (أي سمعه كل الصحابة) قال :

«وقع في نفس موسى هل ينام الله عزّ وجل ؟ فأرسل الله تعالىٰ إليه ملكاً فأرقه ثلاثاً ، وأعطاه قارورتين ، في كل يد قارورة ، وأمره أن يحتفظ بهما ، فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى ، حتى نام نومة فاصطفقت يده فانكسرت القارورتان» .

قال ابن كثير : والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع ، بل هو من الإسرائيليات المنكرة فإن موسى (ع) أجل من أن يجوّز على الله سبحانه وتعالىٰ النوم ، وقد أخبر الله عزّ وجل في كتابه العزيز بأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، له ما في السماوات وما في الأرض .

وروى أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال : «يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنصب بإيليا» ، رواه البيهقي ، وقد قال الحافظ ابن كثير إنه من كعب الأحبار[2] .

وروى أحمد في مسنده عن القاسم بن محمد قال : اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي وكعب يحدث أبا هريرة عن الكتب[3] .

---

(١) ص ٥٦١ ج ٣ .
(٢) ص ٥١ ج ١٠ من البداية والنهاية لابن كثير .
(٣) ص ٢٧٥ ج ٢ .

وقد بلغ من دهاء كعب الأحبار واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وأساطير ، حتى إذا رواها أبو هريرة ، عاد هو فصدق أبا هريرة ، ليؤكد هذه الإسرائيليات وليمكن لها في عقول المسلمين كأن الخبر قد رواه أبو هريرة عن النبي ، وهو في الحقيقة عن كعب الأحبار !

وإليك مثلاً آخر من الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي (ص) وهي في الحقيقة من الإسرائيليات :

روى أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن (أبي هريرة) أن رسول الله قال :

«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها» اقرأوا إن شئتم «وظل ممدود» !!

ولم يكد هذا الحديث يبلغ كعباً ! حتى أسرع فقال ـ كما روى ابن جرير ـ : صدق والذي أنزل التوراة على موسى ! والفرقان على محمد ، لو أن رجلاً ركب (حقة)[1] أو (جذعة) ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً ! إن الله تعالىٰ غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء ستار الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل هذه الشجرة[2] .

وهكذا يتعاونان على نشر هذه الخرافات بين المسلمين ، وهي سوس الدين ، أما كعب الأحبار فلكي يبلغ غايته من إفساد مبادىء الإسلام ، وأما أبو هريرة فلكي يعلو شأنه بين الأنام ، وبخاصة في نظر بني أمية ، وبذلك ينال مآربه الدنيوية بعد أن أصبح التلميذ الأول للكاهن اليهودي الماكر ، وأنه أعلم الناس بما في التوراة بعد أن تلقى علم النبي (ص) وأسراره في ثوبه

---

(١) الحقة من الإبل هي إبنة ثلاث سنين ودخلت في الرابعة ، والجذعة الناقة التي بلغت الخامسة .

(٢) ص ٢٨٩ ج ٤ من تفسير ابن كثير .

وأجربته !! وأصبح أعلم الناس بأحاديثه !!

وهكـذا تحيط بنا الإسـرائيليات وغيـرها من كـل جـانب ، والمسلمـون يصدقون ، والحشوية يؤيدون ، وأعداء الإسلام يضحكون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

البيت وما كان من أمره :

ونختم هـذا الفصـل بخبـر عجيب ممـا كـان كعب يبثـه من خـرافـات وترهات :

سأل عمر كعباً (أيام كـان يثق فيه) أخبـرني عن بناء هـذا البيت ما كـان أمره ؟

فقال : إن هذا البيت أنزله الله من السمـاء ياقـوتة حمـراء ، مجوفـة مع آدم[1] ، ويراجع فصل الإسرائيليات من كتابنا (الأضواء) من الطبعة الثالثة .

وكذلك يراجع فيه فصل المسيحيات ، ليعرف منه مما بثه أبو هريرة في الدين الإسلامي من المسيحيات كما بثّه من الإسرائيليات . .

عمر ينهى أبا هريرة عن الرواية ويضربه بالدرة عليها

كان عمر أول من تنبه إلى خطر ما يرويه أبو هـريرة وينسبـه إلى النبيّ ، فعنـدما انتهى إليـه أنه يحـدث عن النبي ، وذلك بعـد رجـوعـه من البحـرين واتصاله بكعب الأحبار ، دعاه وزجره ، ثم لم يلبث أن ضربه بدرته ، ولما لم يـزدجر أوعـده ، إن لم يترك الحـديث عن رسول الله فـإنه ينفيـه إلى بـلاده ، وذلك قبل أن يستشـري الداء ، ويستعصي على الـدواء ، وكذلـك نهى كعب الأحبار عن التحدث من إسرائيلياته .

أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد أنه سمع عمر يقـول لأبي هريرة لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بـأرض دوس . وقال لكعب

---

(١) ص ١٠ كتاب الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني .

الأحبار لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة ـ وفي رواية لتتركن الحديث عن الأول[1] . وقد غضب على أبي هريرة من أجل إكثاره فضربه بالدرة زجراً له ووبخه بقوله : أكثرت يا أبا هريرة وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله[2] .

ولابن عساكر في رواية أُخرى أو لألحقك بأرض دوس أو بأرض القردة .

وقد جاء مثل هذا النهي والإنذار من عثمان إليهما ، ولكن عثمانَ ليس كعمر في صرامته وشدته ، ولا يحمل درة مثل درته[3] .

وقد عقب الذهبي على نهي عمر عن التحدث فقال :

هكذا كان عمر رضي الله عنه يقول : أقلوا الحديث عن رسول الله (ص) وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث ـ وهذا مذهب لعمر ولغيره . فبالله عليك ـ إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عمر وكانوا يمنعون منه مع صدقهم وعدالتهم وعدم الأسانيد ، بل هو غض لم يشب ! فما ظنك بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا مع طول الأسانيد وكثرة الوهم والغلط ! فبالحري أن نزجر القوم عنه ، فياليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف بل يروون ـ والله ـ الموضوعات والأباطيل والمستحيل في الأصول والفروع والملاحم والزهد نسأل الله العافية[4] .

---

(١) ص ٤٣٣ ج ٢ أعلام النبلاء للذهبي وص ١٠٦ ج ٨ من البداية والنهاية .
(٢) ص ٣٦٠ من شرح النهج لابن أبي الحديد .
(٣) ص ١٣٣ من كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي أبي محمد الحسن بن عبدالرحمٰن الرامهرمزي ، المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٤٨٣ مصطلح الحديث .
(٤) ص ١٦١ من كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبدالرازق نقلاً عن كتاب تاريخ التشريع الإسلامي لمحمد الخضري ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

وروى ابن علية عن رجاء بن أبي سلمة قال : بلغني أن معاوية كان يقول : عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر فإنه قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله[1] .

ومن أجل ذلك كثرت أحاديث أبي هريرة بعد وفاة عمر وذهاب الدرة ، إذ أصبح لا يخشى أحداً بعده ـ وكان عمر يخيف الناس ، ومن قول أبي هريرة في ذلك : إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر لشج رأسي ـ كما رواه عنه ابن عجلان .

وعن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال :

ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله (ص) حتى قبض عمر ، كنا نخاف السياط[2] .

وكان يقول : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ أما والله لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهري[3] ، وفي رواية : لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته .

وعن الزهري قال : قال عمر : أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به[4] .

وقد قال الفقيه المحدث محمد رشيد رضا رحمه الله في ذلك : **لو طال عمْر عمَر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة**[3] ، التي منها ٤٤٩ في البخاري وحده .

---

(١) ص ٤٣٣ و٤٣٤ ج ٢ أعلام النبلاء .

(٢) يقول ذلك لأن هذه المخفقة قد باشرت ظهره مراراً حتى في عهد النبي «ص ٣٤ ـ ١ مسلم» وبعد عهد النبي عندما عزله عمر عن البحرين فقد ضربه حتى أدمى ظهره .

(٣) إرجع إلى الجزء الثامن من البداية والنهاية والجزء الثاني من أعلام النبلاء تجد هذه الأخبار وغيرها مبسوطة هناك .

(٤) ص ٨٥١ ج ١٠ من مجلة المنار .

هنا وقفة مهمة :

من يحقق النظر فيما صنعه عمر مع أبي هريرة من نهيه عن الحديث وضربه إياه على ذلك ، يتنوَّر من خلال ذلك معنى عميقاً يقف عنده العقل والمنطق مليّاً .

ذلك أن عمر لو كان يعلم ـ وهو الناقد البصير الذي يعرف منازل الصحابة من النبي (ص) ومكانتهم من العلم والفضل ـ أن أبا هريرة من الصفوة الممتازين منهم ، وأنه كان يلازم النبي (ص) ويصحبه في غدوه ورواحه ، ولم يفارقه لا في سفر ولا حضر من يوم أن أسلم كما زعم هو وأنصاره ، وأنه قد أتيح له أن يسمع كل ما ينطق به النبي (ص) ويضبطه ويحفظه ولا يفوته شيء منه ـ وأنه وحده قد ظفر بنفحات نبوية ملأ بها ثوبه وأجربته[1] لم يظفر بمثلها أحد غيره من الصحابة حتى صارت رواياته بذلك كلها وثيقة ، وأحاديثه متواترة صحيحة ، وأنه مع ذلك من أهل الفقه والبصر بالدين الذين كانوا في عهد النبي وأبي بكر قبله من المفتين الذين يؤخذ برأيهم ، ويصغى إلى أقوالهم !

لو كان عمر يعلم ذلك كله ـ وأنه قد بلغ هذه المنزلة التي لم يبلغها أحد سواه من الصحابة جميعاً ـ لأباح له الرواية ، ولرضي عنها ـ بل لكان أولى الناس بأن يتخذه مرجعاً علميّاً ، يرجع إليه فيما يغيب عنه معرفته ، أو يشك فيه من أحاديث الرسول ؛ فكان ـ على سبيل المثال ـ يرجع إليه في حديث الطاعون الذي حيره ! أو يسأله عن حديث فاطمة بنت قيس وحديث الاستئذان الذي سأل عنه أبا موسى الأشعري ، وغير ذلك من الأحاديث التي كان يشك فيها ـ وهذا أمر يقع كل يوم ؛ وعلى سبيل المثال كذلك ـ أين كان أبو هريرة عندما استبهم أمر ميراث الجدة على أبي بكر وأخذ يسأل الناس عنه ! وأين وأين ـ ولكن من يفهم !!

---

(١) ستقابلك قصة عجيبة عن هذا الثوب ! وهذه الأجربة !

حقاً لو كان عمر يعرف لأبي هريرة هذه المزايا التي لـو كانت صحيحـة لاشتهر بها بين الصحابة جميعـاً ولأصبح بهـا يشار إليـه بينهم بالبنـان ، ولذاع اسمه بسببها في كـل مكان ، ولكـان قد اتقى درة عمـر من أن تباشـر ظهره ، ولحـرص عمر الحـرص كله على أحاديثه ولأمر بكتـابتها ، كمـا حرص على كتابة القرآن لتبقى بجوار كتاب الله خالدة على وجه الزمان !

وبذلك تكون أحاديث أبي هريرة وحـدها مـوضع ثقـة المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها على مدّ العصور ـ وتأتي منزلتها عندهم بعد منزلة القرآن في اتباعهـا ، والأخذ بهـا ، ثم لجعلها علمـاء النحو من دون أحـاديث الصحابة جميعـاً[1] مما يستشهـدون به على اللغـة والنحو لأنهـا جاءت ـ كمـا يطلبون متواترة في لفظها ومعناها ، وتـظل هذه الأحـاديث على مدى الأجيـال أعظم ثروة أدبية في حقيقة مبناها ، وأجل ذخيرة لغـوية ينعم النـاس بارتشـاف رياها !

وعلى الجملة يكـون الكتاب الـذي يحمل أحـاديث أبي هـريـرة ، هـو الكتـاب الثاني ـ في الصـدق ـ بعـد القـرآن في الـدين والعلم والأدب واللغـة والبلاغة !

وإذا قلنـا إن عمـر قـد تعنت مـع أبي هـريـرة فمنعـه من الـروايــة عن النبي (ص) وبالغ في التعنت فضـربه بغيـر حق ليكفحه بلجـام درّته ! لـو قلنا ذلك لكان عمر ـ ولا ريب ظالمـاً لأبي هريـرة أي ظلم ، وجانيـاً على الدين ـ وعلى من جاء به ـ أكبر جناية يعاقب عليها يوم القيامة عقاباً شديداً !

ولكن الـذي يقضي به الـدين والعقل والمنـطق والتاريـخ ، أن عمـر لم يفعل ما فعل مع أبي هـريرة إلا لأنـه كان يعلم من أمـره ، أنه ليس أهـلاً لأن يكون راوية أميناً صادقاً عن النبي (ص) ولا هو ممن يصـح أن يظل مـا يرويـه باقياً بين المسلمين ، يأخذه الخلف عن السلف بالرضا والقبول .

---

(١) إذا كان أبو هريرة قد حمل كل أحاديث النبي وجاءنا بهـا صحيحة فـأي داع لأن نسمع من غيره أحاديث قد لا تأتي صحيحة !!

وما لنا نذهب بعيداً في أمر موقف عمر من أبي هريرة ـ وهذا الأمر مقطوع به ومعروف قبل عمر وأبي بكر ، ذلك بأن النبي (ص) قد حسمه وقضى فيه بصائب حكمه عندما أقصاه إلى البحرين .

فلو كان (ص) يعلم في أبي هريرة خيراً لأبقاه بجواره بالمدينة لكي يحفظ عنه أحاديثه ثم يبثها من بعده بين المسلمين حتى تظل محفوظة مصونة ، وبذلك يصبح بحق (راوية الإسلام) كما خرَّف وخرَّق بذلك جماعة من شيوخ الدين واستعلنوا به في آخر الزمان بين العالمين ! !

وكأن هذا الأمر الخطير قد غاب علمه عن السلف الصالح وعمن جاء بعدهم جميعاً على مدّ التاريخ الإسلامي كله فلم يعرفه النبي ولا خلفاؤه ولا أئمة المسلمين جميعاً حتى اهتدى إليه هؤلاء الشيوخ في آخر الزمان ! وسبحان واهب العقول ! وسنزيد هذا الأمر بياناً عند كلامنا على كتاب عجاج الخطيب في آخر الكتاب .

على أنه قد استبان واتضح من روايات أبي هريرة التي حملت ما حملت ـ بعد أن غابت عنه درة عمر ما أثبت يقيناً أن ما صنعه عمر معه إنما كان عملاً رشيداً ، وأن رأيه فيه كان سديداً ، ولو أن أبا هريرة قد مات قبل موت عمر لما رأينا من مروياته ما رأينا من خرافات وإشكالات وإسرائيليات ـ كما ذكر العلامة السيد رشيد رضا ذلك من قبل .

هذه وقفة لا بد منها لأن موقف عمر من أبي هريرة من أهم الأدلة التي تكشف عن حقيقة مرويات أبي هريرة ، وتضعه في ميزان التقدير ، بل قل : إن هذا الموقف وحده كافٍ لنزع الثقة فيه وفي مروياته معه إلى يوم الدين .

لم يظهر أبو هريرة إلا بعد الفتنة :

ذكرنا لك من قبل أن أبا هريرة لم يكن له أي شأن في زمن النبي (ص) ولا في زمن الخلفاء الأربعة من بعده ، وأنه لم يستطع أن يفتح فاه بحديث عن النبي إلا بعد موت عمر ، ولم يجرؤ على الفتيا أو يلفظ بكلمة في الدين

إلا بعد أن توفي عثمان - أي بعد الفتنة الكبرى كما قرر ذلك كبار المؤرخين ، أما إكثاره من التحديث عن رسول الله وإسرافه في ذلك ، فلم يكن إلا في عهد بني أمية بعد أن خلا له الجو ، وأصبح من دعاتهم وأنصارهم .

وإليك ما قاله ابن سعد في طبقاته وهو يترجم لعبدالله بن عباس(١) :

«كان ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدري - وأبو هريرة - وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبدالله ، ورافع بن خديج ، وسلمة ابن الأكوع ، وأبو واقد الليثي ، وعبدالله بن بحينة ، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ، **يفتون بالمدينة ويحدِّثون عن رسول الله من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا»** .

أما قبل ذلك فكان من عامة الصحابة فلم يعرف عنه أنه قام بعمل ديني كما عمل غيره من الصحابة المشهورين ، اللَّهُمَّ إلا أنه كان يؤذن للصلاة وهو في البحرين مع العلاء بن الحضرمي كما عرفت(٢) وقد ظل يهوى التأذين ويتعشقه ويميل إليه إلى زمن مروان بن الحكم أي بعد سنة ٤١ هـ .

ولا غرابة في أن يلمع نجمه المنطفىء في عهد بني أمية المظلم ، بعد أن اختفت من سمائه كواكب أعلام الصحابة وخيارهم ولم يبق فيه إلا نجوم منطفئة .

وقائع لم يحضرها ـ ويزعم أنه حضرها :

كان أبو هريرة لا يفتأ يعمل على ما يرفع من شأنه في عهد بني أمية

---

(١) ص ١٢٤ ج ٢ ق ٢ طبعة ليدن وص ٣٣٦ ج ٢ من تاريخ الذهبي الكبير وص ٤٣٧ ج ٢ من سير أعلام النبلاء و٢٢٣ ج ٣ من نفس المصدر وارجع إلى كتابنا «أضواء على السنة المحمدية» الطبعة الثالثة لكي تعرف من كانوا يفتون على عهد رسول الله وعهد صاحبيه أبي بكر وعمر فإنك لا تجد منهم أبا هريرة إذ كان كما قلنا مغموراً لا يعرفه أحد .

(٢) يراجع هذا الأمر فيما سبق من هذا الكتاب .

ويتخذ كل سبيل لهذه الغاية ، وكان مما صنع في ذلك أن يدعي حضور وقائع لم يرها !

ومن ذلك أنه قال ، كما روى البخاري : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع ! وقد جاء هذا الحديث كذلك في مسلم على حين أنه لم يشهد الفتح إجماعاً وإنما جاء بعد الفتح .

ومن ذلك أنه زعم أنه كان مع أبي بكر في حجته ، وأورد في ذلك أحاديث ملفقة متعارضة - وللأسف أوردها البخاري في كتابه - وكلها قد جاءت من قبل أبي هريرة وابنه المحرر ، فمرة يقول[1] : إن أبا بكر قد بعثه في مؤذنين في تلك الحجة ليؤذن في الناس ، ثم أردف النبي (ص) بعلي ، فأمره أن يؤذن ببراءة (معنا) أي أنه كان مع أبي بكر وأن علياً قدم عليهم .

وتارة أخرى يقول فيها : كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله مع علي ببراءة وكنا نقول : لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى أربعة أشهر[2] .

ولا نتوسع في إيراد هذا التخليط في هذا الأمر حتى لا نطيل بغير فائدة ونقول :

إن الأمر في حجة أبي بكر ظاهر مكشوف ، وقد أورده ابن إسحاق في سيرة ابن هشام والطبري وغيرهما من المحققين ولم يذكر فيها شيء عن أبي هريرة وإنا نلخص هنا ما جاء في سيرة ابن هشام عنها[3] :

بعث رسول الله أبا بكر أميراً على الحج سنة ٩ هـ . وبعد أن فصل أبو بكر عن المدينة نزلت سورة براءة ، فقيل لرسول الله : لو بعثت بها أبا بكر ؟

---

(١) روى ذلك البخاري في تفسير سورة براءة .

(٢) أخرجه الحاكم ورواية أحمد والنسائي «كنا مع علي حين بعثه رسول الله إلى مكة ببراءة» .

(٣) ص ٢٠٣ وما بعدها ج ٤ .

فقال : لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا عليّاً وقال له : أُخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى إلخ . فخرج عليّ على ناقة رسول الله العضباء ـ حتى أدرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ فقال : بل مأمور . حتى إذا كان يوم النحر ، قام عليّ رضي الله عنه فأذّن في الناس بالذي أمر رسول الله ، وكان الذي أذن به عليّ «أن لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله (ص) عهد فهو إلى مدته[1] ، ويؤيد ذلك ويعززه ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكر وعليّ في هذا الأمر ، وإليك نص ما صرّح به أصحاب الشأن أنفسهم في هذا الأمر ، وهما : أبو بكر وعليّ رضي الله عنهما ، حتى نأخذ الطريق على كل مكابر يريد أن يماري فيما قطعنا به ، قال أبو بكر : إن النبي (ص) بعثني ببراءة لأهل مكة ، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ـ ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته ، والله بريء من المشركين ورسوله ، قال : فسرت بها ثلاثاً ، ثم قال رسول الله (ص) لعليّ : الحق أبا بكر فرده عليّ وبلِّغها أنت (قال) ففعل عليّ ذلك ورجعت إلى المدينة ، فلما قدمت على النبي (ص) بكيت إليه وقلت : يا رسول الله ، حدث فِيَّ شيء ؟ قال : «ما حدث فيك إلا خير ، لكني أُمرت ، ألا يبلغها إلا أنا أو رجل مني»[2] .

وقال عليّ : لما نزلت عشر آيات من سورة براءة دعا النبي (ص) أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي : أدرك أبا بكر ، خذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم ، فلحقته فأخذت الكتاب منه ، فرجع إلى النبيّ (ص) فقال : يا رسول الله ، نزل فيّ شيء ؟ قال : لا ، ولكن جبرائيل جاءني فقال : «لن يؤدي عنك إلا أنت ، أو رجل منك»[3] .

---

(١) كان العرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم في الحج التي كانوا عليها في الجاهلية .

(٢و٣) رواهما أحمد في مسنده .

ولعليّ حديث آخر قال فيه : إن رسول الله بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثم أتبعه بي فقال لي : خذ الكتاب منه فامضِ به إلى أهل مكة ، قال : فلحقت أبا بكر فأخذت الكتاب منه ، فانصرف إلى المدينة وهو كئيب ، فقال يا رسول الله : أنزل فيّ شيء؟ قال : لا ، إلا أني أُمرت أن أبلغه أنا ، أو رجل من أهل بيتي[1] .

هذه هي قصة حج أبي بكر على وجهها الصحيح ، فأين كان أبو هريرة إذن ؟ وأين مكانه بجوار أبي بكر ، أو بجانب عليّ ؟

وإنا نقول في ثقة : بأننا لا نطمئن بما أورده الرواة عن أبي هريرة في هذا الأمر وإن كان فيهم البخاري ، أوْ غير البخاري ، ونقطع بأن أبا هريرة لم يكن في هذه الحجة ، ولم يشهدها ، لا مع أبي بكر ، ولا مع علي ! وأنى له أن يحضر هذه الحجة وهو كان يومئذٍ على التحقيق ليس بالمدينة ، وإنما كان بالبحرين مع العلاء ـ كما أثبتنا ذلك من قبل[2] .

ثم دليل آخر قوي يؤيد ما حققناه من أن أبا هريرة لم يشهد هذا الحج ولا كان حينئذٍ في المدينة أنه جعل في حديثه الذي مرّ بك آنفاً أجل عهد النبي (ص) إلى المشركين أربعة أشهر ! وقد أنكر العلماء ذلك لأن الذي جاء في خطبة الإمام يومئذٍ : ومن كان له عهد من المشركين فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ، ومن ليس له عهد فأجله إلى أربعة أشهر ! وهذا مما يدل قطعاً على أنه لم يسمع بأذنه ، ما قيل يومئذٍ وإنما أخرجه من كيسه ، وافتراه من عند نفسه .

ومن غرائبه أنه قال ـ كما جاء في المستدرك للحاكم :

دخلتُ على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان وبيدها مشط فقالت : خرج رسول الله من عندي آنفاً ، رجَّلت شعره ، فقال : كيف تجدين أبا عبدالله

---

(١) رواه أحمد والنسائي في الخصائص .

(٢) راجع تحقيقنا السابق في هذا الأمر .

(يعني عثمان) قالت : بخير ، قال : أكرميه فإنه من أشبه أصحابي بي خُلقاً[1] .

قال الحاكم : هذا حديث (صحيح الإسناد) واهي المتن ! فإن رقية ماتت سنة ٣ من الهجرة عند فتح بدر ، وأبو هريرة أسلم بعد فتح خيبر في سنة ٧ من الهجرة . ولكنه أبو هريرة !!

ومن ذلك أنه قال : «صلّىٰ بنا رسول الله الظهر ، أو العصر فسلم في ركعتين فقال له ذو اليدين : أنقصت الصلاة ؟ أم نسيت !

وذو اليدين استشهد ببدر قبل أن يسلم أبو هريرة بزمان ! وقد اضطرب أبو هريرة في هذا الحديث وتعارضت أقواله ، فمرة يقول : صلى بنا إحدى صلاتي العشيّ ، إما الظهر ، وإما العصر ! وتارة يقول : صلّى بنا صلاة العصر ، وأخرى يقول : بينما أُصلي مع رسول الله صلاة الظهر ! وهذه الروايات كلها في البخاري ومسلم . وأسفا !

ومن الوقائع التي لم يحضرها ، واخترعها ليتقرب إلى معاوية بها ! ما رواه عنه مسلم في حديثين اثنين :

أحدهما ، قال رسول الله (ص) لعمه أبي طالب : قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ، قال : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : إنما حمله على ذلك ، لأقررت بها عينك ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ .

والآخر قال رسول الله لعمّه عند الموت : قل : لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ، فأبى ، قال فأنزل تعالى الآية إلخ رواه مسلم .

وأنّى له أن يسمع هذين الحديثين وقد مات أبو طالب في مكة سنة عشر قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل إنه مات سنة ٩ وفي رواية أنه مات سنة ٨ . أي قبل أن يسلم بعشر سنين ، لأن الإجماع قد انعقد على أن أبا هريرة لم

---

(١) هذا الحديث مما تقرب به أبو هريرة ـ ولا ريب ـ إلى بني أمية .

يسلم إلا بعد أن فرغ النبي (ص) من وقعة خيبر التي كانت في سنة ٧ من الهجرة ، ولكنه أبو هريرة !!

والأخبار في ذلك كثيرة تملأ مجلدات فنقتصر على ما أوردناه وهو كافٍ وندع فهمه وإدراكه إلى ذوي الفهم والإدراك .

أبو هريرة يدلس :

كانت طريقة أبي هريرة في روايته للحديث أن يرفع كل ما يرويه إلى النبي سواء أكان قد سمعه منه مشافهة ، أم أخذه من غيره من الصحابة ، أو من التابعين عنعنة ، وكان لا يميز بين هذا وذاك عند الرواية ولا يذكر اسم من أخذ عنه من غير النبي ـ وهذا يعد عند المحدثين ـ تدليساً ، ويكون ما يرويه من هذا الباب في حكم (المرسل) وقد أثبت العلماء أن أبا هريرة كان (مدلساً)[١] لأن أكثر ما رواه بل غالبه لم يأخذه (سماعاً) من النبي بسبب تأخر إسلامه وإنما رواه عنعنة[٢] عن غيره من الصحابة أو التابعين[٣] .

قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث[٤] :

كان أبو هريرة يقول : قال رسول الله كذا ، وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه ، وكذلك كان ابن عباس يفعل وغيره من الصحابة .

وقد احتاط ابن قتيبة فقال (من الثقة عنده) ولم يقل من الثقة ، لأن أبا هريرة لم يكن يذكر اسم من روى عنه حتى يعلم ، إن كان ثقة أو غير ثقة ـ وسيأتيك كلام طويل في ذلك .

---

(١) يقال في اللغة : دلس في البيع إذا لم يظهر عيبه .

(٢) قال أبو بكر بن العربي : إذا كان الحديث معنعناً كان محتملاً ولا يلزم فيه ما يلزم في حدثني ، لأن للراوي أن يقول : عن فلان وإن لم يدركه ، حكاه الشافعي ص ٥٢ من كتاب الإجابة .

(٣) ذكرنا لك من قبل ما قاله السيوطي وغيره من أن الصحابة كانوا يروون عن التابعين وأن العبادلة الثلاثة وأبا هريرة وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار الذي جعلوه من كبار التابعين الموثوق بهم .

(٤) ص ٥٠ .

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء[1] ، قال يزيد بن إبراهيم : سمعت شعبة[2] يقول : «كان أبو هريرة يدلس» . وعلق الذهبي على هذا الخبر بقوله : تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه . وقد جاء قول يزيد بن هارون هذا الذي سمع شعبة ـ تامّاً ـ في رواية أُخرى ، وهاك نصّها كاملاً كما جاء في البداية والنهاية ، قال يزيد بن هارون :

سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس ، أي يروي ما سمعه من كعب الأحبار وما سمعه من رسول الله ، فلا يميز هذا من هذا ـ ذكره ابن عساكر ـ وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه (من أصبح جنُباً فلا صيام له)[3] فإنه لما حوقق عليه قال : أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله[4] .

وما دام قد ثبت أن أبا هريرة كان (مدلساً) وكان الحديث الذي يرويه (المدلس) يسميه رجال الحديث (مرسلاً) فقد وجب علينا أن نقول كلمة وجيزة في (الحديث المرسل) واختلاف شيوخ الحديث والفقه في الاحتجاج به ، لأن الكلام في الحديث المرسل متصل بالتدليس ، حتى نستوفي تاريخ أبي هريرة من جميع أطرافه .

التدليس والمدلسون :

التدليس كما عرفوه أن يروي (الراوي) عمن لقيه ما لم يسمعه منه ، أو

(١) ص ٤٣٨ ج ٢ .

(٢) شعبة بن الحجاج هو الحجة الحافظ إمام أهل الجرح والتعديل ، قال فيه الثوري : شعبة أمير المؤمنين في الحديث ـ وقال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق . وكان صريحاً فيما يقول ـ ومن صراحته أنه كان يقول : والله لأنا في الشعر أسلم مني في الحديث ، ولو أردت الله ما خرجت لكم ، ولو أردتم الله ما جئتموني ، ولكنا نحب المدح ونكره الذم ـ هذا هو رأي شعبة وأمثاله في التدليس وسيأتيك ما قاله كبار العلماء في ذمه واستبشاعه .

(٣) سيمر بك هذا الحديث مفصلاً وأنه لما أُخرج أبو هريرة فيه زعم مرة أنه سمعه من الفضل بن العباس ، ومرة أُخرى أنه سمعه من أسامة بن زيد . ومرة يقسم أن محمداً قاله !! .

(٤) ص ١٠٩ ج ٨ من البداية والنهاية .

عمن عاصره ، ولم يلقَه موهماً أنه سمعه منه .

وقال الحاكم في النوع السادس والعشرين من كتابه (معرفة علوم الحديث) . التدليس عندنا على ستة أجناس - ثم تكلم عن الجنس الثاني فقال : إنهم قوم يدلسون الحديث ، فيقولون قال فلان ، فإذا وقع من ينقر عن أسماعهم ويراجعهم ذكروا فيه سماعاتهم[1] .

وأبو هريرة ولا ريب من هذا الجنس ، لأنه كان يروي عن غيره من الصحابة ، دون أن يذكر إسم من روى عنه ، ثم يرفعه إلى النبي فإذا حوقق في حديث ، اضطر إلى ذكر من روى عنه - وكان عندما يُحرج - يُحيل على ميت كما فعل في حديث (من أصبح جنباً) الذي سنورد قصته فيما بعد .

وقال النووي في التقريب[2] :

«تدليس الإسناد بأن يروي الراوي عمن عاصره ، لم يسمع منه موقناً سماعه قائلاً : قال فلان : - أو عن فلان - وهذا التعريف ينطبق على أبي هريرة انطباقاً تامّاً : فهو في أغلب رواياته يقول : قال رسوّل الله ، أو عن رسول الله ، وهو لم يسمع منه (ص) .

الحديث المدلس :

والحديث المدلس - بفتح اللام - هو ما سقط من إسناده راوٍ لم يُسَمّه من حدث عنه موهماً سماعه للحديث ممن لم يحدثه بشرط معاصرته له[3] .

حكم التدليس :

وحكم التدليس أنه مذموم كله على الإطلاق - حتى بالغ شعبة بن الحجاج إمام أهل الجرح والتعديل فقال : «لأن أزني أحبّ إليّ من أن

---

(١) إرجع إلى ص ١٨٢ من كتاب توجيه النظر للجزائري تجد كلاماً كثيراً عن التدليس والمدلسين .

(٢) ص ٨ .

(٣) ١١٣ قواعد التحديث .

أدلس» ، وقال أيضاً «التدليس أخو الكذب» .

وذهب بعضهم إلى أن من عرف به صار مجروحاً مردود الرواية مطلقاً ، وإن صرح بالسماع بعد ذلك . والصحيح الذي رجحه علماء الحديث أن ما رواه المدلس بلفظ محتمل ولم يصرح فيه بالسماع لا يقبل ، بل يكون (منقطعاً) وما صرح فيه بالسماع يقبل وهذا كله إذا كان الراوي ثقة في روايته[1] .

وقال بعضهم : المدلس داخل في قول النبي (ص) «من غشنا فليس منا» لأنه يوهم السامعين أن حديثه متصل وفيه انقطاع ، هذا إن دلس عن ثقة فإن كان ضعيفاً فقد خان الله ورسوله ، وهو ـ كما قال بعض الأئمة ـ حرام إجماعاً .

وقد اختلف العلماء في قبول رواية من عرف بالتدليس ، فقال فريق من أهل الحديث والفقهاء : لا تقبل رواية المدلس بحال ـ سواء بيَّن السماع أو لم يبين ، لأن التدليس مما يقتضي الجرح .

ومن الحفاظ من جرح من عرف بالتدليس من الرواة فرد روايته مطلقاً ، وإن أتى بلفظ الاتصال ، ولو لم يعرف أنه دلس مرة واحدة ـ كما نص على ذلك الشافعي رحمه الله[2] .

والكلام في هذا الموضوع طويل الذيل لو ذهبنا في استقصائه لخرجنا عن موضوعنا فيرجع إليه في مظانه .

وإذا طبقنا ذلك كله أو بعضه على أبي هريرة رأينا أين يكون مكانه بين الرواة في ميزان الضبط والعدالة ! ومبلغ رواياته من الصحة والصدق ! ولكن لا يستطيع أحد أن يطبق أي قاعدة على الصحابة . . لأنهم جميعاً في رأي

---

(١) ص ، ٣٤ من شرح ألفية السيوطي للشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، أما الحديث المنقطع فستعرفه قريباً .

(٢) ص ٤٤ و٤٥ من رسالته .

الجمهور من الخطأ معصومون ، ولا يمكن أن يمتد الشك أو الريب إلى ما يروون !

الحديث المرسل :

بعد أن تكلمنا عن التدليس وحكمه ، والمدلسين وما قالوه فيهم ، نواصل الكلام عن (الحديث المرسل) لأنه متصل بما قبله .

عرَّفوا الحديث المرسل بأنه : هو الذي سقط منه الصحابي الذي سمع الحديث بأذنيه من النبي (ص) ! هذا هو المشهور ، وهو الصحيح أيضاً - كما في فتح المغيث للعراقي - وهو رأي الفقهاء والأصوليين ، ومما يشهد للتعميم قول ابن القطان : إن الإرسال هو رواية الرجل عمن لم يسمع منه[1] .

وقال ابن حزم في كتاب الإحكام في أصول الأحكام :

المرسل من الحديث ، هو الذي سقط بين أحد رواته وبين النبي (ص) ناقل واحد فصاعداً وهو (المنقطع) أيضاً - **وهو غير مقبول ، ولا تقوم به حجة ، لأنه عن مجهول ! وقد قدمنا أن من جهلنا حاله ، ففرض علينا التوقف عن قبول خبره ، وعن قبول شهادته ، حتى نعلم حاله - وسواء أقال الراوي العدل : حدثنا الثقة أو لم يقل ، لا يجب أن يلتفت إلى ذلك، إذ قد يكون عنده ثقة من لم يُعلم من جرحته ، ما يعلم غيره ، وقد قدمنا أن الجرح أولى من التعديل .**

وقد كذِب على النبي (ص) وهو حي ، وقد كان في عصر الصحابة منافقون ، ومرتدون فلا يقبل حديث قال راوية فيه : عن رجل من الصحابة ، أو حدثني من صحب رسول الله (حتى يسميه) ويكون معلوماً بالصحبة الفاضلة[2] - قال الله عزّ وجل : ﴿**ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن**

---

(١) ١١٤ من قواعد التحديث للقاسمي .

(٢) هذا هو الحق ، ولقد أصاب ابن حزم بذلك كبد الصواب .

أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ! سنعذبهم مرتين ، ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ .

وقد ارتد قوم ممن صحب النبي (ص) كعيينة بن حصن والأشعث بن قيس وعبدالله بن سرح إلخ .

«وقد روى مسلم عن عبدالله مولى أسماء بنت أبي بكر قال : أرسلتني أسماء إلى عبدالله بن عمر فقالت : بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة ، العلَمَ ، في الثوب ، وميثرة الأرجوان ، وصوم رجب[1] ! فأنكر ابن عمر أن يكون حرم شيئاً من ذلك !

فهذه أسماء وهي صحابية من قدماء الصحابة ، وذوات الفضل منهم - قد حدثها بالكذب من شغل بالها حديثه عن ابن عمر ، حتى استبرأت ذلك ، فصح كذب المخبر . .

فواجب على كل أحد أن لا يقبل إلا من عرف اسمه وعرف عدالته وحفظه»[2] . انتهى كلام ابن حزم . وقال في المسائل التي جعلها مقدمة لكتابه المحلى : والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة .

وَرَدّ أبو إسحاق الإسفرايني ومن وافقه ، المرسل مطلقاً حتى مراسيل الصحابة[3] .

وأخرج العقيلي من حديث ابن عوف قال : ذكر أيوب السختياني لمحمد بن سيرين حديثاً عن أبي قلابة فقال : أبو قلابة رجل صالح ! ولكن عمن ذكره أبو قلابة ؟

وأخرج في الحلية من طريق ابن مهدي عن ابن لهيعة أنه سمع شيخاً

---

(١) الميثرة بالكسر بدون همز لبدة الفرس . قال أبو عبيد وأما المياثر الحمر التي جاء فيها النهي فإنها كانت من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير ، والأرجوان بضم الهمزة والجيم معرب وهو الأحمر الشديد الحمرة .

(٢) ص ٢ - ٤ ج ٤ من الأحكام .

(٣) ص ٢ ج ٧ من فتح الباري لابن حجر العسقلاني .

من الخوارج يقول بعدما تاب : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ! فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرنا له حديثاً !

قال الحافظ ابن حجر : هذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمرسل ، إذ بدعة الخوارج كانت في مبدأ الإسلام ، والصحابة متوافرون ، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم ـ وهؤلاء إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً ! وأشاعوه ! فربما سمع الرجل الشيء فحدث به ولم يذكر من حدثه به تحسيناً للظن ، فيحمله عنه غيره ، ويجيء الذي يحتج بالمنقطعات[1] فيحتج به مع كون أصله ما ذكرت[2] .

مراسيل الصحابة :

هذا ما قالوه وشددوا فيه في أمر مراسيل غير الصحابة ، وأما مراسيل الصحابة فقد قالوا : إن حكمها حكم الموصول على المشهور ، الذي ذهب إليه الجمهور .

قال ابن الصلاح : لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه ، مرسل الصحابي ، مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحاديث الصحابة عن النبي (ص) ولم يسمعوه منه ، لأن ذلك في حكم الموصول المسند ! لأن رواياتهم عن الصحابة ! والجهالة بالصحابي غير قادحة ، لأن الصحابة كلهم عدول !

قال الحافظ العراقي : وفي قوله : ـ لأن روايتهم عن الصحابة ـ نظر ، والصواب أن يقال : لأن غالب روايتهم ، إذ قد سمع جماعة من الصحابة من بعض التابعين[3] .

---

(١) قال النووي في التقريب في تعريف «المنقطع» : الصحيح الذي ذهب إليه الفقهاء والخطيب وابن عبد البر وغيرهما من المحدثين : أن المنقطع ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه ، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي ، كمالك عن ابن عمر ص ٧ .

(٢) ص ٢٤٥ من توجيه النظر .

(٣) ص ٢٤٥ و٢٤٦ من نفس المصدر .

ونحن لا ندري لماذا يفرقون بين مراسيل الصحابة ، وبين مراسيل غيرهم ، فيجعلون مراسيل الصحابة في حكم الموصول الذي يؤخذ به ، أما مراسيل غيرهم فيختلفون في الأخذ بها ، والصحابة ناس يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من التابعين وغير التابعين وقد أثبت التاريخ ـ والقرآن يؤيده ـ أنه قد وقع منهم مثل ما وقع من سائر خلق الله من الأناسي أجمعين ، فكان منهم المنافقون ، وكان منهم من ارتكب الكبائر ، وكان منهم من قاتل بعضهم بعضاً ، وكفر بعضهم بعضاً ، ثم كان منهم المرتدون . وغير ذلك مما يعلم من تاريخهم ، ولا يستطيع عاقل منصف أن يدافع عنهم ، وقد أشبعنا القول في أمر عدالة الصحابة فارجع إلى الفصل الذي عقدناه لذلك في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) ، الطبعة الثالثة .

أبو هريرة ليس كغيره من الصحابة بل له وضع خاص :

لو حققنا النظر في أمر أبي هريرة على ما تبين من دراسة تاريخه ، وعرفنا حقيقة مكانه من الصحبة بين غيره ، وبخاصة في عهد النبي وخلفائه ـ لوجدنا أنه من دون الصحابة جميعاً ، يجب أن يكون له وضع خاص لأنه قد أصيب من طعن كبار الصحابة ومن جاء بعدهم فيه إلى اليوم بما لم يُصب بمثله أو بقليل منه أحد غيره ـ مما كان بعضه يكفي لتجريحه ، وتمحيص رواياته والتوقف فيها ، ولكن الأمر قد جرى معه على غير ما كان يجب أن يجري . فقد رأينا رجال الجرح والتعديل قد وقفوا منه ومن مثله من الصحابة ـ موقفاً عجيباً ـ خالفوا فيه قواعدهم التي وضعوها ، وطبقوها على الرواة جميعاً من غير الصحابة . فلم يمسوه ـ بنقد أو تجريح ، واعتبروه عدلاً صادقاً ، لا يجوز أن يستريب أحد في روايته ، وكل ما رواه يلزم تصديقه ، والأخذ به .

وقد بالغوا في الثقة به حتى جعلوا مروياته التي لم يسمعها من النبي ، وإنما سمعها عنعنة من غيره من الصحابة أو التابعين في حكم (المرفوع) على

حين أنه لم يصرح بسماعها من النبي أو ممن تلقاها عنهم حتى يعرف حقيقة من أخذ عنه من غير النبي ، **إذ قد يكون من روى عنه ـ قد روى هو الآخر مثله عن صحابي غيره أو تابعي بعده ، ولم يأخذه من النبي سماعاً** ، ذلك بأن الصحابة جميعاً كان من عادتهم أن يروي بعضهم عن بعض بغير أن يبين الراوي اسم الصحابي الذي روى عنه ، سواء أكان من الصحابة أم من التابعين ، وقد كان بعض التابعين يروي عن إخوانه ، كما كان كعب الأحبار وهو من التابعين يروي عن مثله من التابعين ثم يروي الصحابة عنه ، وقد كانوا في هذا العهد لا يسألون عن الإسناد ـ روى مسلم في مقدمة كتابه عن محمد بن سيرين أنه قال :

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ـ وقال : لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة (أي فتنة عثمان) قالوا : سموا لنا رجالكم .

وإذا كان أبو هريرة صادقاً فيما يروي ، فما يدرينا أن يكون من روى عنه صادقاً ؟ ونحن لم نعرف عنه شيئاً ، لأنه لم يذكر إسمه !

وعدالة الراوي شرط في صحة حديثه فلا بدّ أن يكون من يروي عنهم أبو هريرة معروفين حتى ينظر في عدالتهم وضبطهم .

وإليك سؤالاً عظيماً أورده العلامة القرافي في التنقيح عن الإرسال فقال :

الإرسال : هو إسقاط صحابي من السند ـ والصحابة كلهم عدول ـ فلا فرق بين ذكره والسكوت عنه ، فكيف جرى الخلاف فيه ؟ وأجاب هو : بأنهم عدول ، إلا عند قيام المعارض ، وقد يكون المسكوت عنه منهم عرض في حقه ما يوجب القدح ، فيتوقف في قبول الحديث حتى تعلم سلامته عن القادح[1] .

---

(١) ص ١٢٢ من قواعد التحديث للقاسمي .

ولنرجع إلى الكلام عن الراوي الذي لم يعرف إسمه ، فننقل كلمة قيمة للفقيه المحدث السيد محمد رشيد رضا وارث علم الأستاذ الإمام محمد عبده ، قال رحمه الله :

«. . وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ، ولم يعز إليه ـ ولا يغرنك قولهم : إن مراسيل الصحابة حجة ، وإن الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه ـ له حكم المرفوع . فإذا ثبت أن أبا هريرة مثلاً كان يروي عن كعب الأحبار وأن الكثير من أحاديثه (مراسيل)[1] فالواجب أن يتروى في كل حديث لم يصرح فيه بالسماع من النبي[2] . فإذا كان من الاسرائيليات ، أو ما في معناها ، احتمل أن يكون قد رواه عن كعب ، وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح إسناد كلام إلى النبي يوقع في الإشكال»[3] .

تناقض رجال الحديث :

وإن أمر رجال الحديث لعجيب فإنهم يتناقضون حتى في تطبيق قواعدهم ، فبينما هم يجعلون روايات أبي هريرة وغيره من الصحابة التي لم يسمعوها من النبي في حكم المرفوع ، ويأخذون بها ، إذ بهم يعتبرون مثل هذه الروايات من غير الصحابة في حكم المرسل ، وإنهم بذلك ليزنون بميزانين ويكيلون بكيلين ، ولا يسألون عما يفعلون ، وكأن هذا الأمر قد جاءهم فيه نص قاطع من الله أو من رسوله ، فهم يخشون أن يخالفوا هذا الأمر القطعي أو يخرجوا عليه !

على أننا إذا سلّمنا جدلاً لمن يقول : إن الصحابة كلهم عدول فإن أبا

---

(١) هكذا يقرر هذا العالم الكبير أن الكثير من أحاديث أبي هريرة «مراسيل» ويطلب أن لا يغتر أحد بقولهم «إن مراسيل الصحابة حجة» .

(٢) حتى سماع أبي هريرة فيه شيء كما في حديث خلق الله التربة يوم السبت الذي صرح بسماعه من النبي وأن يده كانت في يده وهو ينطق بهذا الحديث ، وقد جزم أئمة الحديث بأنه قد أخذه من كعب الأحبار .

(٣) ص ٩٩ ج ١٩ من المنار .

هريرة خاصة كما قلنا بما حمل تاريخه وما نال من اتهام رواياته على مدّ الزمن ، لا يصح ولا ريب أن تشمله هذه العدالة المطلقة ، ولا أن يتفيأ ظلالها .

وأعجب من هذا وأغرب ، أنهم ـ وقد جعلوا التدليس والإرسال من أسباب الجرح والتعديل[1] وكان عليهم بذلك أن يجرحوا أبا هريرة من هاتين الناحيتين لأنه كان يدلس ويرسل ـ تركوه يروي كما يريد ، ويتحدث بما يشاء ، من غير أن يشك في روايته أحد ، أو يجرحه إنسان لأنه صحابي جليل !

وإليك كلمة حق تؤيدنا فيما أثبتناه من تناقض رجال الحديث في تطبيق قواعدهم على الصحابة وغير الصحابة صرح بها علماء الكلام فقالوا[2] :

«ومن عجيب شأنهم[3] أنهم ينسبون (الشيخ)[4] إلى الكذب ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدح يحيى بن معين ، وعلي بن المديني[5] وأشباههما ويحتجون بحديث أبي هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة» ، وغيرهم ، وكثيرون ممن جاء بعدهم من التابعين . ولم يبرح أهل التحقيق يكذبونه حتى يومنا هذا وإلى يوم الدين . .

كثرة أحاديث أبي هريرة :

لو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام ، كالقرآن الكريم ، لا يقوم إلا عليها ، ولا يؤخذ إلا منها ، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرفها

---

(١) إن أسباب الجرح والتعديل مدارها عندهم على خمسة أشياء «١» البدعة «٢» والمخالفة «٣» والغلط «٤» وجهالة الحال «٥» ودعوى الانقطاع في السند بأن يدعى في الراوي أنه كان يدلس أو يرسل ، وشيخهم كان بحمد الله يدلس ويرسل .

(٢) ص ١٠ و١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

(٣) أي رجال الحديث .

(٤) ليس المراد شيخاً معيناً مخصوصاً بل المراد شيخ من الأشياخ (كذا في الأصل) .

(٥) هما من كبار رجال الجرح والتعديل .

ويتبع ما فيها ، كما يتبع ما في القرآن ، وكان النبي قد أمر أصحابه أن يحفظوا هذه الأحاديث لكي تؤثر عنه من بعده ـ لكان أكثر الصحابة رواية لها ، أعلاهم كعباً في الدين ، وأثبتهم قدماً في الإيمان ، وأسناهم مرتبة في العلم ـ ولكان المقلون منهم في الرواية دون المكثرين في رتبة الدين ، ووراءهم في درجة العلم والفضل ، وخلفهم في منزلة الاعتبار والقدر ـ ولكنا نجد الأمر كما بدا في كتب الحديث المعروفة للجمهور قد جرى على خلاف ذلك .

فإن أفضل الصحابة في المرتبة ، وأرفعهم في المنزلة ، وأوسعهم علماً بالدين وأشدهم عناية به ، وأقواهم حياطة له ، ودفاعاً عنه ، الذين نيط بهم حمل أصول الدين وفروعه إلى المسلمين بما ورثوا عن أستاذهم الأكبر صلوات الله عليه ـ وبخاصة أولئك الذين رجعت إليهم الفتيا في عهد النبي كالخلفاء وكبار المهاجرين والأنصار ، ومن قالوا : إن النبي قد مات وهو راضٍ عنهم ، كل أُولئك كانوا أقل الصحابة عنه تحديثاً ، وأنزرهم رواية ، حتى لقد بلغ الأمر ببعضهم أنه لم يروِ عن النبي حديثاً واحداً !!

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب بل قد وجدنا كبار الصحابة يرغبون عن رواية الحديث وينهون إخوانهم عنها ، حتى أدّى بهم فرط الاحتياط والمبالغة في التوقي إلى أنهم كانوا يحرقون ما يكتبون منها[1] .

وهذا الأمر قد دعانا إلى أن نكسر كتاباً خاصّاً نترجم فيه لمن كان أكثر الصحابة تحديثاً عن النبي وأوسعهم رواية عنه ـ على حين أنه لم يصاحب النبي ـ على التحقيق إلا عاماً واحداً وبضعة أشهر ـ كما حققناه في هذا الكتاب ـ وكان بين الصحابة لا شأن له ، فلم يكن في العير ولا في النفير ـ ذلكم هو «أبو هريرة» ،

---

(١) كل ذلك قد بيناه بياناً مفصلاً في كتاب أضواء على السنة المحمدية ، الطبعة الثالثة ، فارجع إليه .

لولا رواياته :

ولولا أن هذه الكثرة البالغة قد استفاضت في كتب الحديث المشهورة وأخذت مكان الاعتبار والتصديق من قلوب الجمهور من المسلمين ، وسيطرت على عقولهم وأفكارهم ، ونفذت إلى أصول الدين وفروعه ، وأصبحت مصدراً للفقهاء في أحكام الدين وشرائعه ، وأدلة للمتكلمين ، وأصحاب الملل والنحل في عقائدهم ، على ما في كثير منها من مشكلات وترهات وأساطير تحار فيها عقول المفكرين من المؤمنين وغير المؤمنين ، وشبهات وخرافات ، تُتخذ مطاعن على الدين ، وأسانيد يُتّكأ عليها في إثبات الإسرائيليات وغيرها ؛ لولا ذلك كله ما جرى بهذا البحث قلمنا ، ولا اتجه إليه بالعناية همنا .

أبو هريرة أكثر الصحابة تحديثاً :

أجمع رجال الحديث على أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة تحديثاً عن رسول الله ـ على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاماً واحداً وبضعة أشهر فحسب كما قلنا .

وقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقي بن مخلد[1] قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧٤ روى البخاري منها ٤٤٦ مما جعل الصحابة ينكرون عليه ويكذبون بعض رواياته كما ستراه بعد .

هذا هو المعروف المشهور ولكنا رأيناه يقول كما روى البخاري[2] وغيره :

ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبدالله بن

---

(١) هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي من حفاظ الحديث وأئمة الدين ملأ الأندلس علماً جماً وله تفسير فضلوه على تفسير ابن جرير ، وله في الحديث مصنفه الكبير الذي رتب فيه حديث كل صاحب على الفقه وبيان الأحكام ، فهو مصنف ومسند وكان حراً لا يقلد أحداً ولد سنة ١٨١ هـ . وتوفي سنة ٢٧٦ .

(٢) ص ١٦٧ ج ١ فتح الباري .

عمرو[1] فقد كان يكتب ولا أكتب[2] ولو بحثنا عن كل ما رواه ابن عمرو هذا لوجدناه ٧٠٠ حديث عند ابن الجوزي أي بنسبة١/٨ مما رواه أبو هريرة روى البخاري منها ثمانية ومسلم عشرين .

ولعل اعتراف أبي هريرة هذا . . قد صدر عنه أول أمره حينما كان يعيش بين كبار الصحابة وعلمائهم ، إذ كان يخشى أن ينكروا عليه مروياته ، ولكن لما خلا له الجو ، واستباح الرواية ـ بعد مقتل عمر وموت كبار الصحابة[3] ـ أكثر وأفرط ، وبخاصة في عهد معاوية الذي حمى ظهره ،

---

(١) هو أحد العبادلة الثلاثة الذين رووا عن كعب الأحبار وكان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويها للناس ، فتجنب كثير من أئمة التابعين الأخذ عنه وكان يقال له : لا تحدثنا عن الزاملتين . وقال ابن حجر في فتح الباري ص ١٦٧ ج إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب فكان ينظر فيها ويحدث منها فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين ، وفي رد الدارمي على بشر المريسي أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويهما للناس عن النبي ص وكان يقال له : لا تحدثنا عن الزاملتين ـ ص ١٣٦ . وقال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير في خطة تفسيره بالصفحة الرابعة من الجزء الأول :

إن عبدالله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما وقال ابن كثير عن الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً أن الأشبه أن يكون موقوفاً على عبدالله بن عمرو ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب .

وهذا نص الحديث : بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له : أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس ـ ص ٣٨٣ ج ١ ، والأخبار في ذلك كثيرة يرجع إليها في مظانها .

(٢) أثبت ذلك ابن حجر في ص ١٦٧ ج ١ فتح الباري وفي مسند أحمد عن أبي هريرة أن ابن عمرو كان يكتب بيده وكنت لا أكتب بيدي . علّق العلامة السيد محمد رشيد رضا على هذا الخبر فقال : هذا القول من أبي هريرة ليس حجة شرعية وهو لا يدل على أن ابن عمرو كان يكتب بأمر النبي ولا بإقراره فيصلح معارضاً لحديث نهيه ص عن كتابة شيء غير القرآن ـ ص ٦١٧ ج ٢٧ مجلة النار .

(٣)عن خيثمة بن عبد الرحمٰن ، قلت لأبي هريرة : حدثني ! فقال : تسألني وبينكم =

وأعلى قدره ، وجعله محدث دولته ، كما سترى ذلك إن شاء الله .

وقد يظن بعضهم من قول أبي هريرة هذا أن عبدالله بن عمرو قد كتب ما سمعه من رسول الله ، وبذلك تكون مروياته متواترة في لفظها ومعناها ، وأن ما كتبه قد حفظ من بعده بالكتابة كذلك ـ كما حفظ القرآن بالكتابة فيفيد العلم بنفسه ، ويكون أصلاً صحيحاً معتمداً بين المسلمين ـ بعد كتاب الله المبين .

ولكن المعروف أن ما لابن عمرو من الحديث في كتب السنة قد جاء من طريق الرواية لا من سبيل الكتابة ، وكل ما علم عما كتبه أنه (صحيفة) كان يسميها الصادقة ، وقد ذكروا أنها كانت تحمل أدعية منسوبة إلى النبي يقولها المرء إذا أصبح وإذا أمسى .

ويبدو أن هذه الصحيفة لم تكن عند المحققين ذات قيمة ولا تساوي شيئاً .

فقد جاء في كتاب تأويل مختلف الحديث[1] وكتاب المعارف[2] وكلاهما لابن قتيبة ما يلي :

وقال مغيرة : كانت لعبدالله بن عمرو صحيفة[3] تسمى الصادقة ، ما

= علماء ، أصحاب محمد والمجار من الشيطان ـ عمار بن ياسر ، وعمار قتل بوقعة صفين سنة ٣٧ هـ . ويتبين من هذا الحديث أن أبا هريرة كان إلى هذا التاريخ يخشى أن يحدث الناس عن رسول الله صلوات الله عليه .

(١) ص ٩٣ .

(٢) ص ٢٠٠ ويراجع ترجمة مغيرة بعد صفحات من هذا الكتاب .

(٣) في مسند أحمد عن أبي راشد الحبراني قال : أتيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت له : حدثنا ما سمعت من رسول الله ، فألقى بين يدي صحيفة ، فقال : هذا ما كتب لي رسول الله (ص) فنظرت فيها ، فإذا فيها أن أبا بكر الصديق قال : يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله : يا أبا بكر قل : اللَّهُمَّ فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت ، رب كل شيء ومليكه . أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسي =

تسرني أنها لي بفلسين !!

والفلس تساوي قيمته في التعامل بـالعراق جـزءاً من ألف من الدينـار ، أي يُقدر بمليم عندنا بمصر . .

كيف سوغ أبو هريرة لنفسه أن يروي ما يشاء ! :

لما رأى أبو هريرة أن غيره من الصحابة وغيرهم قد يلاحظون عليه كثرة الرواية عن النبي ، وأنه سيأتي منها بما لم يستطع أحد منهم أن يـأتي بمثله أو ببعضه ، هدته الحيلة إلى أن يروي حديثاً رفعـه إلى النبي لكي يسوغ بـه كل ما يرويـه ، حتى لا يكون لأحـد من الصحابـة أو من غيرهم أي مغمـز عليه ، ولكنهم برغم ذلك اتهموه وأنكروا عليه ، ولم يصدقوه ، كما ستراه فيما بعد .

فقد أخرج الطحاوي عنه (أي عن أبي هريرة) : إذا حدثتم عني حـديثاً تعرفونه ولا تنكرونه ، فصدقوا به ، قلته أم لم أقله ـ فإني أقـول ما يعـرف ولا ينكر ، وإذا حدثتم عني حديثاً تنكـرونه ، ولا تعـرفونـه فكذبـوا به ، فـإني لا أقـول ما ينكـر ولا يعرف[1] . قـال الشارح : وذكـره في رامـوز الحـديث عن الحكيم .

= سـوءاً أو أجـره إلى مسلم . الحـديث رقم ٦٨٥١ ص ٨٤ ج ١١ مسنـد أحمـد شـرح الشيخ أحمد شاكر .

وقال مجاهد رأيت عند عبدالله بن عمرو صحيفـة فسألتـه عنها فقـال : هذه الصـادقة فيها ما سمعت من رسول الله (ص) ليس بيني وبينه فيها أحد . ص ١٨٩ ج ٧ طبقـات ابن سعد .

وروى المقـريزي عن حَيْـوة بن شريـح قال : دخلت على حسين بن شُفَى بن مـانـع الأصبحي وهو يقول : فعل الله بفلان ! فقلت ماله ؟ فقـال عمد إلى كتـابين كان شُفى سمعهمـا من عبدالله بن عمـرو بن العاص أحـدهما : قضى رسـول الله في كـذا وقـال رسول الله كذا ؛ والآخر ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة فرمى بهمـا بين الخولـة والرّباب ؛ ص ٣٣٣ ج ٢ ، خطط المقريـزي . والخولـة والربـاب مركبين كبيـرين من سفن الجسـر كانـا يكـونـان عنـد رأس الجسـر ممـا يلي الفسـطاط تجـوز من تحتهمـا المراكب لكبرهما .

(١) ص ٢٣ ج ٤ من الموثقات للشاطىء .

والله يعلم إذا كان النبي قد قال هذا الحديث أو أنه قد جاء من (كيس) أبي هريرة ، وكيف يقول النبي ذلك وقد ثبت عنه أنه قال : من يقل علي ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار . وكيس أبي هريرة هذا ستعلم نبأه فيما بعد .

وقد أعرضنا عن أحاديث أخرى رويت في هذا المعنى .

ما رواه كبار الصحابة :

علمت مما تقدم أن أبا هريرة روى عن رسول الله ٥٣٧٤ حديثاً روى البخاري منها ٤٤٦ على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاماً وبضعة أشهر - وبقي أن تعرف مقدار ما رواه الذين سبقوه بالإيمان . وكانوا أدنى منه إلى رسول الله ، وأعلم بالدين ، وأبعد في الفضل والجهاد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن قضوا مع الرسول السنين الطوال - لتعرف كم روى كبارهم من أحاديث رسول الله .

ما رواه أبو بكر :

فهذا أبو بكر أول الرجال إسلاماً بعد عليّ ، وشيخ الصحابة جميعاً ، وقضى مع النبي مدة البعثة كلها ! تُرى كم من حديث رواه ؟ قال النووي في تهذيبه : روى الصديق عن النبي ١٤٢ حديثاً أورد منها السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٠٤ - وله في البخاري ٢٢ حديثاً ، وفي مسلم حديث ، وستة في الترمذي ، وحديث في أبي داود - ولعلك لا تنسى أنه كان نسابة العرب يحفظ أنساب القبائل كلها ، فلو كان قد عُني برواية الحديث وقد ظل مع النبي ٢٣ سنة لجاءتنا عنه ثروة عظيمة .

ما رواه عمر :

أسلم سنة ست فأقام مع النبي بمكة سبع سنين وبالمدينة عشراً وظل بعد ذلك إلى ٢٣ سنة - ومن قوله : كنت وجاراً لي من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من

الـوحي وغيره ، وإذا نـزل فعل مثـل ذلك[1] أسنـدوا له ٥٣٧ ولكن لم يصـح منها إلا نحو خمسين حديثاً كما أثبت ذلك ابن حزم[2] .

ما رواه عليّ :

أول من أسلم وتربى في حجر النبي ، وعـاش تحت كنفه قبـل البعثة ، واشتـد ساعـده في حضنه ، وظـل معه إلى أن انتقـل إلى الرفيق الأعلى ، لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر ـ وهو ابن عمه وزوج ابنتـه فاطمـة الزهـراء ؛ شهد المشاهد كلها سوى تبوك فقد استخلفه النبي فيها على المدينة فقال : يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال لـه رسول الله : أمـا ترضى أن تكـون مني بمنزلـة هارون من مـوسى ؟ إلا أنه لا نبي بعـدي . رواه الشيخان وابن سعد[3] . ولو كان عليّ رضي الله عنه قد حفظ كل يـوم عن النبي ـ وهو الفطن اللبيب الذكي الحـافظ ، ربيب النبي ـ (حديثـاً واحداً) وقـد قضى معه رشيـداً أكثر من ثلث قـرن ، لبلغ ما كـان يجب أن يـرويـه أكثـر من ١٢ ألف حديث . هذا إذا روى حديثاً واحداً في كل يوم ، فما بالك لو كان قد روى كل ما سمعه ـ وكـان له الحق في روايتـه ، ولا يستطيـع أحد أن يمـاري فيه ـ ولا تنس أنه مع ذلك كله كان يقرأ ويكتب ، وكان يحفظ القرآن .

هذا الإمام الـذي لا يكاد يضـارعه أحـد من الصحابـة جميعاً في العلم والفضل ـ قد أسندوا له كمـا روى السيوطي ٥٨٦ حـديثاً ، وقـال ابن حزم لم يصح منها إلا خمسـون حديثـاً . ولم يروِ البخـاري ومسلم منها إلا نحـواً من عشرين حديثاً[4] .

---

(١) ص ١٥٠ ج ١ فتح الباري .
(٢) ص ١٣٨ ج ٤ في الملل والنحل لابن حزم .
(٣) ص ١٥ ج ٢ من الطبقات .
(٤) هذا ما في البخاري ومسلم ولا نعلم شيئـاً عن مقدار أحـاديثه التي روتهـا الشيعة عنـه «ولكل قوم سنة وإمامها» .

ما رواه عثمان :

أما عثمان فقد روى البخاري له تسعة أحاديث ، ومسلم خمسة ومسنده يحتوي على ١٤٦ حديثاً .

الزبير بن العوام :

حواري رسول الله وابن عمته ، وأحد العشرة الذين قيل إن النبي بشرهم بالجنة وأحد أهل الشورى ـ له في البخاري تسعة أحاديث وفي مسلم حديث . توفي سنة ٣٦ هـ .

عبد الرحمن بن عوف :

أحد العشرة وأحد الستة أهل الشورى سمع منه عمر فقال له : أنت العدل الرضا ـ وصدقه ولم يصدق أبا موسى الأشعري في حديث الاستئذان(١) وقال له : ائت بمن يشهد معك ! له في البخاري تسعة أحاديث .

أبي بن كعب :

أبي بن كعب سيد القراء قال فيه النبي : (أقرأ أمتي أبيّ) ، ولما سأله النبي عن أي آية في القرآن أعظم قال : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ضرب النبي في صدره وقال : ليهنك العلم أبا المنذر .

ولما اختلف هو وعمر في قراءة آية من القرآن قال لعمر :

والله يا عمر إنك تعلم أني كنت أحضر ويغيبون ، وأدنى ويحجبون ويصنع بي ويصنع بي ، والله لئن أحببت لألزمن بيتي ولا أحدث شيئاً ولا أقرىء أحداً حتى أموت . فقال عمر : اللَّهُمَّ غفراناً ! إنا لنعلم أن الله قد

---

(١) استأذن أبو موسى على عمر ثلاث مرات ثم رجع فقال له عمر : لم رجعت فقال : إن النبي قال : إذا استأذن أحدكم ثلاثاً ولم يؤذن له فليرجع ، فلم يصدقه عمر وقال له : إن لم تأت بمن يشهد معك على هذا الحديث فسأوجع ظهرك . فأتى له بمن سمع من النبي هذا الحديث .

جعل عندك علماً ، فعلم الناس ما علمت . .

وكان أبيّ صاحب عبادة فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم .

وكان عمر يجله ويتأدب معه ويتحاكم إليه .

مات سنة ٢٢ بالمدينة وقيل سنة ٣٠ ، له في الكتب الستة نيف وستون حديثاً منها في البخاري ومسلم ٣ أحاديث وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بسبعة(١) .

زيد بن ثابت :

الأنصاري صحب النبي منذ صباه ، وكان من كتاب الوحي ، ولما جاءت الكتب إلى النبي بالسريانية أمره أن يتعلمها ، وكتب لأبي بكر وعمر ، وهو الذي تولّى كتابة المصحف في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان كما رووا ، وأحد من جمعوا القرآن على عهد النبي وكان من أصحاب الفتوى ، وبلغ من عظم القدر أن كان ابن عباس يمسك بركابه حين يركب ، له في كتب السنة ٩٢ حديثاً اتفق الشيخان على خمسة وانفرد البخاري بثمانية .

ما رواه سلمان الفارسي :

صحب النبي وخدمه وحدث عنه ، روى عنه ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم ـ وكان لبيباً حازماً من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم . وعن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ، في قوله تعالى : ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين** . . .﴾ (الآية ٦٢ من سورة البقرة) نزلت في أصحاب سلمان(٢) .

ولما خطّ النبي الخندق عام الأحزاب ، احتج المهاجرون والأنصار في

---

(١) عن سير أعلام النبلاء من صفحة ٢٨٠ ـ ٢٨٨ ج ١ .

(٢) راجع صفحة ١٠٣ ج ١ تفسير ابن كثير .

سلمـان الفارسي ـ وكـان رجلاً قـوياً وقـال المهاجـرون : سلمان منـا ، وقـال الأنصار : سلمان منا ، فقال النبي : سلمان منا أهل البيت .

ولما تلا النبي (ص) هذه الآية **﴿وإن تتولوا يستبدل قومـاً غيركم﴾** (٣٧ من سـورة محمد) قـالوا : يـا رسول الله من هؤلاء ؟ فضـرب النبي على فخذ سلمان الفارسي ثم قال : هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثـريا لنـاله رجـال من الفرس . وسئل عن سلمـان فقال : من لكم بمثـل لقمان الحكيم ، امـرؤ ذاك منا وإلينا أهل البيت أدرك العلم الأول والآخر بحر لا ينزف . له في مسند بقي ستـون حديثـاً وأخرج لـه البخاري أربعـة أحـاديث ومسلم خمسـة تـوفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ[١] وقيل سنة ٣٥ في خلافة عثمان .

وروى ابن سعد في الطبقـات أن النبيّ قال : إنـه منا وإلينـا أهل البيت أدرك العلم الأول والعلم الآخر بحر لا ينزف[٢] وقال : إنه يبعث أمة وحـده ، لقد أشبع من العلم[٣] .

قالت عائشـة : كان لسلمـان مجلس من رسول الله ينفـرد به في الليـل حتى كاد يغلبنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

أسلم بين أُحد والخندق وكانت أُحد سنة ٣ هـ . والخندق سنة ٥ هـ . وشهد الخندق ولم يتخلف عن غزاة من غزوات رسول الله .

وذكروا في تاريخه أنه تنقل في أديان مختلفـة فكان مجـوسيّاً ، ثم كـان نصرانيّاً ثم كان مملوكاً ليهودي من بني قريظة ثم أسلم .

طلحة بن عبيد الله :

كـان ممن سبق إلى الإسـلام وهـو أحـد العشـرة وأحـد الستـة أهـل الشـورى ، له في مسنـد بقي بن مخلد ٣٨ بالمكـرر ، وروى البخاري لـه ٤

(١و٢و٣) أنـظر تـرجمـة سلمـان الفـارسي في الاستيعـاب لحـافظ المغـرب ابن عبـد البـر ص ٥٧٢ ج ٢ وص ٣٦٢ ج ١ سيـر أعـلام النبـلاء للذهبي . وص ٢٧١ و٤٨٧ و٤٨٨ من أنساب الأشراف ج ١ .

أحاديث ، قتل سنة ٣٦ هـ .

معاذ بن جبل :

الأنصاري الخزرجي البدري شهد العقبة قال النبي (ص) خذوا القرآن من أربعة : ابن مسعود ، وأبيّ ، ومعاذ ، وسالم مولى حذيفة - وقال فيه النبي (ص) كذلك ، هو أعلم الناس بحرام الدين وحلاله ، وكان من الذين يفتون على عهد رسول الله ومن الذين يستشيرهم عمر ، ومن قوله : ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله - من ذكر الله ، وأخذ ذلك من قوله تعالىٰ : ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ (آية ٤٥ من سورة العنكبوت) . له في البخاري ستة أحاديث .

أصحاب كبار لم يرووا عن النبي شيئاً :

ثبت أن كثيراً من كبار الصحابة لم يرووا عن النبي شيئاً ، منهم سعيد بن زيد بن نفيل أحد العشرة[1] - وأبيّ بن عمارة المدني ، قال المزّي له حديث واحد في المسح على الخفين .

ملاحظة دقيقة لمن يفهم :

للعلامة الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين كلمة قيمة علق بها على (كمية حديث أبي هريرة) التي بلغت في كتب السنة ٥٣٧٤ كما بينا ، وقارن فيها بين هذه (الكمية الهائلة) وبين ما روي عن الخلفاء الأربعة وخرج من هذه المقارنة بأن نسبة ما رووه عنهم جميعاً صحيحاً وغير صحيح - وبين ما رواه هو وحده هي ٢٧٪ ؛ وإنا نقتطف من هذه الكلمة السطور الآتية لنضعها في مكانها من كتابنا هذا قال رحمه الله وأثابه :

فلينظر ناظر بعقله في أبي هريرة وتأخره في إسلامه ، وخموله في حسبه وأميته ، وما إلى ذلك مما يوجب إقلاله ، ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة

---

(١) ص ٤٩ تأويل مختلف الحديث .

وسبقهم واختصاصهم وحضورهم في تشريع الأحكام ، وحسن بلائهم في اثنتين وخمسين سنة ، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله وتسع وعشرون من بعده ، ساسوا فيها الأمة وسادوا الأمم ، وفتح الله لهم ملك كسرى وقيصر ، فمدنوا المدن ، ومصروا الأمصار ، ونشروا دعوة الإسلام ، وصدعوا بأحكامه ، وأذاعوا السنن ، ينحدر عنهم السيل ، ولا يرقى إليهم الطير ! فكيف يمكن والحال هذه أن يكون المأثور عن أبي هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً !

أفتونا يا أولي الألباب ؟؟[1] .

اتهام الصحابة لابي هريرة

كان من أثر إفراط أبي هريرة في التحديث عن رسول الله (ص) مما لم يقع مثله لأحد حتى لمن طالت صحبتهم ، وكانوا أدنى إلى النبي (ص) منه كالسابقين والمهاجرين والأنصار ، وبخاصة عليّ الذي تربى في حجر النبي وعاشره وناصره إلى أن توفي ، على حين أن أبا هريرة لم يصاحب النبي إلا عاماً وبعض عام ! كان من أثر ذلك أن اتهموه وأنكروا عليه وأخذوا ينتقدونه بل يكذبونه !

أكذبه عمر وعثمان وعليّ وعائشة وغيرهم :

مما لا خلاف فيه أن أبا هريرة قد ناله من طعن الصحابة ومَن بعدهم ما لم ينل مثله ولا بعضه صحابي آخر . وقد ثبت أن عمر وعليّاً وعثمان وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة قد كذبوه في وجهه ، وبلغ من أمر عمر معه أن نهاه عن الرواية ثم ضربه عليها ، وبعد ذلك أنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده ، وقد بينا ذلك كله في موضعه من هذا الكتاب .

وقد قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث)[2] : لما أتى أبو

---

(١) ص ٤٤ و٥٤ من كتاب (أبو هريرة) .

(٢) ص ٤٨ .

هـريرة عنـه (ص) ما لم يـأت بمثله من صحبه من جلة الصحـابـة والسـابقين الأولين إليه ، اتهموهوأنكرواعليه وقـالوا كيف سمعت هـذا وحدك ومن سمعـه معك ؟ وكانت عـائشة رضي الله عنهـا أشدهم إنكـاراً عليه لتـطاول الأيام بهـا وبه .

وقـالـوا[1] : ومن عجيب شأنهم (أي رجـال الحـديث) أنهم ينسبـون الشيخ إلى الكذب ولا يكتبون عنه ما يوافقـه عليه المحـدثون بقـدح يحيىٰ بن معين وعليّ بـن المديني وأشباههمـا ، ويحتجون بحـديث أبي هريـرة فيما لا يوافق على أحد من الصحابة وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة .

وقد كان أبو هريرة يسوغ كثرة رواياته بأنه كان يلزم النبي (ص) وحـده ! أمـا المهاجـرون فكان يشغلهم الصفق في الأسـواق ، وكان الأنصـار يشغلهم عمل أموالهم ! وقد فند هذا الزعم الباطل ودحضه العلاّمة عبد الحسين شرف الدين بأدلـة قاطعـة وترى كـلامه في ذلـك فيما زعم أبـو هريـرة في أمر (بسط الثوب) فيما سيقابلك من هذا الكتاب .

وقال ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث :

وروى حديثاً في المشي في الخف الواحد فبلغ عائشة فمشت في خف واحد وقالت : لأخالفنّ أبا هـريرة . وروى أن الكلب والمـرأة والحمار تقـطع الصـلاة فقالت عـائشة رضي الله عنهـا : ربما رأيت رسـول الله (ص) يصلي وسط السرير وأنا على السرير معترضـة بينه وبين القبلة . قـال : وبلغ عليّاً أن أبـا هريـرة يبتدىء بميـامنه في الـوضوء وفي اللبـاس فدعـا بماء فتـوضـأ فبدأ بمياسره وقال : لأخالفن أبا هريرة[2] .

كان أبو هريرة يقول : حدثني خليلي ! وقال خليلي !!

وكان من قول أبي هريرة : حدثني خليلي ! ورأيت خليلي ! فلما سمـع

---

(١) ابن قتيبة ص ١٠ و١١ من نفس المصدر .
(٢) أنظر كيف كانت عائشة وعلي يتحديانه ويعارضانه فيما يروي لكي يثبتا كذبه !

عليّ أبا هريرة يقول : قال خليلي وسمعت خليلي ، وقال له : متى كان خليلك يا أبا هريرة[١] ؟؟

وقد روى من أصبح جنباً فلا صيام له[٢] فأرسل مروان في ذلك إلى عائشة وحفصة يسألهما فقالتا : كان النبي (ص) يصبح جنباً من غير احتلام ثم يصوم ، فقال للرسول : إذهب إلى أبي هريرة حتى تعلمه ! فقال أبو هريرة : إنما حدثني بذلك الفضل بن العباس فاستشهد ميتاً وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله (ص) ولم يسمعه[٣] .

أبو هريرة أكذب الناس هكذا يقول عليّ رضي الله عنه :

وكان عليّ رضي الله عنه سيء الرأي فيه ، فقد روى عنه أنه قال : ألا إن أكذب الناس ـ أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله (ص) ـ لأبو هريرة الدوسي[٤] وقال مرة : لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله !

أبو هريرة يشهد بأن عائشة أعلم منه وأفقه :

كان من إنكار عائشة على أبي هريرة الذي ذكره ابن قتيبة آنفاً أنها قالت

---

(١) ص ٥١ من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، وبينما أبو هريرة يتبجح بهذا الادعاء ، ولا يستطيع أحد أن يرد عليه لأنه صحابي ! وكل ما أتى من الصحابة لا يصح لإنسان أن يشك فيه ، إذ بالبخاري يروي عن ابن عباس أن النبي قال : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر أخي وصاحبي . وعن ابن أيوب : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته ولكن أخوة الإسلام أفضل ، وروى مسلم عن جندب أنه سمع النبي (ص) يقول قبل أن يموت بخمس : إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ـ ص ١٤ ج ٧ فتح الباري .

وقال ابن حجر في الشرح : تواترت هذه الأحاديث على نفي الخلة من النبي (ص) لأحد من الناس ، فإذا كان شيخ الصحابة لم يبلغ أن يكون خليلاً للنبي (ص) فكيف بمثل أبي هريرة أن ينال هذه الدرجة الرفيعة ؟ اللّهُمَّ لا اعتراض !

(٢) سيأتي تفصيل الكلام في هذا الحديث .

(٣) ص ٢٨ من كتاب تأويل مختلف الحديث .

(٤) ص ٣٦٠ ج ١ شرح نهج البلاغة .

له يوماً : إنك لتحدث حديثاً ما سمعته من النبي (ص) ، أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار ! فقال لها - كما روى البخاري وابن سعد وابن كثير وغيرهم : شغلك عنه (ص) المرآة والمكحلة - وفي رواية : ما كانت تشغلني عنه المكحلة والخضاب ، ولكني أرى ذلك شغلك . ورواية الذهبي أن عائشة قالت له : أكثرت يا أبا هريرة على رسول الله ، فكان جوابه : ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المكحلة ، ولا المدهن[1] .

ولقد كان لأم المؤمنين أن ترد عليه قلة أدبه فتجبهه بقولها :

إنما أنت الذي شغلك بطنك ، وألهاك نهمك عن رسول الله ، حتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات تلتمس منهم أن يطعموك من جوعك ، فينفرون منك ويهربون ؛ ثم ينتهي بك الأمر إلى أن تصرع مغشيّاً عليك من الجوع أمام حجرتي ، فيحسب الناس أنك مجنون فيطأون عنقك بأرجلهم[2] .

وما كان أبو هريرة ليستطيع أن يفتح فاه بكلمة من هذه العبارات النابية التي يخاطب بها عائشة أم المؤمنين ، لولا أنه كان حينئذٍ تحت ظل الحماية الأموية والدولة كلها تؤيده .

على أنه قد ندم بعد ذلك على ما فرط منه في حق السيدة عائشة فانقلب يعمل على إرضائها ، والتقرب إليها ، لأنه لا يقوى على إغضابها وبخاصة في عهد بني أمية أو يستهدف بذلك لغضب الدولة كلها .

ذلك أنه ما كاد يسمع نبأ حديث نزول جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له : هذه امرأتك . وفي رواية للترمذي «في خرقة من حرير خضراء»[3] حتى أسرع أبو هريرة فتبرع بحديث من كيسه يقول فيه :

(١) ص ٤٣٥ ج ٢ سير الأعلام للذهبي .
(٢) راجع أخبار ذلك في محله من هذا الكتاب .
(٣) ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه من رواية أبي هريرة ونقله عنه الزركشي في كتابه (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة) .

«إن طول تلك الخرقة ذراعان وعرضها شبر» .

ولا ندري كيف عرف ذلك لكي يرويه وخبر هذه السرقة قد مضى عليه قبل إسلامه حوالي عشر سنين !

ولعله قد جعل هذا الحديث نقطاً[1] من عنده للسيدة عائشة ولو جاء هذا النقط بعد سنين طويلة !!

قصة حديث من أصبح جنباً :

على أنه لم يلبث أن عاد فاضطر إلى أن يشهد بأنها أعلم منه وأفقه ، وأحفظ ، وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها عن النبي (ص) وإنما هو الذي شغله بطنه .

ذلك أنه لما روى حديث «من أصبح جنباً فلا صوم له» أنكرت عليه عائشة هذا الحديث وقالت : «إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام ، فيغتسل ويصوم» وبعثت إليه أن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، فلم يسعه إزاء ذلك الإنذار الصارخ إلا الإذعان والاستخذاء ، وقال : إنها أعلم مني وأنا لم أسمعه من النبي ، وإنما سمعته من الفضل بن العباس ، وكان الفضل قد مات حينئذٍ . وقد قال ابن قتيبة في ذلك «إنه استشهد ميتاً ، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله ولم يسمعه[2] ، والفضل بن العباس استشهد في طاعون عمواس سنة ١٨ في عهد عمر .

وقول أبي هريرة : إنه سمعه من الفضل بن العباس اعتراف صريح منه بأنه كان يسند إلى النبي من القول ما لم يسمعه منه - وهذا هو الإرسال والتدليس بعينه - كما تبيَّن لك ذلك من قبل . هذا إذا كان صادقاً في أنه سمعه من الفضل بن العباس !!

---

(١) نقط العروس قدم لها مالاً أو هدية عند زفافها وهو لفظ مولد - وأبو هريرة لم تكن هداياه مالاً وإنما كانت أحاديث يرويها ويعزوها إلى النبي (ص) وهو سخي في ذلك .
(٢) ص ٢٨ من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

ولهذا الحديث قصة طريفة لا بأس من إيرادها هنا :

في كتاب اختلاف الحديث للشافعي ، أن أبا بكر بن عبد الرحمٰن[1] قال : كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم ـ وهو أمير المدينة من قبل معاوية ، فذكر له أن أبا هريرة يقول : «من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم» . فقال مروان : أقسمت عليك يا أبا عبد الرحمٰن لتذهبن إلى أمَّي المؤمنين عائشة وأم سلمة فتسألهما عن ذلك . أما عائشة فقد قالت : ليس كما قال أبو هريرة ، يا عبدالرحمن ، أترغب عما كان رسول الله يفعله ؟

فقال عبدالرحمٰن : لا والله ، قالت عائشة : فأشهد على رسول الله أنه كان ليصبح جنباً من جماع غير احتلام ، ثم يصوم ذلك اليوم ، ثم دخلا على أم سلمة (رضي الله عنها) فسألاها عن ذلك فقالت مثل ما قالت عائشة ، ثم جئنا مروان ، فقال له عبدالرحمٰن : ما قالتا ، فقال مروان : أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن دابتي فلتأتين أبا هريرة فتخبره بذلك ، قال : فركب عبدالرحمٰن وركبت معه حتى أتينا (أبا هريرة) فتحدث معه عبدالرحمٰن ساعة . ثم ذكر له ذلك فقال أبو هريرة : لا علم لي بذلك وإنما أخبرنيه مخبر[2] .

وروى البخاري في باب «الصائم يصبح جنباً»[3] عن أبي بكر قال : كنت أنا وأبي حين دخلنا على عائشة وأم سلمة وإن أباه عبدالرحمٰن أخبر مروان : أن عائشة وأم سلمة أخبرتاه أن رسول الله (ص) كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم . وقال مروان لعبدالرحمٰن بن الحارث أقسم بالله لتفزعن بها أبا هريرة[4] ، ومروان يومئذٍ على المدينة ـ فقال أبو

---

(١) هو أبو بكر بن عبدالرحمٰن أحد الفقهاء السبعة وأبوه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ـ وهذا الحديث في موطأ مالك . وفي البخاري ومسلم .

(٢) ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ من هامش الجزء السابع من كتاب الأم للشافعي رواية الربيع .

(٣) إرجع إلى الجزء الرابع من فتح الباري ص ١١٥ وما بعدها تجد القصة هناك كاملة مفصلة .

(٤) في رواية لتقرعن .

بكر : فكره ذلك عبدالرحمٰن ثم قدر لنا أن نجتمع (بذي الحليفة)[1] وكانت لأبي هريرة هنالك أرض ، فقال عبدالرحمٰن لأبي هريرة : إني ذاكر لك أمراً ، ولولا مروان أقسم عليّ فيه لم أذكره لك ، فذكر قول عائشة وأم سلمة ! فقال كذلك حدثني الفضل بن العباس وهو أعلم .

وفي رواية النسائي : أن مروان قال لعبدالرحمٰن : إلق أبا هريرة فحدثه بهذا فقال : إنه لجاري ، وإني لأكره أن أستقبله بما يكره ، فقال : أعزم عليك لتلقينه[2] .

وفي رواية معمر عن ابن شهاب : أن أبا هريرة ، لما ذكر له عبدالرحمٰن قول عائشة «تلوّن وجهه» ، ولأحمد (بن حنبل) من طريق عبدالله بن عمرو القاري سمعت أبا هريرة يقول : ورب هذا البيت ، ما أنا قلت : من أدرك الصبح وهو جنب فلا يصم ، محمد ورب الكعبة قاله[3] .

ورواية مالك في الموطأ : فقال مروان لعبدالرحمٰن : أقسمت عليك لتركبن دابتي فإنها بالباب فلتذهبن فإنه (بأرض العقيق) فلتخبرنه .

وقال ابن حجر في شرح هذا الخبر : ولا تخالف بين رواية البخاري «بذي الحليفة» وبين مالك «بأرضه بالعقيق» لاحتمال أن يكونا قصداه إلى العقيق ، فلم يجداه ، ثم وجداه «بذي الحليفة» وكان له أيضاً بها أرض[4] .

---

(١) يبدو أن مروان كان يشك كغيره في روايات أبي هريرة رغم أن أبا هريرة كان من صنائع بني أمية ومؤيديهم . ولو أنه كان يثق به لما أخذ يبحث عن حقيقة ما رواه .

(٢) قال النووي في شرح مسلم كان أبو هريرة ينزل بالمدينة بذي الحليفة وله بها دار .

(٣) جاء هذا الحديث في مسند أحمد في الجزء الثاني ونصه فيه ـ لا ورب هذا البيت ، ما أنا قلت : من أصبح جنباً فلا يصوم ! محمد ورب الكعبة قاله . وقد نقل هذا الخبر ابن حجر في الصفحة ١١٨ من الجزء الرابع من فتح الباري .

(٤) ص ١١٧ ج ٤ من فتح الباري ومعنى ذلك أن أبا هريرة كان له بذي الحليفة أرض وبالعقيق أرض أخرى وقصر ، فمن أين له هذا الملك العريض وقد كان على ما نعلم ! لا ريب في أن لرواية الحديث سراً عظيماً يمكن أصحاب الرواية في كل عصر ـ حتى في عصرنا هذا ـ من أن يعتقدوا به الأموال ويقيموا القصور .

وفي رواية أنه قال : أخبرني بذلك أسامة بن زيد أخرجه النسائي .

وعن أبي حسان الأعرج ـ تلميذ أبي هريرة ـ أن رجلين دخلا على عائشة فقالا :

إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله أنه قال «إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة» فطارت شفقاً ثم قالت : كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم[1] من حدث بهذا عن رسول الله ! إنما قال رسول الله : كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار ، ثم قرأت : ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم**﴾ الآية[2] .

وعن طاوس قال : كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال : إن أبا هريرة يقول : «إن الوتر ليس بحتم ، فخذوا منه ودعوا» فقال ابن عمر : كذب أبو هريرة[3] . وبينما يروي هذا الحديث إذ به يرجع فيناقض نفسه ويروي هذا الحديث : إن رسول الله قال : من لم يوتر فلا صلاة له ؛ فبلغ ذلك عائشة فقالت : من سمع هذا من أبي القاسم ؟ ما بعد العهد وما فنينا !! إنما قال أبو القاسم : من جاء بصلوات الخمس يوم القيامة حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينتقص منه شيء ، كان له عند الله عهد ألا يعذبه ، ومن جاء وقد أنقص منهن شيئاً فليس له عهد عند الله إن شاء رحمه وإن شاء عذبه . رواه الطبراني في الأوسط عن أبي سلمة .

وأنكر عليه ابن مسعود قوله : من غسل ميتاً ومن حمله فليتوضأ ، وقال فيه قولاً شديداً ثم قال : أيها الناس لا تنجسوا موتاكم[4] .

ولما سمع الزبير (ابن العوام) أحاديثه ، قال : صدق ![5] .

---

(١) أبو القاسم ـ هو رسول الله (ص) .

(٢) ص ١٢٦ و١٢٧ من مختلف تأويل الحديث ورواه البخاري ص ٦١ ج ٧ فتح الباري .

(٣) ص ١٥٤ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر .

(٤) ص ٨٥ ج ٢ من نفس المصدر .

(٥) ص ١٠٩ ج ٨ البداية والنهاية لابن كثير .

ولما روى حديث إذا صلّىٰ أحدكم ركعتي الفجر ، فليضطجع على يمينه !

قال له مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع ؟؟ فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكثر أبو هريرة ! وكان له أن يقول : كذب أبو هريرة !

وروت عائشة حديثه : لا يدخل الجنة ولد الزنا ، فقالت : ليس عليه من وزر أبويه شيء ، وقرأت ولا تزر وازرة وزر أُخرى .

وأنكر عليه ابن عباس ما رواه عن النبي من أن من حمل جنازة فليتوضأ وقال : لا يلزمنا الوضوء من حمل عيدان يابسة[١] .

وعن الشعبي : حدث أبو هريرة فردّ عليه سعد (بن أبي وقاص) حديثه فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب[٢] .

حديث الشعر :

ولما روى أن رسول الله قال : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلىء شعراً[٣]» ، قالت عائشة : لم يحفظ إنما قال رسول الله : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيئاً ودماً خير من أن يمتلىء شعراً هجيت به»[٤] .

وقد اتخذ الذين لا يعلمون قول أبي هريرة هذا حجة على أن النبيّ كان يكره الشعر ، وفشا ذلك بين المسلمين ، على حين أنا نجده (ص) كان يصغي إلى الشعر ، ويمدحه ، ويثني عليه ، فقد روى أبيّ بن كعب أن رسول

---

(١) ص ٢٩٥ فجر الإسلام .
(٢) ص ٤٣٥ ج ٢ سير أعلام النبلاء .
(٣) رواه البخاري .
(٤) يؤيد ذلك ما ذكره السهيلي في غزوة ودان عن جامع ابن وهب أنه روى فيه أن عائشة تأولت هذا الحديث على ما هجا به النبي (ص) وأنكرت على من حمله على العموم في جميع الشعر ص ٤٥٣ ج ١٠ من فتح الباري .

الله قال : «إن من الشعر حكمة» ، وفي رواية لأبي داود : «إن من البيان سحراً وإن من العلم جهلاً وإن من الشعر حكمة» . وفي رواية : «إن من الشعر حكماً» . واستشهد (ص) من شعر أمية بن أبي الصلت ، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت رسول الله يوماً فقال : هل معك من شعر أُمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال هيه ، حتى أنشدته مئة بيت . رواه مسلم ، ولما سمع بيت طرفة المشهور :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

قال : إن معناه من كلام النبوّة .

وروى البخاري أن النبي (ص) قال : أصدق كلمة قالها الشاعر حكمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقد أجاز لحسان أن يهجو المشركين وقال له : إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله . رواه مسلم . ورواية البخاري : أهجهم أو هاجهم وجبريل معك ، وفي القرآن عشرات من الأبيات الشعرية وكثير جدّاً من الأشطار :

فمن الرمل : وجفان كالجواب وقدور راسيات
ومن الخفيف : من تزكي فإنما يتزكى لنفسه

ومن الوافر :

ويُخْزِهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قوم مؤمنينا

ولا نستوفي كل ما جاء في القرآن من أبيات وأشطار حتى لا يطول بنا الطريق ، ونستطرد إلى كل ما هو خارج عن موضوعنا ، ومن شاء أن يستزيد من معرفة ذلك فليرجع إلى مظانه[1] ولنعد إلى ما نحن بصدده .

---

(١) راجع فتح الباري من صفحة ٤٤٢ ـ ٤٤٧ ج ١٠ .

حديث لا عدوى ولا طيرة ولا هامة :

روى الشيخان عن «أبي هريـرة» أن النبي قال : لا عـدوى ولا طيرة ولا هامة .

وقـد روي هذا الحـديث بألفـاظ مختلفـة ـ ولكن الصحـابـة عملوا بمـا يخالفه .

فقد روى البخاري عن أسامة بن زيد أن رسول الله قال :

إذا سمعتم بـالطاعـون بأرض فـلا تدخلوهـا ، وإذا وقـع وأنتم بهـا فـلا تخرجوا منها .

وقد جاء هذا الحديث كـذلك عن عبـدالرحمٰن بن عـوف ، ولما سمـع عمر هذين الحديثين ، وحديث «لا يوردن ممرض على مصح» ـ وهو مما رواه أبو هريرة[1] كذلـك ـ وكان قـد خرج إلى الشـام[2] ووجد الـوباء ، عـاد بمن معه .

وقد اضطر أبو هريرة أمام هذه الأخبار القوية إلى أن يرجع عما حدث ، وأنكر روايته الأولى (لا عدوى) .

ولما أنكر عليه الحارث بن أبي ذباب (ابن عم أبي هريـرة) وقال لـه : كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث (لا يورد . .) حـديث (لا عدوى) فأنكر معرفته لذلك ، ووقع عند الإسماعيلي من رواية شعيب ، فقال الحارث (ابن عم أبي هريرة) إنك حدثتنا ! فأنكر أبو هريرة وقال لم أحدثك ما تقول . ورواية مسلم : ألم تحدث أنه لا عدوى ؟ صمت ورطن بالحبشية[3] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ورواية مسلم : لا يورد .

(٢) في ذهابه إلى الشام سنة ١٨ هـ . ولما وصل إلى سرع أُخبر بأن الوباء قد وقع بالشـام فرجع بالناس .

(٣) ص ١٩٨ و١٩٩ ج ١٠ فتح الباري وص ١٠٤ من جامع ابن وهب الذي نشره المعهـد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩١٩ م .

كان أبو هريرة عندما يريد شيئاً يضع له حديثاً :

روى ابن عمر أن رسول الله أمر بقتل الكلاب إلا كلب ماشية أو كلب صيد فقيل لابن عمر : إن أبا هريرة يقول : أو كلب زرع ! أي أنه زاد من عنده ـ أو كلب زرع ، فقال ابن عمر : إن لأبي هريرة زرعاً[1] ! أي أن أبا هريرة قد جاء بهذه الزيادة لأن له زرعاً !

وهذا يدل أوضح الدلالة على أن أبا هريرة كان عندما يريد شيئاً يضع له حديثاً من (كيسه) ثم يرفعه إلى النبي (ص) . .

ولا نستوعب هنا كل ما جاء عن الصحابة في تكذيب أبي هريرة فإنه كثير ويراجع في ذلك كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وغيره .

انتقاد ما بعد الصحابة على أبي هريرة وموقف التابعين منه :

وإذا كنا لا نستطيع أن نستوفي كل ما صدر من مآخذ الصحابة على أبي هريرة وشكهم في رواياته ، بل تكذيبها ، لأن كتابنا يضيق بذلك ، فإن سياق البحث يدعونا إلى أن نعرف موقف التابعين من رواياته .

إن موقف التابعين من أبي هريرة إنما يتمثل في إمام العراق إبراهيم النخعي وأصحابه وهم ، كما عرف من تاريخهم ولخصناه لك في كلمات وجيزة ، أئمة أجلاء تلقوا القرآن ، وحفظوا الحديث عن أصحاب رسول الله ، وأدوا هذه الأمانة الثقيلة إلى مَن بعدهم على خير ما يؤديها الأمناء الصادقون ، فهم بذلك إذا تكلموا في أبي هريرة أو في غيره فإنما يتكلمون عن علم وخبرة ، ويكون كلامهم حجة لا يمكن لأحد أن يدفعها أو يشك فيها .

وشهادة النخعي خاصة في أبي هريرة تعد شهادة قاطعة لا ريب فيها ،

---

(١) نص رواية أبي هريرة : من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد انتقص من أجره قيراط كل يوم . وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه .

ووَصْفه لرواياته يكون أدق وصف ، ذلك بأنه ولد في سنة ٥٠ هـ . ، وذكروا في تاريخه أنه دخل في صباه على عائشة أم المؤمنين ورآها ، وقد ماتت عائشة قبل أبي هريرة بعام ، فبديهي أن يكون قد رأى أبا هريرة كذلك ، ومهما يكن من شيء فإنه يعتبر ممن عاشوا في عصر أبي هريرة ، ومن يكن شأنه كذلك فإنه يتاح له أن يعرف من أمر أبي هريرة ومروياته ما لم يعلم عنه غيره ممن لم يعاصره ، فإذا هو حكم عليه حكماً فإنما يكون حكماً عدلاً ، وإذا قال في رواياته قولاً فإنما يكون قولاً فصلاً .

ولو أن أبا هريرة كان ثقةً فيما يروي لكان النخعي عالم العراق الذي وصفوه (بأنه كان صيرفيّاً في الحديث) أول من يوثقه ويروي عنه ! ولكنه قال فيه كلماته المشهورة الصريحة التي عبر فيها عن نفسه وعن كبار الأئمة من أصحابه ، وإليك ما قاله مرويّاً عن هؤلاء الأصحاب .

عن مغيرة[1] عن إبراهيم[2] : كان أصحابنا يدَعون من حديث أبي

---

(١) مغيرة بن مقسم :
الفقيه الحافظ ولد أعمى وكان عجيباً في الذكاء حدث عن أبي وائل والشعبي وإبراهيم النخعي وكان راويته ومجاهد وعدة وأخذ عنه شعبة والثوري وغيرهم ، قال عنه شعبة : كان أحفظ من حماد ، وكان عثمانياً ، توفي سنة ١٣٦ هـ .

(٢) إبراهيم النخعي الكوفي الفقيه روى عن خاله علقمة(*) ومسروق(*)(*) والأسود(*)(*)(*) وطائفة ، رأى عائشة ودخل عليها وهو صبي أخذ عنه حماد بن سليمان الفقيه وسماك بن حرب وابن عون والأعمش ومنصور وخلق ، وكان من العلماء ذوي الإخلاص ، قال مغيرة : كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير ، وقال : كان إبراهيم صيرفياً في الحديث ، وكان يتوقى الشهرة ولا يجلس إلى الأسطوانة وكان سعيد بن جبير يقول : تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي ، وحمل عنه العلم وهو ابن ثمان عشرة سنة مات سنة ٩٦ هـ . كهلاً قبل الشيخوخة وولد سنة ٥٠ هـ .

(راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٦٩ ج ١ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٤ ووفيات الأعيان ص ٣ ج ١) وقال أبو حنيفة : إبراهيم أفقه من سالم . وهو مولى أبي حذيفة آخى النبي بينه وبين أبي بكر وهو بدري ، وسالم هذا هو الذي قال عمر عندما أراد أن يستخلف : لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً ، لاستخلفته .

هريرة . وعن الأعمش[1] عن إبراهيم قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة .

وروى الثوري[2] عن منصور[3] عن إبراهيم قال : كانوا يرون في حديث أبي هريرة شيئاً ! ، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار ! أو حث على عمل صالح أو نهي عن شرّ جاء القرآن به .

وروى أبو أسامة عن الأعمش قال : كان إبراهيم صحيح الحديث ، فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه ، فأتيته يوماً بأحاديث من أحاديث أبي صالح عن أبي هريرة **فقال : دعني من أبي هريرة !** إنهم كانوا يتركون كثيراً من أحاديثه ، وهذه العبارة القاطعة وحدها كافية في عدم الثقة بأبي هريرة ورواياته . (راجع في هذه الأخبار سير أعلام النبلاء ص ٣٤٨ ج ٢ والبداية والنهاية لابن كثير ص ١٠٩ ج٨ وشرح نهج البلاغة ص٣٦٠ ج - ١) .

---

(١) الأعمش :
شيخ الإسلام ، رأى أنس بن مالك وغيره قال ابن عيينة : كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض ، وكان يسمى المصحف في صدقه . وقال فيه يحيى القطان : علامة الإسلام ، لم تفته التكبيرة الأولى مات سنة ١٢٨ هـ ـ ولد سنة ٨٧ هـ .

(٢) الثوري :
شيخ الإسلام ، سيد الحفاظ أبو عبدالله الثوري الكوفي الفقيه قال القطان فيه : ما رأيت أحفظ منه ، إنه فوق مالك في كل شيء ، ومن قوله : لو أردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ما حدثناكم بحديث واحد ، مات بالبصرة سنة ١٦١ هـ .

(٣) منصور بن المعتمر :
الإمام الحافظ الحجة أحد الأعلام قال ابن مهدي : لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور حدث عن أبي وائل وربعي بن خراش وإبراهيم وسعيد بن جبير والشعبي وطبقتهم ، وروى عنه الأعمش والثوري وشعبة وغيرهم مات سنة ١٣٢ هـ .

(*) علقمة :
علقمة بن قيس بن عبدالله فقيه العراق ولد في حياة النبي (ص) وسمع من عمر =

وأبو حنيفة وأصحابه :

ثم يـأتي بعد النخعي وأصحـابه شيـخ أئمة الفقـه أبو حنيفـة وأصحابـه الفقهاء الأعلام لا ليؤيدوا آراء من سبقهم في أبي هريرة فحسب ، بل ليزيدوا عليها ، فإذا كان النخعي وأصحابه يجدون في أحاديث أبي هريـرة شيئاً وأنهم كانوا يدعون منها ، ولا يأخذون إلّا ما كان من حديث جنة أو نار ـ كما علمت ذلك من أقوالهم التي قرأتها آنفاً ، فإن أبا حنيفة وأصحابه والآخذين بمذهبه ـ وهم شطر كبير من الأمة الإسلامية ـ لا يثقون جميعاً بأبي هـريرة ولا يـأخذون برواياته كلها وهاك طرفاً مما جاء عنهم في ذلك :

روى محمد بن الحسن (صاحب أبي حنيفة) عن أبي حنيفة أنه قال :

أقلد من كان من القضاة المفتين من الصحابة كـأبي بكر وعمـر وعثمان وعلي والعبـادلة الثـلاثة ولا أستجيـز خـلافهم بـرأيي ، إلا ثـلاثـة نفـر . وفي رواية : أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيي إلا ثلاثـة نفر (أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة) فقيل له في ذلـك فقال : أمـا أنس فاختلط في آخـر عمره ، وكان يستفتى فيفتي من عقله ، وأنـا لا أقلد عقله ، وأما أبـو هريـرة ،

= وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي الدرداء ، وكان من أنبل أصحابـه ، وكان فقيهاً إماماً ثبتاً ، وكان ناس من الصحابة يستفتونه ، روى عنه إبراهيم النخعي والشعبي مات سنـة ٦٠ هـ . وقال أبو حنيفـة : لولا فضـل الصحبة لقلت علقمـة أفقه من ابن عمـر ! وقد أدرك أبـو حنيفة قـديمـاً الشعبي والنخعي وغيـرهمـا من الأكـابـر (ص ١٣٢ من كتـاب الإنتقاد) .

(**) مسروق :

مسروق الأجدع الإمام الكوفي الفقيـه أحد الأعـلام أخذ عن عمـر وعليّ ومعاذ وابن مسعود وأبي وكان أعلم بالفتوى من شريح ، أخذ عنه إبـراهيم والشعبي وخلق ، توفي سنة ٦٣ هـ .

(***) الأسود :

هو أبو عبدالرحمٰن بن يزيد النخعي قال عنه أبـو نفيح في حليـة الأولياء (ص ١٠٢ ـ ١٠٥ ج ٢) : هو القارىء القـوام الساري الصـوام ، الفقيه الأثيـر ـ كان أحـد الثمانيـة الذين انتهى إليهم الزهد ، مات سنة ٧٤ أو ٧٥ .

فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى[1] ، ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ[2] .

وروى أبو يوسف قال : قلت لأبي حنيفة : الخبر يجيئني عن رسول الله يخالف قياسنا ! ما نصنع به ؟ فقال : إذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به ،

---

(١) يشير إلى أبي حنيفة في قوله عن أبي هريرة ـ إنه كان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل المعنى إلى حديث رواه مسلم عن حفص بن عاصم «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» وقال عمر : حسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع . رواه مسلم .

وقال خالد بن عبدالله : سمعت ابن شبرمة يقول : أقلل الرواية تفقه (١٢٤ ج ٣ جامع بيان العلم وفضله) ـ وقال عبدالرحمٰن بن مهدي : لا يكون إماماً في الحديث من تتبع شواذ الحديث ، أو حدث بكل ما سمع ، أو حدث عن كل أحد (وابن مهدي من كبار أئمة الجرح والتعديل) (ص ٤٧ من نفس المصدر) .

وقال ابن أبي ليلى : لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع (ص١٣٢ من نفس المصدر) ومن أمثال أكثم بن صيفي «المكثار كحاطب ليل ، ومن أكثر أسقط» (ص ١٣ من كتاب المعمرين للسجستاني) .

(٢) من البحث الثالث في بيان حال الراوي من كتاب مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول ، تأليف محمد بن فراموز المعروف بملا خسرو الحنفي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ . وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١١٥ وهو إن عرف بالرواية وشهر بها ، فإن كان ذلك المعروف بها فقيهاً كالخلفاء الراشدين والعبادلة وزيد ومعاذ وعائشة رضوان الله عليهم أجمعين تقبل الرواية منه مطلقاً ، أي سواء وافق القياس أو خالفه . . وإن لم يكن فقيهاً كأبي هريرة وأنس رضي الله عنهما فترد روايته إن لم يوافق الحديث الذي رواه قياساً أصلاً حتى إن وافق قياساً مثل حديث المصراة وهو مما روى أبو هريرة ، وقال المؤلف إن هذا الحديث مخالف للقياس الصحيح وسترى الكلام عنه في الصفحة التالية .

وقال عبد الوهاب الشعراني وهو من أئمة الشافعية الكبار في كتابه الميزان :

وكان أبو مطيع البلخي يقول : قلت للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه : لو أريت رأياً ورأى أبو بكر رأياً أكنت تدع رأيك لرأيه ؟ قال : نعم . فقلت له أرأيت لو رأيت رأياً ورأى عمر رأياً أكنت تدع رأيك لرأيه ؟ فقال : نعم ، وكذلك كنت أدع رأيي لرأي عثمان وعلي وسائر الصحابة ما عدا أبا هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب ـ ص ٥٨ ج ١ الطبعة الثانية المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣١٧ هـ .

وتركنا الرأي . فقلت : ما تقول في رواية أبي بكر وعمر ؟ قال : ناهيك بهما ، فقلت : وعلي وعثمان ؟ . قال : كذلك ، فلما رآني أعد الصحابة ، قال : والصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً ، وعد منهم أبا هريرة وأنس بن مالك[1] .

وقال ابن الأثير : أما رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها[2] . وفي الأحكام للآمدي[3] :

إن الصحابة أنكرت على أبي هريرة كثرة روايته حتى قالت عائشة رضي الله عنها : رحم الله أبا هريرة لقد كان رجلاً مهذاراً في حديث المهراس .

وجرت مسألة المصراة[4] في مجلس الرشيد فتنازع القوم فيها وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو هريرة فردّ بعضهم الحديث وقال : أبو هريرة متهم فيما يرويه ـ ونحا نحوه الرشيد .

وسبّه عمرو بن عبيد وطعن في روايته[5] .

---

(١) هذا هو رأي أبي حنيفة في أبي هريرة وهو من نعلم شيخ فقهاء أهل السنة ، وأول الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة لدى الجمهور ـ والذي أدرك عصر الصحابة ، وهو من أصل فارسي أخذ الفقه عن جعفر الصادق وعن إبراهيم النخعي من أكبر فقهاء عصره وسمع الحديث من الشعبي والأعمش وقتادة وله تاريخ طويل رضي الله عنه ، ولد سنة ٨٠ هـ . في ولاية عبد الملك بن مروان وتوفى سنة ١٥٠ وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي .

أما الشيعة وبخاصة الإمامية منهم فإنهم لا يثقون بأبي هريرة ولا برواياته مهما كانت .

(٢) ص ٨٠ و٨١ من كتاب المثل السائر .

(٣) ص ١٠٦ ج ٢ .

(٤) والمصراة : هي الناقة أو البقرة يجمع اللبن في ضرعها ويحبس أياماً بغير حلب لإيهام المشتري أنها غزيرة اللبن ، وسبب رد الحنفية لحديث «المصراة» أنه مخالف للأقيسة بأسرها فإن حلب اللبن تعد ، وضمان التعدي يكون بالمثل ـ أو بالقيمة ، والصاع من التمر ليس بواحد منها .

(٥) ص ٣٦١ فجر الإسلام ، وعمرو بن عبيد هذا كان تلميذاً للحسن واشتهر بالزهد =

ومن الذين انتقدوا أحاديث أبي هريرة في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا والدكتور طه حسين[1] والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد توفيق صدقي وغيرهم .

حتى المعتزلة :

وكذلك المعتزلة فإنهم لا يثقون به ، ولا يأخذون بأحاديثه ، قال أبو جعفر الإسكافي : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا (أي شيوخ المعتزلة) غير مرضي الرواية ، ضربه عمر وقال : قد أكثرت من الرواية ، وأحْرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله إلخ[2] والمعتزلة فرقة كبيرة من فرق المسلمين لا يستهان بها .

التحفظ من حديثه :

وقد مرّ بك في الكلام عن أخذ أبي هريرة عن كعب الأحبار وسيأتيك فيما بعد ما رواه مسلم وأحمد بن حنبل من طلب التحفظ من حديثه ـ وإليك ما ذكره في ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية[3] .

قال مسلم بن الحجاج عن بُسر بن سعيد قال : اتقوا الله وتحفظوا في الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ويحدثنا

= والورع وفيه يقول المنصور : كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد . ولما مات ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد قال أبو جعفر المنصور ما بقي أحد يستحى منه ـ ص ٩٤ من البيان والتبيين . ومن العجيب أنهم تجافوا الرواية عنه . توفى سنة ١٤٥ هـ . في رجوعه من الحج .

(١) علق الدكتور طه حسين في كتابه (مرآة الإسلام) على حديث أبي هريرة الذي رواه الشيخان عن الإسلام والإيمان وذكر من أشراط الساعة أنها إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل في البنيان ! فقال :

أما أشراط الساعة التي جاءت في الحديث ، وأن الرجل الذي جاء يسأل النبي كان جبريل أقبل يعلم الناس دينهم ، فإنا نتركه لأبي هريرة ولمن روى عنه يحملون تبعته (ص ٢١١ ، ٢١٢) .

(٢) ص ٣٦٠ ج ١ من شرح نهج البلاغة .

(٣) ص ١٠٩ ج ٨ .

عن كعب الأحبار ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله . وفي رواية : يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث .

وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس أي ما سمعه عن كعب وما سمعه من رسول الله ولا يميز هذا من هذا . ذكره ابن عساكر ، وكأن سعد يشير إلى حديث : من أصبح جُنباً فلا صيام له ، فإنه لما حوقق عليه ، قال أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله اهـ . وغير ذلك .

وماذا بعد ذلك ؟

ليس هذا الذي أوردناه آنفاً عن كبار الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم هو كل ما قيل في أبي هريرة ورواياته ، ولو شئنا لأتينا بطوائف أخرى كثيرة من أقوال الذين تحررت عقولهم من رق التقليد على مدّ العصور ، ولكنا نكتفي بما أوردناه وهو كفاية وفوق الكفاية . ولو نحن استقرينا كل ما وجه إلى أبي هريرة من طعن وأحصيناه لاقتضى منا أن نفرد له كتاباً برأسه .

على أن هذا الذي أوردناه عن الصحابة والتابعين وسواهم لم يكن ليصدّ غيرهم عن أن يصدقوه ويستمعوا إليه ، وبخاصة بعد أن خلا له الجو بموت كبار الصحابة ومن كان يخشاهم في حياتهم وتفرّق أكثرهم في الأمصار التي افتتحت ، ثم أعانه على ذلك انضواؤه تحت لواء بني أمية وأنه قد أصبح من أنصارهم ودعاتهم ، وناهيك بالسياسة إذا هي ظاهرت أحداً فإنه ينقلب ذا قوة ونفوذ بعد أن لم يكن له قيمة وقدر .

ولقد كان لأمر أبي هريرة أن ينتهي وتتجلّى حقيقته بعد غروب شمس دولة بني أمية ونسخ ظلها عنه فيبدو للناس على حقيقته ويتخلصوا من رواياته ، ولكن أُتيح لهذه الروايات أن تبقى على مرّ القرون ـ وذلك بظهور بدعة (عدالة الصحابة المطلقة) فعصمته وغيره من الصحابة من أن يتجه إليهم تجريح مهما ارتكبوا من ذنب ، أو اقترفوا من إثم ، أو يصوب إلى رواياتهم

نقد مهما كان فيها مما يستوجب الطعن ، وقد أصبحت هذه (البدعة) سُنة متبعة ، بل قاعدة من قواعد علم الأصول ، من خرج عليها ، ولم يأخذ بها رُمي بالمروق والزندقة .

ولقد كان لهذه (البدعة) أثرها وخطرها على عقائد الدين وأحكامه وآدابه ومبادئه وأوصدت الأبواب أمام الباحثين في تاريخ الصحابة ونقد مروياتهم ومنعتهم من أن يتولوهم بالدراسة التحليلية المتبعة في ترجمة الرجال والبحث عن حقيقة آثارهم لأن بساطهم قد طوي بزعمهم كأنهم ليسوا أُناس بل هم طبقة فوق ذلك خلقهم الله منزهين عن الخطأ والنسيان والوهم - ولولا هذه البدعة التي تحرّم بها أبو هريرة لكان أكبر من توجه إليه سهام النقد والتجريح ، إن في شخصه وإن في رواياته ! ولأنه أصبح آمناً من كل نقد أرخى لنفسه العنان في أن يتحدث بما يشاء بغير أن يخشى أحداً ، وأمعن في الرواية حتى طمى سيلها ، وعلا مدها ، وزخرت كتب الحديث بالألوف المؤلفة منها ، برغم ما بيناه في محله من كتابنا هذا من أنه لم يصاحب النبي إلا عاماً وبعض عام - ومما يدعو إلى الأسى أن تجد هذه المرويات مَن يدافعون عنها على ما فيها من مشكلات وخرافات وما يخالف العلم ، أو يصادم العقل ، أو يقف في سبيل أغراض الدعوة الإسلامية التي قام أساسها على إسعاد الإنسان ورقي العمران ، وأنها صالحة لكل زمان ومكان .

وإذا كنا هنا لا نستطيع أن نتوسع في بيان الضرر الذي نجم عن الأخذ بعدالة الصحابة بعد أن كسرنا لذلك فصلاً برأسه في كتابنا الأضواء ، فإنا نقتصر هنا على إيراد كلمة قيمة وجيزة تفصح عما كان من أثر ضار في روايات أبي هريرة خاصة ، ولولاها لبدا أمر هذا الصحابي على غير ما يفهم الجمهور ، وهذه الكلمة ليست لنا حتى لا يقال إننا قد جئنا بها لنعزز ما كتبناه ، وإنما هي لإمام جليل من أئمة المسلمين هو السيد رشيد رضا قال رضي الله عنه[1] :

---

(١) ص ٩٧ ج ١٩ مجلة المنار .

إنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الإنكار ، أو مظنته ، لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن ، وإخبار النبي (ص) ببعض المغيبات التي تقع بعده ، ويزاد على ذلك ، أن بعض تلك المتون غريب في نفسه ، **ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلل التي يُتثبت بها في روايته ـ كما هو المعهود عند نقاد الحديث ، أهل الجرح والتعديل**[1] . **ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات** أبي هريرة»[2] .

وقال رحمه الله وهو يبين أن بطلي الإسرائيليات ، وينبوعي الخرافات ، هما كعب الأحبار ووهب بن منبه :

وما يدرينا أن كل تلك الروايات ـ أو الموقوفة منها ترجع إليهما **فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض ، ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل ، بل يذكرونه من غير عزو غالباً ، وكثيرون من التابعين كذلك ، بل أكثر ما روي عن أبي هريرة من الأحاديث المرفوعة لم يسمعه منه (ص) ولذلك روى الأكثر عنه عنعنة ، أو بقوله : قال رسول الله (ص) وأقله بلفظ ، سمعت رسول الله يقول كذا**[3] .

وقال رحمه الله : **لو طال عمْر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة**[4] .

اعتراف أبي هريرة بأنهم كانوا يكذبونه !

ولقد سمع أبو هريرة بأذنيه ما يُزن به من قوارص الكلام ، ورأى بعينيه

---

(١) ولكن من يجرؤ على تجريح أبي هريرة وهو محصن بقلاع الصحبة ، وقد أوصدوا باب الجرح والتعديل دون الصحابة جميعاً ؛ وفتحوه على مصراعيه ليدخل فيه الناس كافة .

(٢) ولكن لا يزال بيننا من يقذفون الذين يتكلمون في روايات أبي هريرة ويرمونهم بالزندقة .

(٣) لهذا العلامة كلام نفيس أوسع من ذلك في أبي هريرة وما روى تجده منشوراً فيما بعد من كتابنا هذا .

(٤) ص ٨٥١ ج ١٠ من مجلة المنار .

ما يلقاه ـ أينما ولى وجهه ـ من قوارع الاتهام ، فلم يجد مناصاً ـ تلقاء ذلك ـ إلا أن يعترف غير مرة بما كان يُرمى به من الإنكار عليه وتكذيبه ، فيما يروي عن النبي (ص) ، وهذا مما لم يُسمع عن غيره من الصحابة جميعاً ، وهاك بعض هذه الاعترافات التي كان يصرح بها جهاراً أمام الناس :

لما قدم العراق مع معاوية في العام الذي سمّوه عام الجماعة ـ وهو في الحقيقة عام الفرقة ـ جثا على ركبتيه في مسجد الكوفة وجعل يضرب صلعته مراراً ، يلفت الناس بذلك إليه (ويلفت كذلك معاوية وحاشيته) وحين اجتمعوا عليه ، أهاب بهم : يا أهل العراق **أتزعمون أني أكذب على رسول الله الحديث**[1] .

وروى مسلم عن أبي رزين قال : خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته **فقال ألا إنكم تحدثون (أني أكذب على رسول الله)** لتهتدوا وأضل ! ألا وإني سمعت رسول الله يقول : إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها .

ونحن لا يعنينا من هذا الحديث إلا اعترافه الصريح بأنهم كانوا يتهمونه بالكذب ، وأن هذا الاتهام قد استفاض بين الناس حتى أصبح يلاحقه في كل مكان ، فمرة في العراق ومراراً في غير العراق من سائر الآفاق ! أما نص الحديث فما نظن أنه قد صدر عن النبي (ص) لأنه في أمر تافه لا يعنى النبي بمثله ، وإنما يعنى به أبو هريرة لأنه يتفق مع عقله وتفكيره !

أبو هريرة يعترف كذلك بأنه ليس على الحال التي فارق عليها محمداً (ص) :

ولقد كان أبو هريرة يعترف كذلك بأنه ليس على الحال التي فارق عليها محمداً (ص) .

قال أبو نعيم فيما رفعه إلى السدي أنه قال : رأيت نفراً من أصحاب

(١) سيقابلك نص هذا الحديث كاملاً فيما افتراه ضد علي من هذا الكتاب .

النبي (ص) منهم أبو سعيد الخدري وأبو هـريرة . كـانوا يـرون أنه ليس أحـد منهم على الحال التي فارق عليها محمداً (ص)[1] .

ولا نستزيد من نقل هذه الاعترافات وحسبنا ما قدمناه منها فهو كافٍ .

وعلى أن أبا هريرة قد أكثر من الدفـاع عن نفسه وأنـه كان يعـزّز دفاعـه دائماً بالقسم ! وأن الدولة بسلطانها وقوتها كانت تؤيـده وتعمل على درء التهم عنه ، لأنه كان من أنصارها ويهمها أن لا يشك الناس في مروياته وبخاصـة ما كان منها في تأييدها ، والنيل من أعدائها ! فـإن ذلك كله لم يغيـر مما اشتهـر عنه شيئاً بـل كان كـالزبـد الذي لا يلبث قليـلاً حتى يذوب ، وظـل اتهام أبي هريرة ملازمه لا ينفك عنه ، وسيظل قائماً يأخـذ بتلابيبـه ، يتلقفه الخلف عن السلف إلى أن يشاء الله .

التهكم به والسخرية منه :

ولم يقف الأمـر بهم وبه عنـد تكذيبـه والإنكار عليـه بل زاد على ذلـك بأنهم كانوا يتهكمون به ، ويسخرون منه ، وإليك مثلاً يستدل به على غيره :

فعن أبي رافع : أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حلة يتبختـر فيها فقال : يا أبا هريرة ، إنك (تكثر الحديث) عن رسول الله ، فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً ؟ (كأن كل أمر كان يستخرج له حديثاً) فقال : سمعت أبا القـاسم (أي النبي) يقول : إن رجـلاً ممن كان قبلكم بينمـا كـان يتبختـر في حلة ، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقـوم الساعـة ـ **(فوالله)** ما أدري لعله كان من قومك ، أو من رهطك[2] .

وهـذا الـرجـل ـ كمـا يبـدو من سؤالـه لم يكن مستفهمـاً ، وإنمـا كـان

---

(١) ص ١٣ ـ ١٦ ج ٧ معجم الأدباء والسدى الكبير هو إسماعيل بن عبدالرحمٰن كـان ثقة مأموناً أدرك جماعة من الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبو هريـرة وروى عن ابن عبـاس وأنس وطائفـة وروى عنه الثـوري وشعبـة وزائـدة وغيـرهـم مـات سنـة ١٢٧ هـ .

(٢) ص ١٠٨ ج ٨ من البداية والنهاية لابن كثير .

مستهزئاً متهكماً ، إذ لم يقل له إنك (تحفظ) أحاديث رسول الله ، وإنما قال له : (تكثر) عن رسول الله ، وسياق السؤال يدل كذلك على أنه كان يسخر منه ـ وانظر كيف يقسم أبو هريرة بالله ـ في حديث هو ابن وقته ـ ولقد كان دائماً يقسم هذا القسم في أحاديث قد لا تصح !

أول راوية اتهم في الاسلام :

عرفت مما تقدم كيف أنكر كبار الصحابة على أبي هريرة وكيف كذبوه وأنه نفسه قد اعترف بتكذيبهم إياه ، وعرفت كذلك كيف امتد هذا التكذيب وذاك الإنكار ، إلى ما بعد الصحابة على مدّ العصور حتى وصل إلى عصرنا هذا ، وهذا الاتهام لم يوجه إلى غيره من الصحابة جميعاً .

ومن أجل ذلك كتب الكاتب الإسلامي البليغ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله يقول :

كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية ـ ولهذا كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه ـ **وهو أول راوية اتهم في الإسلام** ـ وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه إذ توفيت قبله بسنة[1] .

جزاء الكذب على رسول الله

تبين لك مما سقناه إليك في هذا الفصل أن بعض الصحابة كذّبوا أبا هريرة في رواياته تكذيباً صريحاً ، وامتد هذا التكذيب إلى ما بعد الصحابة وإلى اليوم وما بعد اليوم ، وهو ولا ريب فيما يرويه عن رسول الله ، ومعلوم أن جزاء الكاذب على رسول الله أن يتبوأ مقعده من النار كما في حديثه الصحيح : «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» ـ وفي اختصار علوم الحديث قال ابن حنبل ، وأبو بكر الحميدي ، وأبو بكر الصيرفي : لا تقبل روايةِ من كذب في أحاديث رسول الله وإن تاب عن الكذب بعد ذلك[2] .

---

(١) ص ٢٧٨ ج ١ تاريخ آداب العرب .
(٢) ص ١١١ .

وقال السمعاني . من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه[1] .

وقال الحافظ ابن حجر : اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله (ص) وأنه من الكبائر حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك وكلام ابن العربي يميل إليه[2] .

* * *

---

(١) ص ١٤ من التقريب للنووي .

(٢) ص ٣٨٩ ج ٦ فتح الباري .

دولة بني أمية ، وكيف نشأت[1]

«إذا وليت أمر المسلمين فاتق الله ! ولا تحمل بني أمية ، وبني أبي معيط على رقاب المسلمين»
من وصية عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان

مما لا ريب فيه أن أبا هريرة قد اتصل بدولة بني أمية وبني أبي معيط اتصالاً وثيقاً ، فتشيع لها ، وحطب في حبلها ، واستظل بظلها ، وناصرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ومن أجل ذلك ظفر بمكانة عظيمة لديها فغمرته بأعطياتها ، وملأوا يديه ، من نوالها ، وجدير بنا قبل أن نعرض لهذا الاتصال أن نوطىء بصدر من القول نبين فيه حقيقة هذه الدولة وكيف قامت ، وماذا كان من أمر زعمائها من النبي من أول يوم قام فيه بدعوته ، وقعودهم له كل مرصد ، وإمعانهم في أذاه ! وشن الحروب عليه ، ثم ما كان بعد ذلك من أمر عثمان معهم ـ وهم قومه ـ عندما استخلف ، من ميله إليهم ، ومحاباته إياهم ، وإيثارهم بالمنح والعطايا من مال المسلمين بحق وبغير حق ، وتمكينهم من حكم الولايات الكبيرة في المملكة الإسلامية لكي يمهد بذلك لقيام دولة لهم ، ثم ما فعله معاوية زعيم الفئة الباغية مع الإمام عليّ وبنيه (ع) ، وقلبه الحكم من شورى عادلة إلى ملك عضوض ، وما ارتكبه يزيد بعد ذلك مع الحسين ، وما إلى ذلك مما سجله التاريخ الصادق وخلده

(١) هذا الموضوع الخطير يحتاج إلى أن يكسر له سفر كبير برأسه وقد أتينا هنا بهذه الفذلكة لنبين أن وضع الحديث كان في زمن هذه الدولة وأنه من الأسس التي قامت عليها ، وأن أبا هريرة كان أكبر من وضع الحديث لتأييدها .

على صفحاته ـ وذلك كله في عرض وجيز ـ حتى إذا ما تجلى أمر هؤلاء القوم وبدت حقيقتهم ناصعة أمكن تعليل ما اتخذوه في حكمهم من ضروب الرغبة والرهبة ، والضغط والقهر بالمال مرة ، وبالسيف تارة لتأييد دولتهم ، وحفظ ملكهم .

جذور الاموية :

إن قيام الدولة الأموية له جذور عميقة تضرب في أحشاء الزمن البعيد في الجاهلية ، يجب على كل من يتصدى لتأريخ هذه الفترة من الزمن أن ينفذ إليها ويتعمقها ، وأن يصورها تصويراً صادقاً ، ثم يعرض صورتها جلية على الناس ـ وهذه الجذور ترجع إلى ما كان من شنآن متأصل في صدر بني أمية لبني هاشم قبل الإسلام ، وظل هذا الشنآن يؤج بينهما على مدّ الزمن ناراً وسعيراً ، حتى إذا ظهر النبي (ص) بدعوته ، كان هؤلاء القوم أسرع الناس إلى معارضته ، والتصدي لدعوته ، فعاجلوه بالمعارضة ، وتولوه بالأذى حسداً من عند أنفسهم ، ولم يذروه ينشر دعوته ، ويبلّغ رسالته ، بل أضرموا عليه حرباً ضروساً ، اتصلت بينهم وبينه حوال عشرين سنة إلى أن فتحت مكة بنصرالله ، فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، ولم يجد أبو سفيان الذي كانت له الزعامة في قريش بعد أن قتل صناديدهم في وقعة بدر ـ مناصاً من أن يستسلم وأن يُسلم مرغماً هو وأولاده ، ومنهم معاوية . . .

ولما كان إسلامهم هذا ظاهراً لم يجاوز حناجرهم ، ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم ، فقد ظلوا على ما بأنفسهم ، مضمرين بغضهم القديم ، ومقتهم الموروث ، وما أربى عليه من حقد جديد يأكل صدورهم ـ أن تظهر النبوة في بني هاشم أعدائهم ، وأن أيقنوا أن دعوة هذا النبي ستقضي إلى الأبد على نفوذهم بمكة التي كانت يومئذٍ خالصة لهم ، وتمحو سيطرتهم على أهلها ، ولبثوا من أجل ذلك كله يتربصون بالنبي الدوائر ، ويرتقبون أن تتاح لهم فرصة فيعيدوا الكرة لكي يستعيدوا مجدهم الذاهب ، ويستردوا نفوذهم البائد .

ومـا إن لحق النبي بالـرفيق الأعلى حتى أسرعـوا إلى إشعال نـار الفتنـة ليعيـدوها جـذعة ، ولكنهم خـابوا فيمـا كانـوا يبتغون ، وحـاق بهم ما كـانـوا يمكرون ، إذ لم يدع لهم أبو بكر وعمر وعلي أي منفذ إليـه ينفذون ، إلى أن قتل عمر بمؤامرة أثيمة ، وهنالك أماطوا عن وجـوههم أقنعة النفـاق ، وأخذوا يسعون بكل مـا استطاعـوا في سبيل قيـام دولة منهم بعـد أن طال ارتقـابهم ، وشدّ من عزمهم أن استُخلف عثمان بعد عمر في ظروف لا نتوسع بتفصيلهـا ـ وكان أمويّـاً منهم ـ فما لبث أن وطـأ لهم ولبني أبي معيط من رقاب المسلمين وخالف بذلك وصية عمر .

ما كان بين بني أمية وبني هاشم في الجاهلية :

أما ما كـان بين بني أمية وبني هـاشم في الجاهليـة فإنـا ندع القـول فيه للمؤرخ الكبير المقريزي فقد سجله في كتابه «النزاع والتخاصم فيمـا بين بني أمية وبني هاشم» .

وإليك بعض ما قاله في ذلك :

«إني كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بني أمية إلى الخلافة مـع بُعدهم من جـذم[1] رسول الله وقـرب بني هـاشم ، وأقـول : كيف حـدثتهم أنفسهم بذلك ! وأين بنو أمية ، وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله ولعينه من هـذا الحديث مع تحكم العداوة بين بني أمية وبني هـاشم في أيام جـاهليتها ! ثم شدة عداوة بني أمية لرسول الله ، ومبالغتهم في أذاه ، وتمـاديهم على تكذيبـه فيما جاء به منذ بعثـه الله عزّ وجـل ؛ بالهـدى ودين الحق ، إلى أن فتح مكـة شرفها الله تعالىٰ فدخل من دخل منهم في الإسلام ! فلعمري لا بُعد أبعد مما كان بين بني أمية وبين هـذا الأمر إذ ليس لبني أميـة سبب إلى الخلافـة ، ولا بينهم وبينها نسب . .

وقد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم ، وبين عبـد شمس بحيث إنه

---

(١) جذم كل شيء : أصله .

يقال إن هاشماً وعبد شمس ولدا توءمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر فلما نزعت دَمي المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك .

ويقال : إن جباههما كانت ملتصقة بعضها ببعض ، فأخذ السيف ففرّق بين جباههما :

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصى ، وبين ابن أخيه أُمية ابن عبد شمس بن عبد مُناف ، وأصبح هاشم بعد هذه المنافرة منفرداً بزعامة بني عبد مناف بمكة .

وخلاصة القول في أمر هذه المنافرة كما ذكر المقريزي : أن هاشماً كانت إليه الرفادة[١] مع السقاية وكان رجلاً موسراً ، وكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، وقد خصكم الله بذلك فأكرموا ضيفه وزواره وأغنوهم وأعينوهم فكانت قريش ترافد على ذلك كل على قدره ، فيضمه هاشم إلى ما أخرج من ماله ويكمل العجز ، وكان يخرج مالاً كثيراً في كل سنة . . وكان يطعم هؤلاء الضيوف ويثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم . وكان هاشم هذا يسمى عمراً وإنما قيل له هاشم لهشمه الثريد بمكة ، وكان أمية بن عبد شمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه فغضب ونافر[٢] هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحمق فقال الكاهن فيما قال :

«والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من

---

(١) الرفادة من الرفد وهي الإعانة ، رفده يرفده رفداً أعطاه .

(٢) نافر الرجل منافرة ونفاراً حاكم ، وسميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة أنا أعز نفراً .

طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من مخبر وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو همهمة[1] بذلك خابر .

فأخذ هاشم الإبل فنحرها ، وأطعم لحمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين . فكان هذا أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية . ولم يكن أمية في نفسه هناك ، وإنما رفعه أبوه وبنوه ، وكان مضعوفاً وصاحب عهار . اهـ مختصراً . وثم أمور أُخرى ذكرها المقريزي تزيد في العداوة والبغضاء بين هاشم وأمية يرجع إليها في كتاب التنازع والتخاصم .

قال المقريزي : ثم تمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بني هاشم أبو القاسم محمد بن عبدالله بمكة يدعو قريشاً إلى توحيد الله تعالىٰ ، وترك ما كانت تعبد من دون الله ، فانتدب لعداوته جماعة من بني أمية منهم : أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص بن أمية . وكان مؤذياً لرسول الله يطلع عليه وهو في حجرات نسائه . وقد قال فيه النبي : من عذيري من هذا الوزغة ! لو أدركته لفقأت عينه ، ثم لعنه وما ولد وغربه عن المدينة ، فلم يزل خارجاً عنها بقية حياة رسول الله وخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما استخلف عثمان رده إلى المدينة وولده مروان ، ولما مات ضرب على قبره فُسطاطاً .

ومنهم عتبة بن أبي ربيعة بن عبد شمس ، وهو أبو هند[2] التي لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب ، ومنهم الوليد بن عتبة بن أبي ربيعة ـ والوليد هذا هو خال معاوية .

ومنهم : شيبة بن ربيعة بن عبد شمس عم هند ، ومنهم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية قائد الأحزاب ، الذي قاتل رسول الله يوم أُحد ، وقُتل من خيار أصحابه سبعون ما بين مهاجري وأنصاري ، بينهم أسد الله حمزة عم النبي ـ وقاتل رسول الله يوم الخندق . . ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار

(١) أبو همهمة اسم الكاهن .

(٢) هند هذه هي زوج أبي سفيان وأم معاوية .

رسول الله لفتح مكة ، فأتى به العباس بن عبد المطلب رسول الله ، وقد أردفه ـ وكان صديقه ونديمه في الجاهلية ـ فلما دخل به على رسول الله ، سأله أن يؤمنه ، فلما رآه رسول الله قال له : ويلك يا أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال له : بأبي أنت وأمي ، ما أوصلك وأجملك وأكرمك ! والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً . فقال : يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ فقال : أما هذه ففي النفس منها شيء ! فقال له العباس : ويلك اشهد بشهادة الحق قبل أن تُضرب عنقك ! فشهد وأسلم[1] ، وقد اختلف في حسن إسلامه فقيل إنه شهد حنيناً مع رسول الله وكانت الأزلام معه يستقسم بها ، وكان كهفاً للمنافقين في الجاهلية[2] .

وفي خبر لعبدالله بن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال : فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان : إيه بني الأصفر ! فإذا كشفهم المسلمون قال :

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر وم لم يبق منهم مذكور

وممن حاربوا النبي ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، وهو الذي جدع أنف حمزة ومثّل به ، ومعاوية هذا هو أبو عائشة أم عبدالملك بن مروان ، وعبد الملك هذا أعرق الناس في الكفر ، لأن أحد أبويه الحكم بن أبي العاص لعين رسول الله وطريده ، والآخر معاوية بن المغيرة .

---

(١) لما أسلم أبو سفيان رجع إلى مكة فصاح : يا معشر قريش ، ألا إني قد أسلمت فأسلموا فإن محمداً قد أتاكم بما لا قبل لكم به ، فأخذت هند برأسه وقالت : بئس طليعة القوم أنت ! والله ما خدشت خدشاً ، (تعيب عليه استسلامه للإسلام بدون سابقة حرب)
يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه ، وتريد ضخمه وسمنته .

(٢) لما انهزم المسلمون يوم حنين قال أبو سفيان : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وقال فيه حافظ الغرب ابن عبد البر في الاستيعاب : «إنه كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم ، وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة وإن له أخباراً ردية وإن إسلامه لم يكن سالماً (ص ٧٠٩ و٧١٠ ج ٢) .

ومنهم حمالة الحطب وإسمها أم جميل بنت حرب بن أمية ـ وإياها عنى الله تعالىٰ بقوله في سورة ﴿**تبت يدا أبي لهب** . . . السورة﴾ .

وقال المقريـزي ، وما من أحـد من هؤلاء الذين تقـدم ذكرهم إلا وقـد بذل جهده في عداوة رسول الله وبالغ في أذى من اتبعـه وآمن به ، ونـالوا منهم من الشتم وأنواع العذاب حتى فرّ منهم مهاجـرون إلى بلاد الحبشـة ، ثم إلى المدينة وأغلقت أبوابهم بمكة ، فباع أبو سفيان بعض دورهم وقضى من ثمنها ديناً عليه ـ وهمّوا بقتل رسـول الله غير مـرة ، وتناظـروا في أمره ليُخـرجوه من مكـة أو يقيدوه ويحبسـوه حتى يهلك ـ وبالـغ كل منهم في ذلـك بنفسه ومـاله وأهله وعشيـرتـه ، ونصب لـرسـول الله الحبـائـل بكـل طـريق سـرّاً وجهـراً ليقتله[1] .

ما قاله الجاحظ في ذلك :

ونردف ما قاله المقريزي بصفحتين من رسـالة بليغـة كتبها الجـاحظ في معنى ما نحن بصدده ، لتكونا دليلاً آخر على تصوير موقف الأمويين من النبي ومن عليّ وبنيه .

قال الجاحظ وهو يتحدث عن أمر قتل عثمـان وما جـره على المسلمين من بـلايا ومحن : «ثم مـا زالت الفتن متصلة ، والحروب متـرادفة ، كحـرب الجمل وكوقائع صفين ، وكيوم النهروان . . إلى أن قتـل أشقاهـا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهادة وأوجب لقاتله النار واللعنة إلى أن كان اعتزال الحسن (ع) الحرب وتخلية الأمور، عند إنتشار أصحابه وما رأى من الخلل في عسكره ، وما عرف من اختلافهم على أبيه ، وكثرة تلونهم عليـه ، فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقيـة الشورى وعلى جمـاعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الـذي سموه عـام الجماعـة ! وما كان عام جماعة ! بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ! والعام الـذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسرويّاً ، والخلافة غصباً قيصريّاً . . ثم ما زالت معاصيه من

(١) ص ١١ ـ ٣٤ من كتاب النزاع والتخاصم .

جنس ما حكينا ، وعلى منازل ما رتبنا ، حتى ردّ قضية رسول الله ردّاً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً ، في ولد الفراش وما يجب للعاهر ، مع اجتماع الأُمة أن سمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً ، وأنه إنما كان بها عاهراً ، فخرج بذلك من الفجار إلى حكم الكفار[1] .

وليس قتل حُجر بن عدي ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليع[2] والإستئثار بالفيء ، واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسنن المنصوبة ، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة ، إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد .

فهذه أول كفرة كانت من الأُمة ، ثم لم تكن إلا فيمن يدعي إمامتها والخلافة عليها ، على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ، **وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا ، فقالت لا تسبوه فإن له صحبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة !! فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة . .**

ما كان من يزيد :

ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ورمي الكعبة واستباحة المدينة ، وقتل الحسين (ع) في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمه ، أو الذهاب في الأرض حتى لا يحس به ، أو المقام حيث أمر به[3] ، فأبوا إلَّا قتله والنزول على حكمهم . إلى أن

---

(١) يشير إلى استلحاق معاوية لزياد وجعله ابناً لأبي سفيان .

(٢) وصفوا يزيد هذا بأوصاف كثيرة شنيعة أتينا على بعضها عند الكلام عنه .

(٣) لم يذكر الجاحظ أنه طلب منه أن يذهب إلى يزيد وهذا هو الصحيح الذي رجحناه وهو الموافق لخلق الحسين وما ركب عليه دمه .

قال الجاحظ : كيف نصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله حواسر على الأقتاب العارية ، والإبل الصعاب ، والكشف عن عورة عليّ بن الحسين عند الشك في بلوغه ، على أنهم إن وجدوه وقد أنبت قتلوه ، وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذراري المشركين[١] !

وكيف تقول في قول عبيدالله بن زياد لإخوته وخاصته : دعوني أقتله فإنه بقية هذا النسل ، فأحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة ؟ خبرونا على ما تدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ـ أتدل على نَصَب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق ، وعلى يقين مدخول وإيمان مخروج[٢] أم تدل على الإخلاص وحب النبي (ص) والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ؟ فإن كان على ما وصفناه لا يعدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى منازله ، فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن لعن الملعون ملعون ، **وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجورة بدعة . . والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه**[٣] .

على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمناً متعمداً أو متأولاً ، فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، وأميراً عاصياً لم يستحلوا سبه ، ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه ، وإن أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضَعيف وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمور ، وأظهر الفجور ، ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ،

---

(١) سيأتيك شيء من تفصيل هذه الجريمة الكبرى التي لم يقع مثلها في التاريخ الإسلامي على مدّ عصوره .

(٢) أثبتنا هنا كلمة مخروج عن الأصلي لأنها في مقابل (مدخول) السابقة لها ، وقد تكون الكلمة (مخدوج بالدال) أي ناقص ومنه الخدوج وهو المولود قبل أوانه .

(٣) في كل عصر نابتة سوء مبغضة عرفت بالنصب ، وفي عصرنا هذا من هذه السلسلة قوم فضحوا أنفسهم بنصبهم .

ويشاركونهم مرة ، إلا بقية ممن عصمه الله تعالىٰ ذكره !!

ثم أخذ الجاحظ يبين ما وقع ممن جاء بعد يزيد من الفظائع التي تقشعر منها الأبدان ، ولم يسمع بمثله في أي زمان .

ولو أن المقام يحتمل ما في رسالة الجاحظ مما ارتكب بنو أمية من الظلم والبغي والقهر لجئنا به كاملاً ، فليرجع إلى هذه الرسالة القيمة ـ وهي مطبوعة ـ من يريد .

أبو سفيان بن حرب :

قال الشاعر وصدق :

عبد شمس قد أضرمت لبني ها شم ناراً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعليّ وللحسين يزيد

وابن حرب ، هو أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس .

كان رأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله ، ومن الذين أجمعوا على منابذته ، وممن حضروا دار الندوة ليتشاوروا في قتله ، وتعاقدوا على القضاء عليه ، كما ذكر ذلك المقريزي من قبل .

ثم كان على رأس المحرضين على محاربة النبي في موقعة بدر[1] ـ وفي هذه الغزوة قتل من قتل من سادات قريش ، ومنهم الوليد بن عقبة خال معاوية ووالد هند .

---

(١) زعم الواقدي أن معاوية كان في عمرة القضاء مسلماً فرد عليه ابن حجر العسقلاني في الإصابة بقوله : هذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في الحج : فعلناها وهذا يومئذٍ كافر ، يعني معاوية وزعم الواقدي كذلك أن معاوية شهد حنيناً فأعطاه النبي من الغنائم مئة من الإبل وأربعين أوقية ورد الذهبي على ذلك فقال : الواقدي لا يعني ما يقول فإن كان معاوية قديماً في الإسلام فلماذا يتألفه النبي (ص) ولو كان أعطاه لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس : أما معاوية فصعلوك لا مال له .

وبعد هذه الغزوة التي نجا منها أبو سفيان ، أصبح سيد مكة بلا منازع وزعيم قريش في حربها وسلمها ، وهو الذي قاد قريشاً يوم أُحد والخندق ، وألب العرب على النبي وأصحابه ، وأغرى اليهود حتى نقضوا عهدهم من النبي وأصحابه ، وهو الذي ظل يدبر مقاومة قريش للنبي وكيدها له ، ومكرها به ، واستمر على ذلك حوالي عشرين سنة من أول قيام الدعوة حتى كان يوم فتح مكة فأسلم مرغماً .

وكان قد نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً (ص) .

وقد بينا لك من قبل قصة إسلامه ، عندما أحيط به على ما رواه المقريزي آنفاً ، وكان معه ابنه معاوية وسائر أولاده ومن أسلم من قومه ، وقال لهم النبي يومئذٍ : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

وكان كذلك هو وأولاده «من المؤلفة قلوبهم» ، وهم قوم من كبار العرب كانوا يُعطون من الصدقات مالاً ، إما دفعاً لأذاهم ، وإما طمعاً في إسلامهم ، وإما تثبيتاً لهم في الإسلام[1] .

وكان أبو سفيان وأولاده من الذين كان يعطيهم النبي دفعاً لأذاهم ، لأن إسلامهم ـ كما بينا ـ لم يكن صحيحاً ، فلما تولى عمر حرمهم ذلك وقال : «انقطعت الرشا ، لأن المسلمين قد كثروا» .

والمؤلفة قلوبهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاماً ضعيفاً .

والطلقاء جمع طليق وهو من حصل المن عليه يوم فتح مكة من قريش ، ومن هؤلاء : أبو سفيان ، وسهل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان .

وكان الطلقاء يقولون في محمد (ص) «دعوه وقومه ، فإن غلبهم دخلنا في دينه ، وإن غلبوه كفونا أمره» .

---

(١) ظل المؤلفة قلوبهم يأخذون من مال الأُمة حتى تولّى عمر وقال : لقد اعتز الإسلام ولم تعد حاجة لإعطائهم .

وقـال ابن عباس : إن قـوماً كـانوا يـأتـون النبي فـإذا أعـطاهم مـدحـوا الإسـلام ، وإذا منعهم ذموا وعـابوا ، وكـان من هؤلاء أبـو سفيـان وعيينـة بن حصن . وكانوا إذا ذكروا أبا سفيان ذكروا معه ابنه معاوية[1] .

عثمان بن عفان[2]

عثمـان بن عفان بن أبي العـاص بن أميـة بن عبـد شمس ، وأمـه أروى بنت كريز .

كان أول ما صنع ـ بعد أن استخلف ـ واستقر له الأمر أن زاد في أعطيـة الناس الضعف ، ثم أخذ يصـل كبار الصحـابة بـالمنح فـوق ما كـان لهم من العطاء المفروض لهم زمن عمر ، ومن ذلك أنه وصل الزبير بن العوام بستمائة ألف ! وطلحة بمئتي ألف ، ونزل له عن دَين كان عليه ، وقد فعل ذلك ابتغاء

---

(١) من العجيب أن يتـورط بعض المؤرخين فيحكمون بصـدق إيمان معـاوية ، ويستـدلون على ذلك بأنه كان يؤدي الفرائض . ويتبرك بآثار النبي حتى بأظافره ، ونسي هؤلاء أنه هو وأبوه وأمه قد أسلموا كرهاً وأن قلوبهم قد ظلت على جاهليتها ! ـ وفـاتهم أنه كـان يخاصم رجلاً لا يمكن أن يساويه في العلم ولا في الفضل ولا في القدر ـ وإذن كان لا بد له ـ وهو الداهية الخدعـة ـ لكي يستقيم أمره ، ويستقـر ملكه أن يتـذرع بكل وسيلة يستطيعها ، خفية كانت أو مفضوحة ليختدع بها العامة ويحول أنظارهم إليـه ـ ومن أول هذه الوسائل أن يتظاهر بموالاة النبي ويبالغ في محبته لعله يبلغ بذلك مكانة يزاحم بها عليّاً رضي الله عنه ! ولكن أنى له ذلك وعلي في السمـاك منه وإنـه كان أقـرب الناس وأحبهم إلى قلب النبي حتى جعله منه كهارون من موسى ! ومن كان مواليـاً للنبي حقـاً فعليـه أن يـوالي عليـاً لأن النبي (ص) قـال : من كنت مـولاه فعليّ مـولاه ! على أن الإيمان ومقره القلب ولا يعلمـه إلا الله ليس أمره سهـلاً ، وأن مظاهـره ليست في أداء الفرائض ولا في التظاهر بحب النبي والتبرك بآثاره وإنما آيته أن يتبع الرسول فيما جـاء به أمراً ونهياً اتباعاً ليس فيه ترخص ولا انحراف ، ومثـل معاويـة بما اقتـرف في حكمه من الموبقات لا يصح في عقل عاقل أن يعد من المؤمنين الصادقين .

(٢) قال أبو معاوية الضرير :

كتب هشـام بن عبـدالملك إلى الأعمش (أستـاذ الثـوري) أن اكتب منـاقب عثمـان ومساوىء علي ! فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها ، وقال لرسوله : قل له : هذا جوابك ـ ص ٣٠١ ، و٣٠٢ ج ١ وفيات الأعيان لابن خلكان .

كسب القلوب واستمالتها .

ومن أخطر أعماله التي كان لها أثر بعيد وأليم على المسلمين جميعاً وسيبقى هذا الأثر على وجه الدهر مسجلاً ، أن حابى قومه بني أمية وآل أبي معيط وآثرهم بالولايات الكبيرة «عندما استعجلوه الولاية» وهي الشام ومصر والكوفة والبصرة ، وذلك لأهميةَ هذه الولايات وغناها ، ووفرة خيراتها ، وكثرة خراجها .

وكانت في ذلك العصر مصدر قوة الدولة المالية ـ ومن العجيب أنه لم ينقض عام واحد على ولايته حتى أخذ يعزل الولاة الذين ولاهم عمر ، ليستبدل بهم ولاة من بني أمية .

فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وهو الذي غش النبي (ص) وكذب عليه ونزلت فيه الآية القرآنية **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ . . .﴾** الآية ، والقصة معروفة ، وهو أخو عثمان لأمه ، وكان على البصرة أبو موسى الأشعري فعزله عنها وولّى عليها أبن خاله عبد الله بن عامر بن كريز .

وكان على مصر عمرو بن العاص بعدما افتتحها بمهارته وحسن تدبيره في عهد عمر ، فلما جاء عثمان عزله عنها وولّى عليها عبدالله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة .

وقد كان ابن سرح هذا من الذين اشتدوا على النبي ، وأسرفوا في السخَر منه . وقد نزل القرآن بكفره وذمه ، وقد كان يقول : سأنزل مثل ما أنزل الله الآية ، ومن أجل ذلك أهدر النبي دمه . وهو أول من كتب له بمكة .

أما الشام وما حولها فقد كان معاوية على دمشق وحدها[1] فجاء عثمان

---

(١) لما فتحت دمشق في عهد عمر أمر عليها يزيد بن أبي سفيان أخا معاوية من أبيه وأخا أم حبيبة زوج النبي ، وكان من العقلاء ، توفي بالطاعون (سنة ١٨ هـ) ولما احتضر استعمل أخاه معاوية على عمله فأقره عمر على ذلك احتراماً ليزيد ص ٢٣٧ و٢٣٨ =

وجمع الشام كله له ، فلسطين وحمص ، وكان على فلسطين عبدالرحمٰن بن علقمة ، وهو كناني ، وكان على حمص عمير بن سعد وهو أنصاري وبهذا الملك العريض الذي يسيطر عليه معاوية يتصرف فيه كيف يشاء «أصبح أشبه بالملك منه بالوالي» .

وكان عثمان بما مكّن لبني أمية من حكم هذه الولايات الأربع الكبيرة ـ وهي تعد بمثابة القواعد الأربع للدولة الإسلامية ـ إنما يصنع هذه القواعد لكي تقوم عليها أركان الدولة الأموية ـ وكأنه كذلك وهو يجمع أطراف الشام كلها بيد معاوية ويجعلها تحت سلطانه إنما يرمي إلى ترشيحه لأن يكون ملكاً لهذه الدولة ، ويهيء السبيل لكي يتولى الزعامة الأموية بعد أبيه أبي سفيان .

وإليك ما قاله في ذلك الدكتور طه حسين[1] .

«وليس من شك في أن عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما أتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أُمية» .

ولما أخذ يبين أعمال عثمان في تولية بني أمية الولايات الكبيرة قال :

والشيء الذي ليس فيه شك هو أن عثمان ولَّى الوليد على الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص ، وولّى عبدالله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى الأشعري ، وجمع الشام كلها لمعاوية ، وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حد ممكن ، بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريش وغيرها من أحياء العرب ، وولّى عبدالله بن سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص ، وكل هؤلاء الولاة من ذوي قرابة عثمان ، منهم أخوه لأمه ومنهم أخوه في الرضاعة ومنهم خاله ، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الأدنى إلى

= ج ٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي . وفي رواية أن الذي استعمل يزيد بن أبي سفيان على الشام هو أبو عبيدة الذي ولاه عمر على الشام بعد أن عزل خالداً عنها (ص ٣٧ ج ٢ من رغبة الآمل شرح الكامل) .

(١) ص ١٢٠ من كتاب الفتنة الكبرى (عثمان) ويرجع إلى هذا الكتاب النفيس الذي بيّن تاريخ هذه الفترة أصدق بيان وأصرحه لا يبتغي في ذلك غير الحق .

أسية بن عبد شمس ، كل هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها[1] .

ومن أعمال عثمان التي استنكرها المسلمون أشد استنكار ولا يستطيع أحد أن يدفع عنه فيها ، أنه رد الحكم بن العاص وأهله إلى المدينة ، وكان النبي قد أخرجهم منها للأسباب التي بيناها آنفاً وظل الحكَم منفيّاً عن المدينة حياة أبي بكر وعمر ، وكان عثمان قد سألهما أن يعيداه فأبيا ، ولم يكتف بإعادته مع أهله بل أعطاه مالاً كثيراً قدر بمئة ألف درهم ، وأقطع الحارث بن الحكم سوق المدينة ويعرف بنهروز ، وكان النبي قد تصدق به على المسلمين ، وأعطاه مئة ألف بعد أن زوجه ابنته عائشة .

أما مروان بن الحكم فقد اختص به واتخذه لنفسه وزيراً ومشيراً وأمر له بمئة ألف . وكان قد زوجه ابنته أم أبان **ثم أقطعه فدَكَ التي كانت ملكاً للنبي وكانت فاطمة رضي الله عنها طلبتها من أبي بكر فَدُفعت عنها بحديث أوردوه ونصه كما قالوه «لا نورث ما تركناه صدقة»** [2] .

ظهور العصبية الجاهلية في أيام عثمان :

ولا نستوفي كل أعمال عثمان التي أخذت عليه هنا ـ لأن كتابنا هذا لا يحتملها فتطلب من مظانها .

ونختم كلمتنا هذه بأن نقول : إن العصبية الجاهلية التي كانت معروفة عند العرب من السفه والتعصب والأنفة لأتفه الأسباب فجاء الإسلام فقضى على ذلك كله ، وبين أنه ليس هناك تفاضل القبيلة أو عزة الجنس ، وأن

---

(١) ص ١٣٥ من نفس المصدر .

(٢) كنا نشرنا كلمة بمجلة الرسالة المصرية عن موقف أبي بكر من الزهراء في هذا الميراث ننقل منها ما يلي : «إننا إذا سلمنا بأن خبر الآحاد الظني يخصص الكتاب القطعي ، وأنه قد ثبت أن النبي قال إنّا لا نورث . وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها كأن يخصها بفدك ، وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للإمام أن يخص من يشاء بما يشاء ، وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي ، على أن فدك هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان (العدد ٥١٨ من السنة الحادية عشرة من مجلة الرسالة) .

المؤمنين جميعاً إخوة لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى قال تعالىٰ : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ وقال : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ . . وفي الحديث ، ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية ـ إن هذه العصبية كانت قد اختفت في زمن النبي وصاحبيه أبي بكر وعمر حتى جاء عثمان فأعادها وأحياها ، وإليك ما قاله في ذلك الدكتور أحمد أمين :

لما ولّي عثمان وهو أموي استعان بالأمويين فكان أكثر عماله منهم وكان كاتبه وأمين سره مروان بن الحكم الأموي ، **ومروان هذا وشيعته قد هدموا كل ما بناه الإسلام من قبل** ، ودعمه أبو بكر وعمر من محاربة العصبية القبلية وبث الشعور بأن العرب وحدة ، وحكموا كأمويين ! لا كعرب فحرك ذلك ما كان كامناً من العداوة القديمة الجاهلية بين بني هاشم وبني أمية ، وانتشرت الجمعيات السرية في آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره[1] .

بعد مقتل عثمان :

بويع أمير المؤمنين عليّ رضوان الله عليه بعد مقتل عثمان بيعة صحيحة ، وكان من الذين بايعوه طلحة والزبير وهما من الذين قيل : إنهم من العشرة المبشرين بالجنة ! ولكنهما لم يلبثا قليلاً حتى نقضا بيعتهما وخلعا من الطاعة أيديهما «وكان من الحق عليهما أن يفيا بالعهد ويخلصا للبيعة التي أعطياها[2]» وحرضتهما عائشة على الوقوف من علي موقف الخصومة والحرب ، لأنها كانت غاضبة من بيعة الناس لعليّ أشد الغضب ، حتى لقد قالت حينما بلغها أمر هذه البيعة كلمتها المشهورة وهي «لا يمكن أن تتم هذه البيعة ولو انطبقت السماء على الأرض[3] وذلك لِما كانت تكن في قلبها من بغض

---

(١) ص ٣١١ من فجر الإسلام .

(٢) يقول الفقهاء : إن الباغي على الإمام الحق ، والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة هو فاسق ، ولا ندري ماذا يقولون فيمن خرج على علي من كبار الصحابة ؟ هل يدخلون تحت هذا الحكم ؟ أم أن الصحبة تخرجهم منه ؟

(٣) كانت حينئذٍ قد فارقت المدينة إلى مكة بحجة الحج ! ولكنها في الحقيقة لما رأت أن =

ومـوجدة لعليّ ، بسبب رأيـه المعروف في حـديث الإفـك ، ولأنـه زوج بنت ضرتها السيِّدة الجليلة خديجة ، وكانت تغار منها حتى بعد موتها ، ولأنه تزوج بأسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر وهي أم أخيها محمد بن أبي بكر .

ولم تلبث عائشة حتى أمسكت بـزمام الفتنـة وركبت جملها[1] لتحـرض النـاس على عليّ ، ولتؤيد طلحـة والزبيـر في محاربتهمـا إياه . وكـانت وقعة الجمل المشهورة التي قتل فيها عشرات الألوف من المسلمين !

وفي ذلك يقول عليّ في خطبة له :

أيها الناس : إن عـائشة سـارت إلى البصرة ومعهـا طلحة والـزبير وكـل منهما يرى الأمر له دون صاحبه ، أما طلحة فابن عمها ، وأما الزبيـر فختنها ! والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقـطع عقبة ، ولا تحـل عقدة إلا في معصيـة الله وسخطه[2]

وقال في خطبة رواها ابن عبد البر في الاستيعاب جاء فيها :

بايعوني ولم أستكره أحداً ، وبايعني طلحة والـزبير ، ولم يصبـرا شهراً كـاملاً حتى خـرجا إلى العـراق نـاكثين ، وإني منيت بـأربعـة : أدهى النـاس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الـزبير ، وأطـوع الناس في النـاس عائشـة ، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى بن أمية .

= نار الثورة في المدينة قـد اشتد سعيـرها وتـوشك أن تلتهم عثمـان أرادت أن تبتعد عن لهيبها ، على حين أنها كانت من الذين حرضوا على الفتنة بمثل قولها : اقتلوا نعثـلاً ـ أبعده الله ـ وغير ذلك ؛ ولم يكن غيظها من مبايعة علي رضي الله عنه بأقل من حـزنها على عدم استخلاف طلحة التيمي ، إذ كانت تريد أن تعود الخلافـة (تيمية) حتى بعـد عمر ! ولكنها لم تستطع !

(١) كان هذا الجمـل هديـة من يعلى بن أمية اشتـراه لها بثمـانين ديناراً لتـركب عليه وهي تسوق جحافل الجيوش لحرب عليّ زاعمة أنها تطالب بثـأر عثمان(*) ويعلى هـذا كان عاملاً لعثمان على اليمن ثم عزله عليّ ، فأسرها في نفسه ، وقد شهـد تدبيـر المؤامرة في بيت عائشة وأعان المحاربين بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلاً من قريش .

(٢) ص ٧٨ ج ١ تاريخ أبي الفدا .

وبعد أن انتهت وقعة الجمل بنصر علي استعرت الحروب في صفين بين علي ومعاوية وفي هذه الحروب تألبت جميع القوى على عليّ رضي الله عنه [1] .

وبعد حروب طاحنة في وقائع الجمل وصفين ، قتل علي رضي الله عنه غيلة بيد مجرم أثيم لعين ، وبذلك انقض أكبر حصن أمام الأمويين .

وعندما بلغ عائشة نبأ قتله تمثلت بقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر

---

(١) لك الله يا عليّ ! تألبت كل القوى عليك ، وكم نلت من البعيد والقريب ، وكم حملت مما تأبى الجبال أن تحمله ، وقد صدق أحمد شوقي شاعر الإسلام في وصف موقف عائشة وصاحبيها من علي ، حيث قال رحمه الله :

يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل ... ماذا رمت عليك ربة الجمل (*)(**)

(*) من العجيب أن عائشة أم المؤمنين ، كانت أول من أنكر على عثمان ما وقع منه ، كانت تخرج قميص النبي (ص) وتقول : هذا قميصه لم يبل وقد بلى دينه ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً فقد كفر ! ولما بويع علي بيعته الصحيحة قالت : ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض ، ثم أشعلت على عليّ نار الحرب بمعاونة طلحة والزبير إلخ . وقد وصف كارل بروكلمان السيدة عائشة بأنها المحبة للفتنة ص ١٣٣ ج ١ من كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية ، ووصفها كذلك (بالداهية) ص ١٣٧ من نفس المصدر .

(**) ربة الجمل عائشة التي كانت تركب جملاً في هذه الحرب .

أثأر عثمان الذي شجاها (*) ... أم غصة لم ينتزع شجاها

قضية من دمه تبنيها ... هبت لها واستنفرت بنيها

ذلك فتق لم يكن بالبال ... كيد النساء موهن الجبال

وإن أم المؤمنين لامرأة ... وإن تلك الطاهرة المبرأة

أخرجها من كنها وسنها ... ما لم يُزل طول المدى من ضغنها

صاحبة الهادي وصاحباه ... فكيف يمضون لما يأباه

وجاء في الأسد أبو تراب (١) ... على متون الضمر العراب

يرجو لصدع المؤمنين رأبا ... وأمهم تدفعه وتأبى

تجر ذات الطهر فيه عسكرا (٢) ... وتذمر (٣) الخيل وتغري العسكرا (٤)

=

وقال الفيلسوف الإنجليزي المشهور ولـز الذي يعـد في طليعة مفكـري هـذا العصر في كتـابه «تجـربة في التـاريـخ العـام ـ في مبحث الإسـلام» عن موقف عائشة من الحرب الداخلية ، ما ترجمته :

«إن الإسلام كاد يفتح العالم أجمع لو بقي سائراً سيرته الأولى ، ولو لم تنشب في وسطه من أول الأمر الحرب الداخلية ، فقد كان هم عائشة أن تقهر عليّاً قبل كل شيء»[1] .

وقال عنها بركلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية :

= والقصيدة طويلة على هذا الغرار الرائع[5] .

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : دخلت أم أفعى العبدية على عائشة فقالت : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً صغيراً لها ؟ قالت : وجبت لها النار ! قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشـرين ألفاً (أي عـدد من قتلوا في وقعة الجمـل) ! قالت عـائشة : خـذوا بيد اللعينـة عدوة الله ! وروى البـلاذري في أنسـاب الأشراف قال : عرضت لعائشة حاجة فبعثت إلى ابن أبي عتيق ، أن أرسل إلي بغلتك لأركبها في حاجة ، فقال لرسولها وكان مزاحاً : قل لأم المؤمنين ، ما رحضنا عار يـوم الجمل ! أفتريدين أن تأتينا بيوم البغلة[6] !

(*) كانت عائشة كما قلنا تسوغ خروجها على عليّ بأنها تـطالب بثأر عثمـان على حين أن القرآن يقول في سورة الأحزاب ﴿**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن** . . .﴾ «الآية» . وانـظر الفرق الهائل بينها وبين الحصـان العاقلة الـرزان أم سلمة التي كـانت تقول كمـا روى البخاري عنها (ص ٨٦ ج ٧) : «لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي» .

١ ـ أبو تراب هو عليّ رضي الله عنه .

٢ ـ عسكر اسم جمل عائشة التي كانت تركبه في وقعة الجمل .

٣ ـ تذمر الخيل أي تحثها .

٤ ـ العسكر هنا معناه الجيش .

٥ ـ ص ٥٤ و٥٥ من كتابه دول العرب وعظماء الإسلام .

٦ ـ ص ٤٢١ ج ١ .

(١) ص ١٤١ ج ١ حاضر العالم الإسلامي .

«وأما عائشة الداهية فتركت المدينة تحت ستار من الحج إلى مكة لكي تشهد الوقائع فيما بعد» (أي فتنة عثمان)[١] .

ثم وصفها بأنها «المحبة للفتنة»[٢] .

معاوية بن أبي سفيان

هو معاوية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأمه هند بنت عتبة ابن أبي ربيعة بن عبد شمس وهي أم أخيه عتبة بن أبي سفيان ، أما يزيد ومحمد وعنبسة وحنظلة وعمرو فمن أمهات شتى .

ومعاوية مطعون في دينه وقد كان في الجاهلية زنديقاً ، وأصبح بعد الإسلام طليقاً .

«وقد ورث عن أبيه قوته وقسوته وكيده ودهاءه ومرونته كذلك ، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكراً للإسلام وبغضاً لأهله وحفيظة عليهم ، وهم قد وتروها يوم بدر فثأر لها المشركون يوم أُحد . ولكن ضغنها لم يهدأ وحفيظتها لم تسكن ، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارهاً[٣]» وكما أسلم كذلك ابنها معاوية بعد إسلام أبيه كارهاً .

وهند هذه هي التي أغرت وحشيّاً بحمزة عم النبي حتى قتله ثم أعتقته ، ولما قتل حمزة بقرت بطنه ، ولاكت كبده ، وفعلت فعلاتها بجثته !

وإذا كان معاوية قد ورث بغض عليّ عن آبائه ـ مما حدثناك عنه ، فإن هناك أسباباً أخرى تسعِّر من نار هذا البغض ، منها أن عليّاً قتل أخاه حنظلة يوم بدر ، وخاله الوليد بن عتبة وغيرهما كثيرين من أعيان وأماثل عبد شمس .

ومن أجل ذلك كان معاوية أشد الناس عداوة لعلي يتربص به الدوائر

---

(١) ص ١٧٣ ج ١ .

(٢) ص ١٣٣ من نفس المصدر .

(٣) ص ٦١ من كتاب «عليّ وبنوه» للدكتور طه حسين .

دائماً ، ولا يفتأ يسعى في الكيد له سرّاً وعلانية ، قولاً وعملاً .

معاوية وحروب الجمل :

وقد انتهز معاوية فرصة حروب الجمل فأخذ يحرض طلحة والزبير وعائشة ويظاهرهم ، وكان يعد طلحة والزبير بالبصرة والكوفة بأن يحكم كل واحد منهما إحداهما حتى إذا انتهت هذه الحروب بهزيمة من أثاروها ، أشعل الحرب بينه وبين عليّ في صفين وغيرها ، ثم انتهى الأمر بقتل علي بمؤامرة كما ذكرنا ذلك من قبل .

ولا تنسَ أنه لم يبايع عليّاً عندما بويع له ـ كما بايع كل الولاة ، وخرج عليه .

انصراف معاوية إلى أولاد عليّ بعد قتل أبيهم :

ولم يشبع نهم الحقد الأموي قتل هذا الإمام العظيم ، بل صرف معاوية كيده وبغيه أول الأمر إلى الحسن رضي الله عنه الذي كان يزاحمه بحقه في الخلافة وما زال يراوغه بكيده حتى تخلص منه بالسم[1] .

ومات معاوية قبل أن يُلحق الحسين بأخيه الحسن[2] ، وهما ريحانتا

---

(١) سمته امرأته جعدة بنت الأشعث بتدسيس معاوية ، وكان وعدها أن يزوجها من يزيد وأن يعطيها مئة ألف درهم فسوغها المال ولم يزوجها منه ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا : يابن مسمة الأزواج (ص ٧٣ من مقاتل الطالبيين) ، وذكر الأصفهاني في هذا الكتاب ، أن معاوية عندما أراد البيعة لابنه يزيد لم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص فدس إليهم السم فماتا منه .

(٢) عن أبي أيوب الأنصاري قال : دخلت على رسول الله (ص) والحسن والحسين يلعبان على صدره فقلت يا رسول : أتحبهما ؟ قال : كيف لا أحبهما وهما ريحانتاي في الدنيا .

وعن عبدالله ، رأيت رسول الله (ص) أخذ بيد الحسن والحسين وقال : هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني (ص ١٨٩ و١٩٠ ج ٣ سير الأعلام) .

=

النبي (ص) وترك ذلك لابنه يزيد .

وممن سمهم معاوية : عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وذلك عندما شاور أهل الشام فيمن يعقد له من بعده فقالوا له : رضينا بعبد الرحمٰن بن خالد وكان أهل الشام يحبونه ، فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه ثم مرض عبد الرحمٰن بعد ذلك فأمر معاوية طبيباً يهوديّاً ـ وكان مكيناً عنده . أن يأتيه فيسقيه سقية تقتله ، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات[1] .

وعلى أثره مات عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق بالسمّ ، وكان سبب ذلك أن معاوية حينما كان يدعو إلى بيعة يزيد قال له عبد الرحمن هذا : أهرقلية إذا مات كسرى كان كسرى مكانه ؟ لا نفعل والله أبداً ، فبعث إليه معاوية بمئة ألف درهم ، فردها عبدالرحمن وقال : «أبيع ديني بدنياي» .

وما لبث أن مات فجأة بموضع يُقال له الحبشي ! (جبل بأسفل مكة) وحمل إلى مكة فدفن فيها[2] . وممن سمهم معاوية كذلك مالك بن الأشتر الذي ولّاه الإمام عليّ على مصر وكان سمه في عسل ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك إن لله جنوداً من عسل . ولا نحصي من تخلص منهم معاوية بالسم .

وهذه سنة الحكام الطغاة في كل زمان ، ولعلك لا تنسى أن عبدالرحمٰن بن أبي بكر كان في حرب الجمل مع عائشة أخته وكان هو وعبدالرحمٰن بن خالد مع معاوية في حرب صفين ، ولكن الطغاة لا يبالون شيئاً عند طغيانهم ، ومن العجيب أن عائشة لم تغير موقفها في تأييد معاوية وقد قضى على أخوين لها ، عبدالرحمٰن هذا ، ومن قبله محمد بن أبي بكر ،

= وعن أم سلمة أن النبي (ص) جلل حسناً وحسيناً وفاطمة بكساء ثم قال : اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي وخاصتي اللَّهُمَّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (ص ١٦٨ من نفس المصدر) .

(١) راجع ترجمته في الاستيعاب .

(٢) راجع كذلك ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر .

وكان ولّاه الإمام علي مصر فقتلوه ومثلوا به أبشع تمثيل فألقوه بعد قتله في جيفة حمار وألقوا به في العراء . .

ومن أعجب العجب أن عائشة لم يفثأ من غليان حقدها ولم يطفىء من نار غيظها أن قتل علي وخلا الجو لها ، واستولى على الملك من تؤثرهم بحبها ، فقد وقفت من الحسن موقفاً يدل على الخسة يشاركها في ذلك بنو أمية ، ذلك أنه بعد أن سمه معاوية وشعر بدنوّ أجله أرسل إلى عائشة أن تأذن له بأن يدفن مع جده ، ففزعت وأسرعت فركبت بغلاً واستنفرت بني أمية ، وكان على المدينة حينئذٍ مروان بن الحكم فاشتملوا بالسلاح وقالوا : لا يدفن مع النبي ؛ فبلغ ذلك الحسن (ع) فأرسل إلى أهله : أما إذا كان هذا فلا حاجة لي فيه ، ادفنوني إلى جانب أمي ، فدفن إلى جانب أمه فاطمة (ع) (ص ٧٥ من مقاتل الطالبيين) .

يزيد والحسين
كيف قتل الحسين وأهله !

ولما آل الحكم بالوراثة الاستبدادية إلى يزيد بن معاوية[1] الذي ورث البغي والظلم والحقد عن أبيه وجده وسائر قومه ، واجتمعت فيه كل خصال الأموية الذميمة وطباعها الأثيمة ، أخذ يتمم سياسة أبيه وجده ، فأرصد بغيه إلى السبط الثاني وهو الحسين رضي الله عنه ، وكان يخشاه أشد خشية ، لأنه أحق وأجدر بالخلافة منه ومن أبيه ، وسولت له نفسه أن يرتكب معه أبشع جريمة تقشعر منها الأبدان .

وإنا هنا ننقل موجزاً لما قاله الدكتور طه حسين في وصف هذه الجريمة البشعة قال حفظه الله وشفاه :

---

(١) كان يزيد هذا صاحب لهو وعبث مسرفاً في اللذات مستهتراً ، وكانت أمه ميسون نصرانية كنائلة زوج عثمان وكانت كثيراً ما تصطحبه إلى البادية حول تدمر حيث تقيم قبيلتها وهناك شرب الخمر وانغمس في اللذات وأخذ منها ما شاء له هواه وفسقه وقد كانوا يسمونه يزيد القرود ويزيد الخمور .

ندب ابن زياد لحرب الحسين رجلاً من أقرب الناس إليه هو عمر بن سعد بن أبي وقاص[١] وأرسل معه جيشاً من بضعة آلاف فمضى عمر حتى لقي الحسين فعرض الحسين على عمر أن يختار خصلة من ثلاث ، فإما أن يخلوا بينه وبين طريقه إلى الحجاز ، وإما أن يسيروه إلى يزيد بالشام ليكون بينه وبين يزيد ما يكون[٢] ، وإما أن يخلّوا بينه وبين الطريق إلى ثغر من ثغور المسلمين ، فرضي عمر بن سعد وقال : أؤامر ابن زياد ، ولما كتب إليه في ذلك أبى إلا أن ينزل الحسين على حكمه ، ولم يكد عمر يقرأ كتاب ابن زياد ، حتى طلب إلى الحسين أن ينزل على حكم ابن زياد فأبى الحسين وقال : أما هذه فمن دونها الموت ! فزحف عمر بجيشه على الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وسبعين رجلاً فقاتلوهم أكثر من نصف النهار وأبلى الحسين وبنو أبيه ، وبنو عمومته ومن كان معهم من أنصاره القليلين أعظم البلاء وأقساه ، **ورأى الحسين المحنة كأبشع ما تكون المحنة ، رأى إخوته وأهل بيته يقتلون بين يديه ، وفيهم بنوه وبنو أخيه الحسن وبنو عمه ، وكان هو آخر من قتل منهم بعد أن تجرع مرارة المحنة فلم يبق منها شيئاً**[٣]

وقد كانوا يجزون رؤوس القتلى ثم يسلبونها ! وسلبوا الحسين حتى تركوه متجرداً بالعراء . . ثم يسبون النساء كما يسبى الرقيق ، وفيهم زينب

---

(١) كان عبيدالله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبي وقاص ولاية الريّ إن هو خرج على الحسين وقاتله ، والري كما جاء في معجم البلدان لياقوت : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات ، وهي محط الحاج وهي بين نيسابور ودارين ، وقال الإصطخري : هي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها . وقال الأصمعي : هي عروس الدنيا وإليها يتجر الناس (ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨ ج ٤ معجم البلدان) .

(٢) يشك بعض المؤرخين ونحن منهم في هذه الخصلة لأنها لا تليق بمقام الحسين ولا بدينه ولا بشهامته ، راجع ما قاله الجاحظ فيما سبق أن نقلناه عنه .

(٣) قتل مع الحسين ١٧ رجلاً كلهم من ولد فاطمة وقتل ٢٣ رجلاً من غيرهم وكان قتله يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم سنة ٦١ هـ . بكربلاء من أرض العراق (ص ١٤٦ ج ١ من الاستيعاب) .

حفيدة رسول الله ثم يأتون بهم ابنَ زياد وكان معهم علي بن الحسين وكان صبياً[1] فأرسلهم ابن زياد مع سائر أهل الحسين إلى يزيد وقدم رؤوس القتلى بين أيديهم وفيهم رأس الحسين فدخلوا به على يزيد فوضع أمامه فجعل ينكتُ في ثغره بقضيب[2] كان في يده وينشد :

يفلقن هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما[3]

وأدخل السبي على يزيد فأدخلهم على أهله ، ثم جهزهم بعد ذلك إلى المدينة .

وقال الدكتور طه حسين بعد تفصيل رائع مؤثر لما حدث :

والرواة يزعمون أن يزيد تبرأ من قتل الحسين على هذا النحو ! وألقى عبء هذا الإثم على ابن مرجانة عبيدالله بن زياد ، ولكننا لا نراه لام ابن زياد ، ولا عاقبه ، ولا عزله عن عمله كله أو بعضه ـ ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه ثم ألقى عبء قتلهم على زياد وقال : حملني ابن سمية فاحتملت[4] اهـ باختصار .

---

(١) عن أبي حمزة بن يزيد الحضري قال : رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهن يقال لها ربة حاضنة يزيد قالت : دخل رَجل على يزيد فقال : أبشر فقد أمكنك الله من الحسين ، وجيء برأسه فوضع في طست فأمر الغلام فكشف فحين رآه احمرَّ وجهه كأنه شم منه ، فقلت لها : أقرع ثناياه بقضيب ؟ قالت إي والله ، ثم قال حمزة وقد حدثني بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام (ص ٢١٥ و٢١٦ ج ٣ سير أعلام النبلاء) .

(٢) راجع وصف ما صنعوه مع هذا الصبي فيما نقلناه من كلام الجاحظ آنفاً وما فعلوه بالحسين وبمن كانوا معه .

(٣) هذا البيت من قصيدة للحصين بن الحمام المري وهو شاعر جاهلي مقل ، قال أبو عبيدة : (اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة ، المسيب بن غلس ، والمتلمس وحصين بن الحمام هذا) .

(٤) ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ من الجزء الثاني من الفتنة الكبرى (عليّ وبنوه) .

وفي مقاتل الطالبيين للاصفهاني (ص ١١٩ جـ ١) :

وحمل خوليّ بن يزيد رأسه إلى عبيدالله بن زياد ، وأمر ابن زياد أن يوطأ صدر الحسين وظهره وجنبه ووجهه فأجريت الخيل عليه .

* * *

وبقتل هؤلاء الأقطاب الثلاثة الكبار[1] ، خلا الجو لبني أمية وامتد سلطانهم على البلاد الإسلامية كلها يستمتعون بحكمها ، ويتوارثون هذا الحكم فيما بينهم ، بلا منازع ولا معارض ، يحكمون حكماً استبدادياً أموياً قبليّاً ، أساسه الرهبة والضغط والقهر ، مستبدلين إياه بحكم الشورى الإسلامي العادل متبعين في ذلك سنن من كان قبلهم من الأكاسرة والقياصرة .

وبهذا الحكم تحقق لعثمان كل ما كان يريده لقومه بني أمية . إذ ما كاد ينقلب إلى ربه ، حتى بدت العصبية الأموية أقوى وأعنف ما تكون كما قلنا بما هيأ لها أثناء حكمه ، وكشفت القناع عما كانت تخفيه من حرد وموجدة لبني هاشم .

فوقف معاوية زعيم الفئة الباغية من عليّ ، موقف أبي سفيان من النبي ، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من عليّ رضي الله عنه ، وصدق قول الشاعر الذي سقناه لك من قبل .

وقد كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى

---

(١) عن أم سلمة : أن النبي (ص) جلل عليّاً وفاطمة وابنيهما بكساء ثم قال : اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي خاصتي ، اللّهُمَّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . فقلت يا رسول الله : أنا منهم ؟ قال : أنت إلى خير (ص ١٩٠ ج ٣ سير النبلاء) . وقال الإمام إبراهيم النخعي : لو أني كنت فيمن قاتل الحسين ثم أتيت بالمغفرة من ربي فأدخلت في الجنة لاستحييت من رسول الله أن أمر عليه (صفحة ٤٠ ج ٢ من الروض الباسم) .

عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرهم[1] ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم علي (ص ٤٠٧ ج ٣ ابن عساكر) وأن لا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة وأن يمحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأن يسقطوا عطاءهم ورزقهم .

هذه فذلكة وجيزة بينا فيها كيف نشأت دولة بني أمية ، والذي بعثنا عليها أنها (أولا) تكشف عن سياسة هذه الدولة التي قلبت نظام الحكم من خلافة عادلة أساسها الشورى إلى ملك عضوض يقوم على الاستبداد . وفي عهدها تحول تيار التاريخ الإسلامي عن مجراه المستقيم وانحرف هاهنا وهاهنا ، يسير على غير هدى[2] (وثانياً) لولا قيامها على ما قامت عليه ، ما كان أبو هريرة الذي نؤرخ له ، ولا كانت أحاديثه التي شرقت بها الكتب ، ولبقي مطموراً لا يعرفه أحد ، ولا يعنى به إنسان ! فهي التي رفعته من الضعة والخمول ، وخلعت عليه رداء الشهرة والظهور ، وكان له بفضلها ذكر في التاريخ الإسلامي عند كثير من الناس أي ذكر .

* * *

---

(١) ظلت هذه العادة الذميمة الملعونة حتى أبطلها الإمام العادل عمر بن عبد العزيز الذي تولى من سنة ٩٩ إلى ١٠١ هـ وقتل بالسم لأنه لم يحكم حكماً أموياً ، بل حكمه إسلامياً . هذه الموبقة الفظيعة التي لا يرحضها ماء البحر والتي لا تفتأ تلبب معاوية بإثمها الكبير في حياته وبعد مماته إلى يوم الدين قال عنها الأستاذ العقاد : وإذا لم يرجح من أخبار هذه الفترة إلا الخبر الراجح عن لعن «علي» على المنابر بأمر معاوية لكان فيه الكفاية لإثبات ما عداه مما يتم به الترجيح بين كفتي الميزان (ص ١٦ من كتاب معاوية بن أبي سفيان في الميزان) .

(٢) قال الربيع بن يونس : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، والملوك أربعة ، معاوية وعبد الملك وهشام وأنا (ص ٣٣ ج ٢ النجوم الزاهرة) .

ومن خطبة لعبد الملك بن مروان : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا أنا بالخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا الخليفة المأبون (يعني يزيد بن معاوية) .

كانت مؤامرة مدبرة !!

قبل أن نفرغ من هذا الفصل نتحدث في سطور قليلة عن تلك المؤامرة التي دبروها ضد عليّ رضي الله عنه ـ ادعوا أنه قد غض طرفه عن قتلة عثمان فلم يقتص منهم ! وكانت عائشة (أم المؤمنين) أشد الناس عداوة له وأقواهم تحريضاً عليه ـ وكان منها ما كان مما بيناه من قبل ـ على حين أنها كانت تقول في وجه عثمان ، عندما وقع منه ما وقع مما أغضب المسلمين : «اقتلوا نعثلاً فقد كفر» ، وكانت تخرج قميص النبي (ص) وتنشره بين يديها وتقول : «إن دينه قد بلى ولم يبل قميصه» !! كما بينا ذلك آنفاً .

ولكن ما كاد عليّ يفارق هذه الحياة ، حتى تولاها الصمت وسكتت عن الطلب بدم عثمان ـ وقد كان عليها إذا كانت صادقة في دعواها ، أن لا تفتر عن مطلبها حتى يتحقق ، ولكنها لم تطالب معاوية بما كانت تطالب به عليّاً ؛ وسكتت راضية ، وكذلك سكت معاوية بعد أن استوى على عرش الملك ، وأصبح قادراً على أن يقتص ممن اعتدوا على عثمان ، وهو الذي أثار الحرب في صفين وغيرها من أجل ثأر عثمان ! وانصرف إلى سياسة ملكه باللين والمداهنة حتى لا يثور الناس أو يخرجوا عليه .

وكان آل عثمان خاصة يستيقنون أنه لا بد آخذ بحقهم !! ولكن ضاع يقينهم فتأثروا وحزنوا .

وإذا كان أمر هذه المؤامرة لا يخفى على الناس كافة ، فإن معاوية قد فضحها بلسانه ، وهاك ما أفضى به لعائشة ابنة عثمان ننشره على الناس تسجيلاً لهذه الفضيحة وقد قالوا (الاعتراف سيد الأدلة) :

قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان :

وا أبتاه ! وبكت . فقال معاوية : يا ابنة أخي ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً ، أظهرنا لهم حلماً تحته غضب ! وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا

بنا ، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ! ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عُرض المسلمين[1] !!

وإذا كان معاوية قد فضح بهذا الحديث سر المؤامرة من أجل التخلص من عليّ وبنيه ، فإنه قد فضح كذلك نفسه في عبارة صادقة مكشوفة - كيف كان أسلوبه في حكم الناس ! وماذا كان يضمر الناس له ولحكمه وما يكن لهم هو من غضب ! مما يصح أن يعقد له كتاب برأسه يكون عنوانه :

«كيف كان الحكم الأموي» على أنه لا يفوتنا هنا أن نأتيك بصفحة من هذا الحكم بعد الكلمة الآتية :

لك الله يا عليّ !

هذه كلمة وجيزة عن دولة بني أمية وكيف قامت وقد اضطررنا إلى هذا الإيجاز ، لأن استيفاء الكلام في هذا الأمر يحتاج إلى كتاب خاص أو إلى كتب مطولة .

ومما لا خلاف فيه ولا نزاع ، أن معاوية كان باغياً ، وأنه كان أول من هدم ركن الشورى في الإسلام وتبعه قومه ، ومن أجل ذلك كثر كلام الناس في الإنكار عليه وعلى قومه . ولا بأس من أن نورد هنا ذرواً قليلاً مما قالوه يكون كنموذج . وسنجعل في صدر ما ننقله ما جاء في صحيح البخاري عنه .

عقد البخاري في كتابه فصلاً بعنوان (فضائل الصحابة) ذكر فيه ما جاء عن النبي في فضل كبار الصحابة . ولما وصل إلى معاوية قال :

(باب ذكر معاوية) ولم يقل باب مناقب معاوية ! أو باب فضائل معاوية ! كما يقول في غيره . ولم يذكر في الباب إلا حديثاً واحداً بأنه أوتر بركعة ؛ وقول ابن عباس فيه إنه فقيه . على أن هذا الحديث لا يكفي للدلالة

---

(١) ص ٣٠٠ ج ٣ البيان والتبيين للجاحظ وابن قتيبة في عيون الأخبار وغيرهما .

على فقهه ! ولكنها السياسة !! ومن يدرينا إن كان ابن عباس قد قال هذه الكلمة ! على أن شهادة ابن عباس هذه لا تكفي لإثبات فضله .

وجاء الحافظ ابن حجر ليشرح الحديث فقال (تنبيه)[1] .

قول عائشة في تولي معاوية الملك :

عن الأسود ، قلت لعائشة : ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد الخلافة ؟ قالت : وما يعجب ! هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر ! قد ملك فرعون مصر[2] !!

---

(١) شرح ابن حجر كلمة (تنبيه) فقال : عبر البخاري في هذه الترجمة بقوله ذكر ولم يقل فضيلة ولا منقبة ، لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب ، وبعد أن ذكر أن ابن أبي عاصم وأبا عمر غلام ثعلب وأبا بكر النقاش قد صنعوا أجزاء في مناقبه ، قال : إن ابن الجوزي بعد أن أوردها في الموضوعات ساق عن إسحاق بن راهويه (شيخ البخاري) أنه قال : «لم يصح في فضائل معاوية شيء» قال ابن حجر : فهذه النكتة في عدول البخاري عن التصريح بلفظ منقبة اعتماداً على قول شيخه (ابن راهويه) . . وأخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ـ سألت أبي ، ما تقول في علي ومعاوية : فأطرق ثم قال : إعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيداً منهم لعلي . فأشار بهذا إلى ما اختلقوا لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له ، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد ، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما اهـ .

وللنسائي قصة مشهورة في أمر فضائل معاوية .

قال الدارقطني : خرج النسائي حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة فقال : احملوني إلى مكة وتوفي بالرملة .

وكان أصحابه في دمشق قد سألوه عن فضائل معاوية ، فقال : ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفضل ؟ فما زالوا يدفعونه حتى أُخرج من المسجد .

وللنسائي كتاب في خصائص عليّ رضي الله عنه . وقال الشوكاني في كتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة وفيها تحقق الحفاظ على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث .

(٢) ص ٩٥ ج ٣ من سير أعلام النبلاء للذهبي .

قول الشافعي :

وروى أبو الفدا عن الشافعي أنه أسر إلى الربيع ، أن لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم : معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد .

قول الحسن فيه :

وإليك كلمة جامعة في معاوية قالها الحسن البصري :

روى الطبري أن الحسن كان يقول : «أربع خصال كن في معاوية ، ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلاف ابنه بعده سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ويضرب الطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حُجراً وأصحابه ، ويل له من حُجر وأصحابه ! ويل له من حُجر وأصحابه» .

وكان السبب في قتل حجر بن عدي أنه كان يرد على المغيرة بن شعبة عامل معاوية على الكوفة شتائمه لعليّ رضي الله عنه ، وكان معاوية قد أمر ولاته وعماله ـ كما بينا ـ بشتم عليّ رضي الله عنه وعيب أصحابه وإقصائهم ، ووقع بينه وبين المغيرة كذلك ما وقع بسبب إنكاره على فعلاته . ثم فعل حجر مثل ذلك مع زياد الذي تولى الكوفة بعد المغيرة[1] ، فكبر على زياد أن يعارضه أحد ، فأمر بسجنه ومعه أحد عشر من أصحابه وادعى أنه شتم الخليفة ! ودعا إلى حربه ! وأتى بشهود يؤيدونه في قوله ، ثم أرسله هو

---

(١) مما أثار كامن الغضب عند زياد من حجر أنه خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر : الصلاة ! فمضى في خطبته ، فقال : الصلاة ! فمضى في خطبته ، فلما خشي حجر بن عدي فوت الصلاة ، ضرب بيده إلى كف من حصى وقام إلى الصلاة ، وقام الناس معه . فكتب زياد بذلك وغيره مما افتراه عليه إلى معاوية فأجابه معاوية : ليشدّ بالحديد هو ومن معه ويرسل إليه فشدوا في الحديد وحملوا إلى معاوية ففعل بهم ما فعل مما بيناه .

وإخوانه إلى معاوية ـ وعلى أن شريحاً قد شهد بأن حجراً يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأنه حرام الدم والمال ، فإن معاوية لم يستمع لشهادة شريح وبعث إلى مَن مع حجر يعرض عليهم البراءة من علي واللعن له وإلا قتلهم ! فقالوا لسنا على ذلك ، فحفروا لهم القبور وأحضرت الأكفان ، وقام حجر وأصحابه للصلاة عامة الليل فلما كان الغد قدموهم فقتلوهم ، ومما قاله معاوية لأحدهم : يا أخا ربيعة ما تقول في عليّ ؟ فقال له : دعني ! لا تسألني فهو خير لك ، قال : والله لا أدعك ! قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الآمرين بالحق ، والقائمين بالقسط والعافين عن الناس ، قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق . قال : قتلت نفسك ! قال : بل إياك قتلت ! فأمر بقتله شر قتلة ، فدفن حيّاً .

وفي الإستيعاب لابن عبد البر وأسد الغابة ، أن حجراً قال لمن حضره من أهله ، لا تنزعوا عني حديداً ، ولا تغسلوا عني دماً ، فإني لاقٍ معاوية على الجادة ، رضي الله عن حجر وإخوان حُجر .

وهو حجر بن عدي الكندي الملقب بحجر الخير ـ كان من فضلاء الصحابة وفد على النبي وشهد القادسية[1] .

معاوية وكيف كان يحكم

لما كان معاوية على ما وصفنا ، وأن أئمة السنة والشيعة قد أجمعوا على أنه كان باغياً على أمير المؤمنين المرتضى عليّ ، وترتب على بغيه عليه سفك دماء غزيرة ، وفتن ومعاص كثيرة ، لم يخلص المسلمون من شرها إلى هذا اليوم ، والظاهر أنها ستبقى إلى يوم القيامة[2] ، وأنه أول من هدم ركن الشورى في الإسلام[3] وبايع لابنه يزيد بالقوة والجبروت ـ لما كان كذلك كله

---

(١) راجع الطبري في حوادث سنة ٥١ وابن الأثير ص ٢٠٢ ـ ٢٠٩ ج ٣ وابن عساكر ص ٣٧٩ ج ٢ .

(٢) ص ٥٤٠ ج ٢٧ مجلة المنار للسيد رشيد رضا .

(٣) قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين ـ وفيهم أحد شرفاء مكة : =

فقد اضطر إلى تأييد ملكه بضروب الرهبة والرغبة[1] فمن عارضه أو وقف في سبيله ، أرداه ونكل به ، إن بالسم ، كما فعل بالحسن وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبدالرحمٰن بن خالد بن الوليد ، والأشتر النخعي[2] وغيرهم ممن لا يمكن إحصاؤهم كما بيناه آنفاً ، وكل هؤلاء قد ماتوا بالسم ، أو بالقتل كما فعل بحجر بن عدي ومن معه ، ومن أرضاه ورضي به وبحكمه وناصره على بغيه ، أغدق له من نواله ورفع عن مقامه، كما صنع مع أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم .

معاوية يهدم بناء الحكم الاسلامي الصحيح :

وما اقترفه معاوية ودولته من بغض وعصيان وفتن لم يقف وصفه في المشرق فحسب ، بل امتد إلى ما وراءه من بلاد المغرب ، وإليك كلمة حكيمة للفيلسوف ابن رشد الحفيد وهي لا تحتاج إلى شرح أو تفسير .

قال هذا الفيلسوف الكبير وهو يتكلم عن الحكم والسياسة :

= إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا «برلين» فقيل له : لماذا ؟ قال لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله ، وإذن لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عرباً مسلمين (ص ٢٣٢ الوحي المحمدي) .

(١) لما اجتمع الناس لبيعة يزيد في حضور معاوية قامت الخطباء رغم إظهار الكراهة من القوم . فقام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبراً ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار بيده إلى معاوية ، فإن مات فهذا ، وأشار بيده إلى يزيد ! فمن أبى فهذا ! وأشار بيده إلى سيفه ! فقال له معاوية : أنت سيد الخطباء (ص ٣٠٠ ج ١ من البيان والتبيين) . ومن العجيب أنه رغم ذلك كله يظهر في دهرنا هذا حشوي ناصبي يغرق في تعصبه لمعاوية ويصفه بأنه «المهدي» وأنه كان لأهل الشام كالإمام مالك لأهل المدينة ! ويروي فيه حديثاً لا أصل له وهو «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ، وأدخله الجنة !» ثم يقول : إن من لم يصدق بهذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت في السنة من شريعة الإسلام ! وقال كذلك إن قواد معاوية وكبار صحابته كانوا يستهدون ملابسه للتبرك بها !

(٢) الذي ولاه عليّ على مصر ، وقال فيه عمرو كلمته المشهورة إن لله جنوداً من عسل ، وكان سمه من عسل ! .

«إن أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح فكأنما وصف أفلاطون حكومتهم لما وصف في (جمهوريته) الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب أن تكون مثالاً لجميع الحكومات ، **ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم ، وأقام مكانه دولة بني أمية وسلطانها الشديد ، ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتى في** بلادنا هذه (الأندلس)»[1] .

هذا ما قاله الفيلسوف ابن رشد في معاوية ودولته ، وفي هامش صفحة ٢٠١ التي مضت قول أحد كبار علماء الألمان في أن معاوية هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديموقراطية إلى عصبية .. إلخ . وقال سفيان الثوري : الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما سوى ذلك فهم منتزون (أي متغلبون)[2] .

وقال الدكتور أحمد أمين وهو يتكلم عن الحكم الاموي :

«فالحق أن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلاميّاً ؛ يسوى فيه بين الناس ، ويكافأ فيه من أحسن عربيّاً كان أو مولى ، ويعاقب فيه من أجرم عربيّاً كان أو مولى ، ولم يكن الحكام فيه خدمة للرعية على السواء ، إنما كان الحكم حكماً عربيّاً ، والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم ، كانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية ، فكان الحق والباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل ، فالعمل حق إذا صدر عن عربي من قبيلة ! وهو باطلٌ إذا صدر عن مولى أو عربي من قبيلة أخرى[3] .

معاوية في ميزان العقاد :

وإذا بلغنا إلى هنا من الكلام عن معاوية وكيف كان يحكم ، فإنا نردف

---

(١) ص ٦٠ من كتاب ابن رشد وفلسفته لفرح أنطون وقد توفي ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ سنة ١١٩٨ م .

(٢) ص ١٨٥ . ج ٢ جامع بيان العلم وفضله .

(٣) ص ٢٧ ج ١ ضحى الإسلام .

ما قلناه بكلمات وجيزة اقتطفناها من كتاب «معاوية في الميزان» ، للكاتب العالم الأستاذ عباس محمود العقاد ، لا لنؤيد بها ما قلناه ، وإنما لنبين أن ما نقوله هو الحق الذي لا يماري فيه إلا جهول أو ذو هوى ، أو متعصب ، وقد جئنا بهذه الكلمات كما جئنا من قبل بكلمات أخرى لنصير العلم والحرية العلامة الدكتور طه حسين ليكون من ذلك كله ميسم خزي وفضيحة للذين لا يفتأون يحصبوننا بالتشيع واتباع الهوى !

على أن ما كتبناه هنا ، وما نقلناه عن غيرنا في وصف معاوية لم يكن إلا ذرواً قليلاً من أعماله التي سجّلها التاريخ الإسلامي على صفحاته مما لم يسجل مثله لأحد غيره .

ولو أن كتابنا هذا قد كسر على تاريخ معاوية خاصة وما يحمل من قبائح لاستكثرنا من الشواهد والأدلة ، فيرجع إليها في مظانها .

قال العقاد وهو يتكلم عن ناحية من سياسته ، وهي ناحية التفريق بين الناس :

. . . كانت له حيلته التي كرّرها وأتقنها وبرع فيها واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين ، وكان قوام تلك الحيلة ، العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه ، بإلقاء الشبهات بينهم ، وإثارة الإحن فيهم ، ومنهم من كانوا من أهل بيته وذوي قرباه ، كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق ، وكان التنافس (الفطري) بين ذوي الأخطار مما يعينه على الإيقاع بينهم[1] .

ومضى معاوية على هذه الخطة التي لا تتطلب من صاحبها حظّاً كبيراً من الحيلة والروية ـ فلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل ! ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات ، ولكن العبرة لقارىء التاريخ في زنة

---

(١) ص ٦٤ .

لأعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمي عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة !) لأنه فرق الأمة شيعاً ، فلا تعرف كيف تتفق إذا حاولت الإتفاق، وما لبث أن تركها بعده تختلف في عهد كل خليفة شيعاً شيعاً بين ولاة العهود[١] .

وليس أضل ضلالاً ، ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سمّوا سنة (أحد وأربعين هجرية) بعام الجماعة لأنها السنة التي استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها ، لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت في تلك السنة ، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها ؛ إذ كانت خطة معاوية في الأمن والتأمين قائمة على فكرة واحدة وهي التفرقة بين الجميع ، وسيان سكنوا عن رضا منهم بالحال ، أو سكنوا عجزاً منهم عن السخط والاعتراض ، وكان سكونهم سكون أيام أو كان سكون الأعمار والأعوام[٢] .

وعلل العقاد جميع أعمال معاوية بعلة : المصلحة الذاتية ، أو مصلحة الأسرة والعشيرة[٣] .

وأرجع العقاد ذلك إلى حكم الوراثة فقال :

تميزت لبني أمية في الجاهلية وصدر الإسلام خلائق عامة يوشك أن تسمى ـ لعمومها بينهم ـ خلائق أموية ، وهي تقابل ما نسميه في عصرنا بالخلائق الدنيوية أو النفعية ، ويراد بها أن المرء يؤثر لنفسه ولذويه ولا يؤثر عليها وعليهم في مواطن الإيثار[٤] .

الذين يزيفون التاريخ :

ثم التفت العقاد إلى الذين يزيفون التاريخ فقرعهم بهذا التقريع الأليم فقال :

---

(١) ص ٦٦ .
(٢) ص ١٨٨ و١٨٩ .
(٣) ص ٢٦ .
(٤) ص ١١٩ .

. . وإنما المحنة الشائعة من أولئك النهازين المتطوعين الذين يقبلون العملة الزائفة ، ويرفضون ما عداها ، **ويجاهدون من يكشف هذا الزيف ويقومه بقيمته الصحيحة** ، ثم تكثر العملة الزائفة في الأيدي حتى يوشك أن تطرد العملة الصحيحة وتحيطها بالريبة والحذر ، ولا ينفع المحك الناقد في هذه الحالة ، لأن المحك الناقد لم يسلم قبلها من التزييف[1] .

وبعد أن تكلم عن الذين يزيفون تاريخ معاوية ، وبيّن حرصهم على مطاوعة أهوائهم ، كأنهم من صنائع الدولة في إبان سلطانها ، وبين عطاياها المغدقة ، قال :

ولولا أننا نأبى أن نضرب الأمثلة بالأسماء لذكرنا من هؤلاء المؤرخين المعاصرين من يتكلم في هذا التاريخ كلاماً ينضح بالغرض ويشف عن المحاباة بغير حجة[2] .

وهؤلاء الذين أومأ إليهم العقاد ولم يفصح عن أسمائهم ، نستطيع أن نذكر منهم جماعة في الشام من حفدة الأمويين ، منهم : مصطفى السباعي ، ومحمد دروزة ، ومعروف الدواليبي ، ولهم ضريب جالية يقيم بمصر إسمه محب الدين الخطيب وهو من أسماء الأضداد !

ولعلهم ـ وأمثالهم ـ يفيئون إلى الحق ولا يتهمون طه حسين والعقاد وابن رشد بما اتهمونا به ـ عندما جهرنا بالحق في أمر معاوية ودولته ـ من أن عندهما (عقدة أو عقيدة الشيعية) ! وأنهما عميلان لأمريكا أو يخدمان المستشرقين !

* * *

حسبنا ما قدمنا من أدلة على بيان حقيقة أمر معاوية وكيف كان يحكم ، وما جناه حكمه الظالم على الناس وعلى الإسلام إلى يوم القيامة . وكان لنا

---

(١) ص ١٥ .

(٢) ص ٢٠ من كتاب معاوية في الميزان .

أن نجتزىء بما دون ذلك من بيان ، لأن كتابنا لم يفرد لتاريخ هذا الملك الباغي ، ولكنا اضطررنا إلى شيء من الإطالة والاستطراد ، لأنه لما يزل يوجد أناس في عصرنا تحطب في حبله ، وتماري في بغيه وظلمه ، وتتبجح بالقول بأن دولته كانت (أعظم دولة عرفها الإسلام) ، وإذا نهض منصف ليبين شيئاً من صحيح تاريخه تصدّوا له بالشتم والسب ووصفوه بأنه (شيعي) والتشيع في رأي هذه الفئة الحمقاء نبز لقوم ليسوا بمسلمين . .

الناس مع معاوية :

إن قيام الدولة الأموية على ما بيناه من قبل قد جعل الناس مع معاوية على ثلاثة أقسام :

قسم : أحب الهدى والحق لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يبالي في سبيل الحق ونصرته شيئاً . وهؤلاء قد أدوا حق الصحبة النبوية على أكمل ما يكون الأداء .

وقسم : آثر السلامة وعطل فريضة مقاتلة الباغي والأخذ على يده ، وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمر الله ـ ومن هذا القسم عبدالله بن عمر[1] ، ومحمد بن مسلمة وعبدالله بن سلام ـ وغيرهم ـ وهؤلاء الثلاثة لم يبايعوا عليّاً .

وقسم : رضي الضلال والباطل وتشيع له واتبع ما يهوى وما يريد فناصروه وأيدوه ضد عليّ رضي الله عنه ، إن برواية أحاديث يرفعونها إلى النبي تشيد بذكره وذكر قومه وتحط من قدر عليّ ! ومن هذا القسم أبو هريرة ، إن بذلك أو بغيره من عُدد النصرة الكيدية والحربية ، ومن هذا القسم : عمرو بن العاص وابنه عبدالله بن عمرو[2] ـ والمغيرة بن شعبة ، وأبو

---

(١) عن عبد الله بن حبيب ، أن عبد الله بن عمر قال حين حضرته الوفاة : ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ رضي الله عنه ـ ص ٣٧١ ج ١ من الاستيعاب لابن عبد البر وص ٢٢٩ ج ٣ أسد الغابة .

(٢) عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو كان يقول : ما لي ولصفين (وهي التي كانت=

موسى الأشعري ويعلى بـن أمية[1] وغيرهم ، ولكـل من هؤلاء جميعاً غـرض يسعى له ، ويرمي إليه .

ولنـذكـر بعض من كـانـوا من القسم الأول ، الـذين قـامـوا بحق الأمـر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر ، أمـا الــذين حـاربــوا بسيـوفهم فهم فـوق الإحصاء .

عبادة بن الصامت :

فمن الأجلاء الذين أنكـروا على معاويـة وسخطوا عليـه ، وهو في أوج

= بين عليّ رضي الله عنه وبين معاويـة) ، ولقتال المسلمين ! والله لـوددت أني مت قبل هـذا بعشر سنين ، ولـوددت أني لم أحضر شيئاً منها وأستغفـر الله عزّ وجـل من ذلك وأتوب إليه ـ وكانت بيده «الـراية» في هـذه الوقعـة وندم نـدامة شـديدة على قتـاله مـع معاوية . وجعـل يستغفر ويتـوب ص ٣٨٢ و٣٨٣ من الاستيعاب وص ٢٣٤ ج ٣ أسـد الغابة ، وفي هـذه الصفحة والتي بعـدها (٢٣٥) من هـذا الجزء أن الحسين مـرّ على حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو فسلم فرد القوم السلام وسكت عبـدالله حتى فرغوا ثم رفع صوته وقال : وعليـك السلام ورحمـة الله وبركـاته ، ثم أقبـل على القوم وقال : ألا أخبركم بأحب أهـل الأرض إلى أهل السمـاء ؟ قالـوا : بلى ، قال : هو هذا الماشي ، ما كلمني كلمـة منذ ليـالي صفين ! ولأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم ، فقال أبو سعيد . ألا تعتذر إليـه ؟ قال : بلى ؛ وتـواعدا أن يفدوا إليه ، فلما أتياه استأذن أبو سعيد فأذن له فدخل ، ثم استأذن لعبدالله فلم يزل به حتى أذن له فلما دخـل أخبر أبـو سعيد الحسين بمـا جرى قبـل ذلك فقـال الحسين : أعلمت يـا أبـا عبـدالله أني أحب أهـل الأرض إلى أهــل السمـاء ؟ قــال : إي ورب الكعبة . قال فما حملك على أن تقاتلني وأبي يوم صفين ؟ فوالله لأبي كـان خيراً مني ! قال : أجل ولكن أبي أقسم علي ـ وكان الرسول قد أمـرني بطاعتـه فخرجت، أما والله ما اخترطت سيفاً ، ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم .

(١) يعلى بـن أمية أسلم يوم الفتـح وشهد حنينـاً والطائف وتبـوك استعمله عمر على بعض اليمن فحمى لنفسه حمى فاستدعاه عمـر فمات قبـل أن يصل إليـه وكان ذا نـزلة عنـد عثمان ومن أجل ذلك استعمله على صنعاء ، ولما قتل عثمان كان من الـذين يطالبـون بـدم عثمان : وأعـان الزبيـر في محاربـة علي بأربعمـائـة ألف ، وسبعين من قـريش ـ واشترى لعائشة الجمل الذي ركبته في حـرب الجمل ثم شهـد وقعة الجمـل ، وجمل عائشة يقال له عسكر اشتراه يعلى بثمانين ديناراً .

سلطانه (عبادة بن الصامت) الخزرجي أحد نقباء الأنصار .

كان معه يوماً فقام خطيب يمدح معاوية ويثني عليه ، فقام عبادة بتراب في يده فحثاه في فم الخطيب ! فغضب معاوية ، فقال له عبادة : إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله بالعقبة ، وكان من هذه البيعة ، أن نقوم بالحق حيث كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم ، وقال رسول الله : إذا رأيتم المداحين فأحثوا في وجوههم التراب .

ولمّا اشتد غضب معاوية على عبادة رحله إلى عثمان ، وقال : إنه أفسد الشام : وقال عبادة لعثمان لما رحله إليه معاوية : سمعت رسول الله يقول : سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون ! فلا طاعة لمن عصى ، ولا تضلوا بربكم .

وفي رواية لابن عساكر أنه قال لعثمان بعد ذلك : فوالله الذي نفس عبادة بيده ، إن فلاناً (يعني معاوية) لمن أولئك . فما راجعه عثمان بحرف .

وكان يقول ـ وهو بالمدينة : تستعمل الصبيان وتقرب أولاد الطلقاء .

هذا ما فعله عثمان بعبادة ، فانظر البون البعيد بين عمر وبين عثمان فإن عبادة هذا عندما أنكر على معاوية في عهد عمر وقال لمعاوية : لا أساكنك بأرض ، ورحل إلى المدينة قال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره بأفعال معاويةَ ، فقال له عمر : إرحل إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك ، فلا إمرة له عليك[1] .

ولعبادة هذا موقف آخر سنبينه لك قريباً .

وممن أنكروا على معاوية كذلك ، أبو ذر الغفاري الذي قال فيه النبي «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» .
أنكر على عثمان أن يعطي مروان بن الحكم والحرث بن الحكم ، وزيد بن ثابت الأنصاري ما أعطاهم من مئات الألوف من الدراهم ، وتلا قول

(١) ص ٢ ج ٢ من أعلام النبلاء للذهبي .

الله ﴿والـذين يكنزونَ الـذهبَ والفضةَ ولا ينفقـونهـا في سبيـلِ الله فبشـرهم بعذابٍ أليم﴾ .

وجرت بينه وبين عثمان محاورة في ذلـك فأمـر عثمان بـأن يلحق بالشام فلم يلبث هناك بعدما رأى من فعلات معـاوية مـا رأى ! أن ينكر عليـه ، فأراد معاوية أن يقطع لسانه بثلثمائة دينار ! فكـان جوابـه ، إن كان هـذا من عطائي قبلتها ، وإن كانت جُعلة فلا حاجة لي فيها !

ولما بنى معاوية قصر (الخضراء) بدمشق قـال له : يـا معاويـة إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهذا هو الإسراف ، وكان يقول : والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ! والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله إني لأرى حقّاً يطفأ وباطلاً يحيا ، وصادقاً يكذب ، وأثرة بغير تقى .

وكان الناس يجتمعون عليه ، فنادى معاوية ، أن لا يجالسه أحد .

ولمـا اشتد إنكـاره عليـه كتب إلى عثمـان : أن أبـا ذر قـد أفسـد عليّ الشـام ! فكتب عثمـان إلى معـاويـة : إحمـل جنـدبـاً[1] على أغلظ مـركب وأوعره ، فوجه معاوية من سار به الليل والنهـار ، ولـم يكد يصـل إلى المدينـة حتى تسلخت أفخاذه وكاد يهلك ، ولما قابل عثمان وذكر له ما يفعله معاوية ، أمر بتسييره إلى الـربذة[2] ، فلم يـزل بها حتى مـات سنة ٣١ ـ ٣٢ رضي الله عنه وأرضاه .

ودخل سعد بن أبي وقاص على معاويـة فلم يسلم عليه بـالإمرة ! فقـال معـاوية : لـو شئت أن تقول غيـرها لقلت ! قـال سعد : فنحن المؤمنـون ولم نؤمـرك ، فإنـك معجب بما أنت فيـه ، والله مـا يسـرني أني على الـذي أنت عليه ، وأني هرقت عليه محجمة دم[3] .

---

(١) هو أبو ذر .

(٢) الربذة قرية على نحو ثلاثة أيام جهة شرق المدينة على طريق حاج العراق وبها قبر أبي ذر .

(٣) ص ٨٢ ج ١ أعلام النبلاء .

قيس بن سعد مع معاوية :

وأرسل قيس بن سعد إلى معاوية كتاباً قال فيه :

أما بعد فإنك وثن ابن وثن ، دخلت الإسلام كرهاً ، وخرجت منه طوعاً . . ولم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفاقك[1] .

وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي ، أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص : ما يمنعك أن تسب أبا تراب ! فقال : أما ذكرت ثلاثاً ، قالهن له رسول الله فلن أسبه ، لأن تكون لي واحدة منها ، أحب إليّ من حُمر النعم : سمعت رسول الله يقول له ، وقد خلفه في بعض مغازيه ، وهي تبوك فقال له علي : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتطاولنا لها ، فقال : ادعوا لي عليّاً فأُتي به أرمد ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ، ولما نزل : ﴿**قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** . . .﴾ الآية ، دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال : «اللهم هؤلاء أهلي» وذلك بعد أن أدار عليهم الكساء رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم .

ولما قدم معاوية المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري[2] فقال له معاوية : تلقاني الناس كلهم غيركم معشر الأنصار ، ما منعكم؟ قال لم يكن معنا دواب . فقال معاوية : فأين النواضح ؟ قال أبو قتادة : عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر !! قال : نعم يا أبا قتادة . ومما قاله أبو قتادة لمعاوية يومئذٍ إن رسول الله قال لنا : إنا نرى بعده أثرة ، قال معاوية : فما أمركم عند ذلك ؟ قال : أمرنا بالصبر ، فقال : اصبروا حتى تلقوه !!

وكان الحكم بن عمرو الغفاري[3] ـ وكان يقال له الحكم بن الأقرع

---

(١) ٨٧ ج ٢ البيان والتبيين للجاحظ .

(٢) ص١٦١ ج ١ الاستيعاب ـ طبع الهند .

(٣) ص ١١٦ ج ١ من نفس المصدر .

والياً من قبل زياد على خراسان فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين معاوية كتب إلي ، أن يصطفى له الصفراء والبيضاء[1] فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة ، فكتب إليه الحكم : بلغني أن أمير المؤمنين كتب : أن يصطفى له البيضاء والصفراء وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ! وإنه والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له مخرجاً ، والسلام عليكم ، ثم قال للناس اغدوا على مالكم ، فغدوا فقسمه بينهم ، وقال الحكم : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فمات بخراسان (بمرض) رحمه الله ورضي عنه وهكذا يكون الرجال .

وقال معاوية لأسامة بن زيد : رحم الله أم أيمن كأني أرى ساقيها ، وكأنهما ساقا نعامة ، فقال أسامة : كانت والله خيراً من هند (أم معاوية) وأكرم ، فقال معاوية : وأكرم أيضاً ؟ فقال : نعم ، قال الله عزّ وجل : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**[2]﴾ .

بين الأحنف ومعاوية :

قام رجل من أهل الشام خطيباً بين يدي معاوية ومعه وجوه الناس فكان آخر كلامه أن لعن عليّاً ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا القائل ما قال آنفاً لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ! فاتق الله ودع عنك عليّاً ، فلقد لقي ربه ، وأُفرد في قبره ، وخلا بعمله ، وكان والله ما علمنا المبرز بسبقه ، الطاهر خلقه ، الميمون نقيبته ، العظيم مصيبته ؛ فقال له معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وايم الله لتصعدن المنبر فلتلعننّه طوعاً أو كرهاً ؛ فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ، إن تعفني فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري به شفتاي أبداً ؛ فقال : قم فاصعد المنبر ، قال الأحنف أما والله ـ مع ذلك ـ لأنصفنك في القول والفعل ؛ قال :

---

(١) أي الذهب والفضة .

(٢) ص ٤٧٥ ج ١ أنساب الأشراف للبلاذري وأم أيمن هي خادمة النبي وأم أسامة .

وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني ؟ قال : أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على نبيه (ص) ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ، وإن علياً ومعاوية اختلفا فاقتتلا ، وادعى كل واحد منهما أنه بغي عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ، ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ، والعن الفئة الباغية ، اللهم العنهم لعناً كثيراً ، أمنوا رحمكم الله ؛ يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي . فغُص معاوية بريقه وقال : إذن نُعفيك يا أبا بحر[١] .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : ما أحلم معاوية ! فقال : لو كان حليماً ما سفه الحق[٢] .

وكتب سعيد بن العاص إلى عثمان ، وكان والياً من قبله على الكوفة : إني لا أملك من الكوفة مع الأشتر (النخعي) وأصحابه الذين يُدعون القراء ، وهم السفهاء ، شيئاً ، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام ، فخرج المسيرون من قراء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق فبرهم معاوية وأكرمهم ، ثم إنه جرى بينه وبين الأشتر قول حتى تغالظا ، فحبسه ثم أخرجه من الحبس ، ولما بلغه أن قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه ، كتب إلى عثمان : إنك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوا ، ولا آمن أن يفسدوا طاعة مَن قبلي ، ويعلمونهم ما لا يجدونه حتى تعود سلامتهم غائلة واستقامتهم اعوجاجاً[٣] .

وروى المسعودي في مروج الذهب ، أن معاوية حبس صعصعة بن

---

(١) ص ٢٨ و٢٩ ج ٤ من العقد الفريد . وكان الأحنف ذات يوم مع معاوية في بيته فجرى بينهما كلام اشتد فيه الأحنف مع معاوية ولم يباله فعجبت ابنة لمعاوية مما قاله الأحنف ـ وكانت تسمع كلامهما من وراء الستر . فلما نهض الأحنف سألت أباها كيف تصبر على مثل ما سمعت من هذا الأعرابي ؟ فقال لها : يا بنية إنه سيد بني تميم إذا غضب ، غضب معه مائة ألف لا يسألونه لم غضب ؟

(٢) ص ٢٩٨ ج ١ أمالي المرتضى .

(٣) ص ٣٩ وما بعدها ج ٥ الأنساب .

صوحان العبدي وعبدالله بن الكواء اليشكري ورجالاً من أصحاب علي مع رجال من قريش فدخل عليهم يوماً فقال : ناشدتكم الله إلا ما قلتم حقّاً وصدقاً ، أي الخلفاء رأيتموني ؟

فقال ابن الكواء : لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ! لأنك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الأخيار ، ولكنا نقول : إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات . وبعد محاورة طويلة مع ابن الكواء تكلم صعصعة فقال : تكلمت يابن أبي سفيان فأبلغت وليس الأمر على ما ذكرت ! أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً ، أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى ، ولقد كنتَ أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله (ص) وإنما أنت طليق ابن طليق ، أطلقكما رسول الله (ص) فأنى تصلح الخلافة لطليق ، فقال معاوية ، لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم[1] .

وقدم أبو أيوب الأنصاري على معاوية فأجلسه على السرير وحادثه وقال : يا أبا أيوب : من قتل صاحب الفرس البلقاء التي جعلت تجول يوم كذا وكذا ! قال : أنا إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر معكما لواء الكفر ، فنكس رأسه وتَنَمَّر أهل الشام وتكلموا ، فقال معاوية : مه أو قال : ما نحن عن هذا سألناك !

ودخل عليه مرة فقال له : صدق رسول الله سمعته يقول : يا معشر الأنصار إنكم سترون أثرة فاصبروا ، ولما عاده ابنه يزيد وهو في الحبس قال له : هل لك من حاجة ؟ قال : ما ازددت عنك وعن أبيك إلا غنى[2] .

---

(١) راجع الجزء الثالث من مروج الذهب .
(٢) ص ٢٩٤ و٢٩٥ ج ٢ سير الأعلام .

المسور بن مخرمة مع معاوية :

روى ابن شهاب عن حميد بن عبدالرحمٰن قال : أخبرني المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية ، قال : فلما دخلتُ سلمت ، فقال : ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور ؟

قال ، قلت : دعنا من هذا ، وأحسن فيما قدمنا له ! قال : والله لتكلمني بذات نفسك ؟ قال : فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا بينته له فقال : لا أتبرأ من الذنوب ! فما لك يا مسور ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفرها الله لك ؟

ملحة :

قال معاوية لعمرو بن العاص : هل غششتني مذ نصحتني ؟ قال : لا ، قال : بلى ، يوم أشرت علي بمبارزة عليّ ، وأنت تعلم من هو ! فقال عمرو : دعاك رجل عظيم الخطر إلى المبارزة ، فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين ! أما إن قتلته ، فقد قتلت قتال الأقران ، وازددت شرفاً إلى شرفك ، وخلوت بملكك ، وأما إن قُتِلت فتتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين : قال معاوية : لَهذه أشد عليّ من الأولى ، فقال عمرو ؛ أفكنت من جهادك في شك فتكون منه الساعة ! قال : دعني منك الآن[1] .

وكان علي رضي الله عنه قد طلب من معاوية أن يبارزه فخنس وجبن وقد عيروه بذلك ، ولكن ماذا يصنع وهو أعلم بنفسه من غيره .

ولا نمضي في هذا الباب لأن الأمثلة كثيرة جدّاً تملأ كتباً ، إن من الرجال وإن من النساء الفضليات ، مثل سودة بنت عمارة الهمدانية ، وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي ، وأم سنان بنت خيثمة ، وعكرشة بنت الأطرش ، وما لا يحصى عددهن .

* * *

---

(١) ص ٢٩١ و٢٩٢ ج ١ من أمالي المرتضى .

وبعد ذلك نأخذ في بيان القسم الثالث الذي صانع معاوية وأعانه . ومن كبار هذا القسم ـ كما ذكرنا ـ المغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، وقد كانا من كبار دهاة العرب وشجعانها ، وقد نال كل منهما مأربه من معاوية .

فأما المغيرة بن شعبة فقد ولّاه معاوية على الكوفة وكان من وصيته له :

قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة ! لا تترك شتم عليّ وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم . . . إلخ[1] . وظل المغيرة سبع سنين وأشهراً في الكوفة لا يدع شتم عليّ والوقوع فيه والنيل منه .

وأما عمرو بن العاص فقد استطاع أن ينتزع حقه في ولايته على مصر ، فإنه بعد أن افتتحها بشجاعته وحسن سياسته في عهد عمر بن الخطاب ولاه عمر عليها ، وجاء عثمان فعزله وولّى بدله عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وهو أخو عثمان في الرضاعة[2] .

ولقد كان من ضروب التأييد التي كان معاوية في حاجة شديدة إليها ، وضع أحاديث عن النبي (ص) تشيد بذكره وذكر قومه ، وتغض من قدر علي رضي الله عنه ، ومن أجل ذلك وضع نفراً من الصحابة وغيرهم ليقوموا بذلك وكان منهم أبو هريرة الذي ألفنا فيه هذا الكتاب .

قال أبو جعفر الإسكافي[3] رحمه الله : إن معاوية وضع قوماً من

---

(١) راجع حوادث سنة ٥١ هـ من الطبري ج ٦ ص ١٠٨ وابن الأثير ص ٢٠٢ ج ٣ . وصف كارل بروكلمان المغيرة بن شعبة بأنه رجل انتهازي لا ذمة له ولا ذمام ـ ص ١٤٥ ج ١ تاريخ الشعوب الإسلامية .

(٢) دخل عمرو بن العاص على عثمان بعد عزله وعليه جبة محشوة فقال له عثمان : ما حشو جبتك يا عمرو ؟ فقال : أنا ، قال : قد علمت أنك فيها ! ثم قال له : يا عمرو أشعرت أن اللقاح درت بعدك ألبانها ؟ فقال : لأنكم أعجفتم أولادها . فكنى عثمان عن خراج مصر باللقاح ، وكنى عمرو عن جور الوالي بإعجاف الأولاد .

(٣) ص ٣٥٨ ج ١ أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم (أبو هريرة) وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .

وروى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه قال : حدثتني عائشة قالت : كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ فقال : يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتي ! أو قال : ديني ! وروى عبد الرازق عن معمر قال : كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في عليّ ، والحديث الثاني زعم فيه أن عائشة حدثته قالت : كنت عند النبي إذ أقبل العباس وعليّ فقال : يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار ، فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب .

وأما عمرو بن العاص فقد أخرج له الشيخان هذا الحديث قال : سمعت رسول الله يقول : إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين .

أما أبو هريرة ، فلم يقف عند وضع أحاديث في الطعن في علي وإنما زاد في وضع أحاديث ترفع من شأن آل أبي العاص عامة ومعاوية خاصة ، وسترى ذلك قريباً .

هؤلاء بعض من ظاهروا معاوية بألسنتهم ورواياتهم التي نسبوها إلى النبي (ص) .

أما الذين ناصروا معاوية بسيوفهم فهم ألوف عديدة . ومنهم وأسفا من الصحابة[1] كثيرون .

---

(١) لكي يدرأوا التهم عن بعض الصحابة الذين فتنتهم الدنيا أوردوا حديثاً يقول : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ، وهذا الحديث لا أصل له ، ولهذا الحديث قصة جرت بيني وبين الناصبي محب الدين الخطيب فإنه عندما ظهر كتابي الأضواء واطلع فيه على فصل عدالة الصحابة قابلني غاضباً وقال : كيف تذكر ذلك =

ولنعد بعد ذلك إلى موضوعنا من بيان تشيع أبي هريرة لبني أمية بعد أن وطأنا له بما وطأنا . وقبل ذلك نقدم هذه الصفحة .

نشأة الاختراع في الرواية والوضع على رسول الله (ص) :

قبل أن نتكلم عن مناصرة أبي هريرة لمعاوية بما كان يقدم له من أحاديث يرفعها إلى النبي (ص) ، لا بد لنا أن نبين كيف كان أمر الرواية عن رسول الله في ذلك العهد وأنها كانت تصدر ممن يريدها بغير ضابط ولا قيد لا يخشى في ذلك شيئاً ، لأن أحاديث الرسول صلوات الله عليه ، لم يكن لها أصل محفوظ يرجع في تحقيقها وبيان صحتها إليه[1] .

أجمع الباحثون على أن نشأة الإختراع في الرواية ووضع الحديث على

= بعد أن قال فيهم النبي (ص) «أصحابي كالنجوم . . الحديث» فقلت له إنك قد أوردت هذا الحديث في تعليقاتك على كتاب (المنتقى) للذهبي ص ٧١ على أنه صحيح وقد طعنوا فيه ، ومن كبار الطاعنين ابن تيمية فاشتد غضبه وقال : في أي موضع هذا الطعن ؟ فقلت له في نفس كتابك (المنتقى) ! فكاد يتميز من الغيظ وقال : في أية صفحة قلت له في صفحة ٥٥١ وفيها يقول ابن تيمية «وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه» وما كاد يقرأ هذا الكلام الذي أثبته هو بنفسه في كتاب حققه ونشره بين الناس حتى بهت واصفر وجهه ، وقد قلت له قبل أن أغادر مجلسه ، إن كتاب المنتقى هذا سيسجل عليك هذا الجهل وهذه الوصمة إلى يوم القيامة . وبمناسبة التشيع لمعاوية والتقرب إليه برواية أحاديث مكذوبة على النبي (ص) ترفع من شأنه نسوق إليك حديثاً رواه مسلم في صحيحه !! معناه أن أبا سفيان بن حرب طلب من النبي (ص) أن يزوجه ابنته أم حبيبة وأن يجعل معاوية كاتباً بين يديه إلخ الحديث ، وقد ذكر أئمة الحديث أن هذا الحديث باطل بالإجماع لأن أبا سفيان قد دخل في الإسلام يوم فتح مكة بالإجماع ، أما ابنته أم حبيبة واسمها رملة ، فقد أسلمت قبل الهجرة وحسن إسلامها ، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة هرباً من أبيها ، وقد تزوجها رسول الله وأبوهاِ كافر ، ولما بلغه هذا الزواج قال كلمته المشهورة «ذلك الفحل لا يجدع أنفه» ص ١٦ من تفسير سورة الإخلاص لشيخ الحنابلة ابن تيمية والذي يلقب عند الجمهور بشيخ الإسلام . ويراجع كتابنا أضواء على السنة المحمدية للإطلاع على فصل عدالة الصحابة .

(١) قد فصلنا القول في أمر تدوين الحديث ومتى بدأ وما أصابه قبل التدوين وبعده في كتابنا (الأضواء) راجع الطبعة الثالثة منه .

رسول الله (ص) إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته ،ثم اتسع الاختراع واستفاض بعد مبايعة علي رضوان الله عليه ، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة ، حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغتصب الحق من صاحبه ويجعلها أموية . وإليك كلمة صادقة دقيقة كتبها الأستاذ الإمام محمد عبده في مقدمة رسالة التوحيد ، وذلك بعد أن تكلم عن الفتنة الكبرى التي «هوى فيها ركن عظيم من هيكل الخلافة واصطدم الإسلام وأهله صدمة زحزحتهم عن الطريق التي استقاموا عليها» ، قال رضي الله عنه :

«توالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع[1] ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين ! غير أن بناء الجماعة قد انصدع ، وانفصمت عرى الوحدة بينهم ، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة ، وأخذ الأحزاب في تأييد آرائهم ، كل ينصر رأيه على رأي خصمه بالقول والعمل ، **وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل ، وغلا كل قبيل فافترق الناس إلخ**»[2] .

وقال رضي الله عنه : لم يرزأ الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه ، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه ، فذلك ما جلب الفساد على عقول المسلمين وأساء ظنون غيرهم فيما بُني عليه الدين . .

وإن عموم البلوى بالأكاذيب حق على الناس بلاؤه في دولة الأمويين ! فكثر الناقلون ، وقل الصادقون ، وامتنع كثير من أجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه[3] .

ولقد كان من عموم البلوى بالأكاذيب الذي حقَّ على الناس بلاؤه في

---

(١) يشير إلى ما فعله طلحة والزبير من نقضهما البيعة .

(٢) ص ٧ و٨ من الطبعة الأولى .

(٣) ص ٣٤٧ ج ٢ تاريخ الأستاذ الإمام .

دولة الأمويين ـ وأشار إليه الأستاذ الإمام في كلامه ما صنعه معاوية لنفسه ـ بأن وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة[1] .

وقال الدكتور أحمد أمين في كلامه عن اتخاذ الحديث وسيلة للأغراض السياسية وغيرها وعن نفاق بعض المحدثين في كتابه ضحى الإسلام بالصفحة ١٢٣ من الجزء الثاني .

ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الأمويين ـ فعلاً قد وضعوا ، أو وضعت لهم أحاديث تخدم سياستهم من نواح متعددة ، منها أحاديث في زيادة مناقب عثمان ـ إذ كان هو الخليفة الأموي من الخلفاء الراشدين ، وهم به أكثر اتصالاً مثل حديث : إن عثمان تصدق بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في جيش العسرة فنزل رسول الله من على المنبر وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه ! ما على عثمان ما عمل بعد هذه ! . . وروى الطبري أن معاوية بن أبي سفيان لما ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه وقال له :

أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ، ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة ، لا تتحَمَّ ! (أي لا تتجنب) عن شتم عليّ وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب علي ، والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم . . .

فأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً وهو من أحسن شيء سيرة وأشده حبّاً للعافية ، غير أنه لا يدع ذم عليّ والوقوع فيه . . . الخ . . . ص ١٤١ ج د من الطبري .

---

(١) ص ١٧٦ من هذا الكتاب .

ولم يكتف معاوية بذلك بل أحدث (القصص) ليعزز به أسلحة الدعاية له ولم يكن معروفاً قبله ، فسخر الألوف لذلك وبثهم بين أرجاء البلاد ليقصّوا له ما يشدّ له دولته وما يحفظ به سلطانه ، بله ما ينشرون من خرافات وأباطيل مما جلب الفساد على عقول المسلمين ، وأساء ظنون غيرهم فيما بني عليه االدين ، كما ذكر ذلك الأستاذ الإمام .

معاوية هو الذي أحدث القصص

أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا : لم يقص في زمان النبي (ص) ولا في زمان أبي بكر ولا زمان عمر ، وإنما القصص مُحْدث ، أحدثه معاوية حتى كانت الفتنة[1] ، وقد فتح الباب للقصاص في المساجد والمحافل ليقصوا له ما يهواه .

وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن ابن عمر قال : لم يقص على عهد النبي (ص) ولا عهد أبي بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان ، إنما كان القصص حيث كانت الفتنة[2] .

وقال أبو قلابة : ما أمات العلم إلا القصاص ، وقال أحمد بن حنبل : أكذب الناس السؤال والقصاص[3] ، وأخرج العقيلي عن عاصم قال : كان أبو عبدالرحمٰن يقول : اتقوا القصاص !

وبين الدكتور أحمد أمين صورة هذا القصص فقال : القاص في المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصاً عن الأمم الأخرى وأساطير ونحو ذلك ، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب . قال الليث بن سعد «هما قصصان ، قصص العامة ، وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذي إليه النفر من الناس

---

(١) ص ٦٣ من كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص .
(٢) ص ٦٧ من نفس المصدر .
(٣) ص ٧٠ من نفس المصدر ويراجع كتابنا الأضواء للوقوف على مبلغ ضرر القصص والقصاص .

يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية ، ولّى رجلاً على القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عزّ وجل وحمده ومجّده وصلّى على النبي (ص) ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة[1] .

ولا بد أن نشير هنا إلى منبعين كبيرين لهؤلاء القصاص وأمثالهم تجد ذكرهما كثيراً في رواية القصص وفي التاريخ وفي الحديث وفي التفسير هما : وهب بن منبه وكعب الأحبار[2] .

هل كان معاوية من كتاب الوحي ؟

وهذه صفحة نختم بها الكلام هنا عن (الوضع الأموي) في السياسة والدين وهي تحمل مثلاً من هذا الوضع يقاس عليه . ذلك أنهم أرادوا أن يزدلفوا إلى معاوية فجعلوه من (كتاب الوحي) وأمعنوا في هذا الازدلاف ، فرووا أنه كتب آية الكرسي بقلم من ذهب جاء به جبريل هدية لمعاوية له من فوق العرش[3] ، وقد فشا هذا الخبر بين كثير من الناس على حين أنه في نفسه باطل ، تأباه البداهة ويدفع من صدره العقل ! إذ كيف يأمن النبي (ص) لمثل معاوية على أن يكتب له ما ينزل في القرآن ! وهو وأبوه وأمه ممن أسلموا كرهاً ، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم !

إن هذا مما لا يمكن أن يقبله العقل السليم ! وأما من ناحية النقل فإنه لم يأت فيه خبر صحيح يؤيده ، ولقد كان على الذين (وضعوا) هذا الخبر أن يسندوه ببرهان **يؤيده وذلك بأن يأتوا ولو بآية واحدة قد نزلت في القرآن** وكتبها معاوية !!

---

(١) نقل الدكتور أحمد أمين كلام الليث بن سعد عن خطط المقريزي جزء ٢ ص ٢٥٣ طبعة أميرية .

(٢) ص ١٩٦ و١٩٧ فجر الإسلام .

(٣) ص ٢٠١ من كتاب النصائح الكافية لابن عقيل العلوي .

على أننا لا نستبعد أن يكون قد كتب للنبي (ص) في بعض الأغراض التي لا تتصل بالوحي ، لأن هذا من الممكن ، أما أن يكتب شيئاً من القرآن فهذا من المستحيل . قال المدائني كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي (ص) فيما بينه وبين العرب[1] .

ومن العجيب أن يظل هذا الزعم الباطل يأخذ مكانه من بعض الأذهان في هذا العصر ويسلم به حتى في بعض الجامعات .

ففي ذات يوم كنت في زيارة الأستاذ الفاضل الدكتور عبدالجبار المطلبي المستشار الثقافي بالسفارة العراقية بمصر (سابقاً) فقال لي : هل لك إلى أن تشهد امتحاناً لأحد الطلبة العراقيين في رسالة قدمها إلى جامعة القاهرة لكي ينال عليها درجة دكتور في الأدب ـ موضوعها (بلاغة القرآن وإعجازه) فأغراني جلال الموضوع بأن أحضر هذا الامتحان ، وفي الموعد المحدد له التقيت بالدكتور عبدالجبار في قاعة الامتحان وكانت غاصة بالحضور ، وأخذت أستمع لما يقال من الطالب وممتحنيه في إنصات حتى انتهت المناقشة .

وقد بدت لي بعض ملاحظات مما جرى بين الطالب وأساتذته حفظتها كلها لنفسي ، ولكني لم أملك أن أسكت عن ملاحظتين على هذا الطالب ، وما لبثت أن واجهته بهما بمحضر من كانوا في القاعة جميعاً[2] .

---

(١) ص ١١٣ ج ٦ من الإصابة لابن حجر . وقبل ابن حجر ذكر الذهبي عن أبي الحسن الكوفي قال : كان زيد بن ثابت كاتب الوحي وكان معاوية كاتباً فيما بين النبي وبين العرب . ص ٨١ ج ٣ سير أعلام النبلاء .

(٢) خطر بذهني ـ بعدما رأيت ما رأيت في مناقشة هذه الرسالة ، وفي مناقشة رسالة أُخرى مثلها بجامعة الأزهر ـ عبارة قالها العقاد عندما طلب منه أن يتقدم إلى جامعة القاهرة لكي ينال منها لقباً علمياً رسمياً لأنه عار من الألقاب العلمية الرسمية والشأن في بلادنا إنما هو (للشهادة) لا للعلم ، حتى قالوا : شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة ـ فكان جوابه : دلوني أولاً على أسماء الذين سيتولون امتحاني لكي أعرفهم وأعرف مبلغهم من العلم ! وبعد ذلك أنظر في التقدم للامتحان أمامهم ! رحم الله العقاد ورحم من في طبقته ، أولئك الغر الميامين ، أئمة العلم والأدب المحققين .

إحداهما : أنه جعل معاوية من كتاب الوحي ، وقد سألته من أين جاء بهذا الخبر الذي لا يصح عند العلماء المحققين ؟

فقال : لقد نقلته عن ابن القيم ! وسكت !

والآخر : أنه لم يذكر كتاب (إعجاز القرآن للرافعي) بين المصادر التي رجع إليها في رسالته ، ولما سألته عن ذلك قال : إني لم أعرف هذا الكتاب !

وقد هالني هذا الجواب إذ كيف يفوت طالب يبحث في إعجاز القرآن وبلاغته أن يطلع على هذا المصدر العظيم وهو أقوى وأبلغ مصدر في موضوعه ، وكيف يقول إنه لم يطلع عليه ، وقد ذاعت شهرته بين جميع الآفاق الإسلامية ، وحسبه من الوصف أن قال فيه الزعيم الكبير سعد زغلول : «كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم» .

ومن الغريب أني لم أسمع من أحد من الممتحنين سؤالاً عن أمر معاوية وعلى أي دليل ارتكن عليه في إثبات أنه كان من كتاب الوحي! وكذلك لم يسألوه عن كتاب إعجاز القرآن للرافعي وكيف لا يذكره بين المصادر التي رجع إليها وكأنهم هم كذلك لا يعرفونه !

وإذا كان ما قاله هذا الطالب عن معاوية غريباً فإن جهله بكتاب الرافعي أغرب وأعجب ! ومن أجل ذلك لا يصح أن يؤاخذ بما يقع منه من خطأ ؛ وليترك في شفاعة الجهل الذي هو أكبر شفيع في هذا العصر ـ وسبحان الخلاق العظيم .

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة :

وكان معاوية أحد كتاب رسول الله (ص) ، واختلف في كتابته له كيف كانت ، فالذي عليه المحققون من أهل السير أن الوحي كان يكتبه عليّ عليه السلام ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وأن حنظلة بن الربيع التيمي ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ،

ويكتبان حوائجه بين يديه ، ويكتبان ماجبى من أموال الصدقات ، وما يقسم في أربابها[1] .

* * *

هذا بيان لبعض ما كان يتخذه معاوية من وسائل لدعم حكمه الباطل ، ولو أن كتابنا هذا قد كسر على إحصاء فعلاته وما اقترف في أيام حكمه لملأنا من ذلك أسفاراً .

ولنعد إلى الكلام في أبي هريرة وما قدم لتأييد الحكم الأموي ـ وهو موضوع كتابنا هذا .

تشيع أبي هريرة لمعاوية

علمت من تاريخ أبي هريرة الذي سقناه إليك أنه ـ كما صرح هو بلسانه ـ لم يصاحب النبي إلا على ملء بطنه ، وأنه لفقره قد اتخذ الصفة ملاذاً له يأكل فيها من فضلات الناس وصدقاتهم .

وقد ظل على فقره حياة النبي وعهد أبي بكر وعمر ـ إلى أن فشا له مال بعد أن تولى البحرين في أواخر عهد عمر ؛ ومن ثم أخذ يظهر بعد انزوائه ، ويبدو بين الناس بعد خفائه .

ولما شبت نيران الحرب بين عليّ رضي الله عنه ، وبين معاوية ، وإن شئت فقل ، لما انبعث الصراع بين الأموية والهاشمية ، بعد أن توارى فَرَقاً من القوة زمن النبي وأبي بكر وعمر ـ كما أوضحنا ذلك من قبل ـ وافترق المسلمون فرقاً كثيرة منذ أواخر عهد عثمان ـ مال أبو هريرة إلى الناحية التي يسكن إليها طبعه ، وتتفق مع هوى نفسه ، وهي ولا ريب ناحية معاوية ، إذ كانت تملك من أسباب السلطان والمال ، ومظاهر الترف والنعيم ، ما لا تملك بعضه ولا قليلاً منه ناحية عليّ ، التي ليس فيها إلا الفقر والجوع والزهد وما إلى ذلك مما شبع منه أبو هريرة ! فاتخذ سبيله إلى رحاب

(١) ص ٣٣٨ ج ١ .

معاوية ، ليشبع نهمه من ألوان موائده الشهية[٢] ، ويقضي وطره من رفده وصلاته وعطاياه السنية .

وإذا كان قد بلغ من فاقة أبي هريرة وجوعه أن يخر ـ كما أعرب هو عن نفسه مغشيّاً عليه[٢] من الجوع فهل تراه يدع دولة بني أمية ذات السلطان

---

(١) روى ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي في كتابه الفخري ص ٧٩ أن معاوية كان يأكل كل يوم خمس أكلات وآخرهن أغلظهن ثم يقول : يا غلام إرفع فوالله ما شبعت ، ولكني مللت ، وأنه أكل عجلاً مشوياً مع دشت من الخبز السميذ وأربع فرابي وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الألوان أما رواية ابن كثير في البداية والنهاية (ص ١١٩ ج ٨) فهي : أن معاوية كان يأكل في اليوم سبع أكلات بلحم ، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول : ما أشبع وإنما أعيا .

وقد كان عظيم العناية بأطايب الخوان ، وكان يأكل ويشرب في آنية الذهب والصحاف المرصعة بالجوهر .

وقد روى أحمد ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله قال له يوماً : إذهب فادع معاوية ، فذهبت فدعوته فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله فقلت : إنه يأكل ، فقال : إذهب فادعه ، فأتيته الثانية فقيل : إنه يأكل ، فأخبرته ، فقال في الثالثة : لا أشبع الله بطنه فما شبع بعدها ـ إذ قد استجيبت دعوة النبي فيه .

وإليك وصفاً لبعض طعام معاوية يرويه لك الأحنف بن قيس قال :

دخلت على معاوية فقدم لي من الحار والبارد والحلو والحامض ما كثر تعجبي منه ، ثم قدم لوناً لم أعرف ما هو ، فقلت : ما هذا ؟ فقال مصارين البط محشوة بالمخ قد قلي بدهن الفستق ، وذر عليه بالطبرزد(*) فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ قلت : ذكرت علياً ، بينا أنا عنده ، وحضر وقت الطعام وإفطاره وسألني المقام ، فجيء له بجراب مختوم ، فقلت : ما في هذا الجراب ؟ قال سويق شعير ، قلت : خفت عليه أن يؤخذ ؟ أم بخلت به ؟ فقال : لا ، ولا أحدهما ولكني خفت أن يلته الحسن والحسين بسمن أو زيت . فقلت : محرم هو يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا ، ولكن يجب على أئمة الحق أن يعدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلا يطغي الفقير فقره . فقال معاوية : ذكرت ما لا ينكر فضله (ص ٢٤٣ و٢٤٤ ج ١ من كتاب «نثر الدرر» تأليف الوزير أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ . والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٠٤) .

(٢) من قول أبي هريرة ـ كما روى البخاري ـ لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشياً علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون ، وما بي من جنون ! ما بي إلا الجوع .

العريض ، والأطعمة الناعمة الفاخرة ، وينقلب إلى عليّ الذي كان طعامه سويق الشعير ؟

إن هذا لمما تأباه الطباع البشرية ، ولا يتفق والغرائز النفسية ، اللهم إلا من عصم ربك ، وقليل ما هم .

* * *

وقد آن لنا أن نعرض عليك قصة أبي هريرة مع آل أبي العاص عامة وسائر بني أمية ومعاوية خاصة ـ كما وعدناك من قبل ـ ثم نردف ذلك ببيان بعض ما قدمه لهم جميعاً من مرويات وغير مرويات .

كيف اتصل أبو هريرة بدولة بني أمية

لاتصال أبي هريرة بدولة بني أمية قصة عجيبة نقصها عليك ، ولا ريب في أنها ستروعك بفصولها .

ذلك أنه لما رأى أن بني أمية قد وثبوا على الحكم ، وقبضوا على زمامه بعد مقتل علي رضي الله عنه ، وأنهم قد أصبحوا ملوكاً على بلاد المسلمين ، بيدهم الأمر والنهي ، والحل والعقد ، والرفع والخفض ، اندفع بسائق من طبيعته إلى انتهاز هذه الفرصة التي سنحت لبغاة المغانم ، وطلاب الرغائب ، ولم يلبث أن رنا إلى غرض وضعه نصب عينيه ، وآلى على نفسه ليبلغنّه بأية وسيلة حتى يصل إليه ـ وهذا الغرض أن يتخذ له مكاناً في هذه الدولة الجديدة يجعل له شأناً بين الناس بعد أن كان مغموراً في زمن النبي وخلفائه الأربعة ، وبذلك يتمكن من أن يشارك في أسلابها ويساهم في مغانمها ـ وأنى له ذلك وهو يومئذٍ في الساقة من عامة الصحابة ، ليس له ـ كما علمت من تاريخه ـ شأن يذكر ، ولا عمل يؤثر ، فلم يكن من دهاة السياسة ، ولا من أبطال الحروب ، وليس هو بشاعر ولا خطيب ، ممن تحتاج إليهم الدولة إبان نشأتها ، وبخاصة مثل دولة بني أمية الباغية التي

(*) الطبرزد وزان سفرجل نوع من أنواع السكر .

قامت على أساس غير سليم ، وسارت في طريق غير مستقيم .

من أجل ذلك كان عليه هو ـ بما يعرف من نفسه ـ أن يُطب لهذا الأمر ويتخذ له السبيل التي تنتهي به إلى مبتغاه ، فوجد أن هذه الدولة الناشئة ـ وإن كانت قد أقامت بناءها على قواعد من الدهاء والمداورة والظلم والبغي ـ بحاجة شديدة إلى دعم هذا البناء حتى لا ينهار ، فيخرج الناس عليهم ، وينفضوا من حولها ، ويخلعوا أيديهم من طاعتها ، ولا يكون ذلك إلا بأسانيد قوية تحميها من العوادي ، وإن أقوى هذه الأسانيد بعد القوة المادية ولا ريب ، أن تكون من قبل الشخصية العظمى التي تعنو لها الجباه ، وتخضع لها الرقاب ، تلك هي شخصية محمد (ص) فيروى لها من أحاديثه ما يؤيدها ، ويشد أزرها ، وقد كان الحديث النبوي يومئذٍ ـ وإلى اليوم ـ أقوى سلاح وأشده في سبيل تأييد الدعوات والادعاءات ! سواء للأفراد أو للجماعات في البلاد الإسلامية كافة .

ولما أحكم هذا الرأي ، وتمثلت له هذه الحقيقة ، أخذ على نفسه أن يعد هو هذا السلاح لدولة بني أمية ، ويكفيهم مؤونته ، فيمدهم بالأحاديث التي تؤيدهم ، وتصرف وجوه الناس عن عدوهم ـ وعدوهم حينئذ كان عليّاً رضي الله عنه .

وقد وطأ لذلك بأن أظهر لهم ـ وللناس ـ أنه قد ظفر وحده من النبي بما يجعله يمتاز من سائر الصحابة برواية أحاديثه (ص) فزعم في أول الأمر أن النبي قد غرف له في ثوبه غرفتين ، من نفحاته ، صيرتاه ـ من دون الصحابة جميعاً ـ الحُفَظة لكل ما يتحدث به النبي ، فلا يندّ عنه شيء يصافح أُذنيه ويؤديه كما سمعه ـ وبذلك يكون هو وحده المرجع الصحيح لكل ما جاء عن النبي من حديث ـ ثم أردف ذلك بزعم آخر فقال : إنه قد حفظ عن النبي (وعاءين) ، وعاء بثه ، والآخر استحفظه[1] النبي فيه من سره ، مما حجبه عن غيره ، ثم ختم قصته هذه العجيبة بحديث (المزود) .

---

(١) يقال : استحفظه مالاً أو سراً أي عنده حفظه .

وقد أعانه على ذلك كله أن أحاديث الرسول ـ لم تكن كما قلنا مدونة محفوظة كالقرآن الكريم بحيث لا يستطيع أحد أن يزيد فيها ، أو ينقص منها . وبذلك كان باب (الوضع) مفتوحاً على مصراعيه ، يدخل فيه كل من أراد الوضع ـ ثم ساعده كذلك ، أن كبار الصحابة الذين يخشاهم كانوا قد ماتوا في عهد معاوية وبخاصة عمر الذي منعه من الرواية وأنذره بالنفي إلى بلاده ، إذا هو روى ، وكان يضربه بدرته لرواية الحديث حتى صرح أبو هريرة نفسه بأنه ما كان يستطيع أن يروي الحديث وعمر حي .

١ ـ حديث بسط الثوب :

جعل أبو هريرة ظاهر هذا الحديث دفاعاً عن نفسه ، مما كانوا يتهمونه به من كثرة أحاديثه ، كما تبين لك من قبل ، وباطنه أن يثبت أنه قد بلغ من حفظ أحاديث رسول الله غاية لم يبلغها أحد من سائر الصحابة أجمعين .

روى البخاري[١] وغيره عنه أنه قال : إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ، ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله بمثل حديث أبي هريرة ، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ـ وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم ، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون . وقد قال رسول الله في حديث يحدثه : إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول ، فبسطت نمرة[٢] علي حتى إذا قضى رسول الله مقالته جمعتها إلى صدري ، فما نسيت من مقالة رسول الله تلك من شيء .

يذكر أبو هريرة في هذا الحديث أنه هو الذي بسط نمرته ، ولكن الذهبي يروي عنه حديثاً يدل على أن النبي هو الذي نزع نمرة أبي هريرة من

---

(١) ص ٢٣١ ج ٤ فتح الباري .

(٢) ص ٢٧٥ ج ١٣ من فتح الباري «فبسطت بردة كانت علي» وفي الرواية التي ستأتيك أن النبي قال له : أبسط رداءك .

على ظهره ، وبسطها بينه وبين أبي هريرة !

وهاك ما قاله الذهبي[1] من حديث سعد بن أبي هند عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال :

ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك ؟ قلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله ، فنزع نمرة[2] كانت على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى القمل يدب عليها (أعوذ بالله) فحدثني حتى استوعبت حديثه قال : اجمعها فصُرها إليك فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني .

وعن المقبري عن أبي هريرة قال : قلت لرسول الله ، إني سمعت منك حديثاً كثيراً ـ فأنساه ـ فقال : أبسط (رداءك) فبسطته فغرف بيديه فيه ، ثم قال : ضمه ، فضممته فما نسيت حديثاً بعده[3] .

ولأن حديث (بسط الثوب) مهم في تاريخ أبي هريرة ، واختلفت رواياته ، وهو في نفسه يعتبر خُرافة أو من أهم غرائبه ، ولم نرَ أحداً ـ وا‌أسفا ـ قد ناقش هذا الحديث مناقشة علمية تحليلية غير العلامة الكبير الأستاذ عبد الحسين شرف الدين في كتابه (أبو هريرة) ، فقد رأينا أن نمد القراء بملخص[4] لما ناقش به هذا الحديث لأن كلامه في ذلك طويل . قال رحمه الله :

إن لنا على بطلان هذا الحديث وجوهاً :

الأول : أنه زعم أن المهاجرين كان يشغلهم عن النبي الصفق بالأسواق ، والأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم[5] ، فساق السابقين الأولين

---

(١) ص ٤٢٩ ج ٢ سير أعلام النبلاء .

(٢) النمرة شملة فيها خطوط بيض وسود .

(٣) ص ٥٦ ج ٤ ق ٢ طبقات ابن سعد .

(٤) من أراد أن يقف على كل ما قاله العلامة شرف الدين فليرجع إلى كتابه «أبو هريرة» وهو من الكتب القيمة .

(٥) أي إدارة حدائقهم إذ كانوا أهل نخيل .

من المهاجرين والأنصار كافة بعصا واحدة . وأي قيمة للقول بأن جميع المهاجرين كان يلهيهم الصفق بالأسواق ! بعد قوله تعالىٰ : ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ الآية . وهل لمعارض كتاب الله إلا الضرب بعرض الجدار .

ومن هو أبو هريرة ليحضر حين يغيب الخصيصون برسول الله، ويحفظ حين ينسون ؟ يقول هذا القول بملء فيه غير متئد ولا خجل ولا وجل ، إذ قاله في عهد معاوية وحيث لا عمر ولا عثمان ولا علي ولا طلحة ولا الزبير ، ولا سلمان (الفارسي) ولا عمار ولا المقداد ، ولا أبو ذر ولا أمثالهم .

يدعي ذلك وهو يدرك أن الناس يعلمون موضع عليّ من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعه في حجره وهو ولد . ويرفع له في كل يوم من أخلاقه علماً ، وكان بعد ذلك أقضى أُمته وعيبة سره ، ووارث حكمته . . . فهل يمكن أن ينسى من سننه ما حفظه أبو هريرة ! أو يكتم منها ما بينه أبو هريرة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم !

على أنه لم يكن من المهاجرين من يصفق في الأسواق إلا القليل ، وحسبك أبو ذر والمقداد وعمار ـ ورفقاء أبي هريرة في الصفة وهم سبعون ـ كانوا كما وصفهم أبو هريرة ـ ما منهم رجل عليه رداء ، وإنما عليه إما إزار أو كساء قد ربطوه في أعناقهم ، إلى آخر كلامه في وصفهم[1] فما بالهم لم يحدثوا بمثل أحاديثه ؟ ولم يكثروا كما أكثر .

وكذا الأنصار لم يكونوا بأجمعهم من أهل الأموال والأشغال كما زعم ، وحسبك ممن لا مال لهم منهم سلمان الفارسي الذي قال رسول الله فيه : سلما منا أهل البيت .

وقال ، كما في ترجمة سلمان من الاستيعاب : لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان[2] .

---

(١) سقنا كلامه هذا آنفاً .

(٢) لسلمان في مسند بقي ستون حديثاً في البخاري أربعة وفي مسلم ٣ ص ٣٦٢ ج ١ سير أعلام النبلاء . توفى بالمدائن سنة ٣٦ هـ .

وقالت عائشة : كان لسلمان مجلس من رسول الله ينفرد به في الليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ، وقال علي : إن سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم عَلِمَ عِلْمَ الأول والآخر ، بحر علم لا ينزف[1] .

وقد علم الناس أن أبا أيوب الأنصاري لم يكن له من العيش إلا بلغة لا تشغله عن علم ولا عمل ، وكذلك أبو سعيد الخدري ، وأبو فضالة الأنصاري ، وغيرهم من نظرائهم من علماء الأنصار وعظمائهم رضي الله عنهم .

على أن سيد الحكماء وخاتم الأنبياء لم تكن أوقاته فوضى ، وإنما كانت في الليل والنهار مرتبة للمهمات ، على ما تقتضيه الحكمة في تلك الأوقات ، وقد خصص منها لإلقاء العلم وقتاً لا يعارض أوقات الصفق في الأسواق ، ولا أوقات العمل في الأموال ، وكان المهاجرون والأنصار لا يغيبون في ذلك الوقت أبداً وهم أحرص على العلم مما يخرفه المخرفون .

الثاني : لو صح ما زعمه أبو هريرة من قول النبي لأصحابه : (لن يبسط أحد منكم ثوبه) الحديث . لتسابقوا إليه ، واجتمعوا بقضهم وقضيضهم عليه ، فإنه الفضل لا يبلغه الطالب بشد الرحال ، والعلم لا يناله ببذل الأموال . وكيف زهدوا في هذه الغنيمة ، وضيعوا تلك الفوائد العظيمة . . . الخ .

الثالث : لو صحّ ما زعمه أبو هريرة لعظم ندم الصحابة وأسفهم على ما ضيعوه من ذلك الفضل الكبيير والعلم الغزير ، ولتواتر لهفهم على ما أهملوه من بسط أثوابهم لرسول الله على حين أنه لا كلفة فيه ولا مشقة عليهم ، ولتلاوموا على تركهم ذلك بسوء اختيارهم ، ولتواترت منهم الغبطة لأبي هريرة بالفوز به دونهم ـ على أنه لم يكن عليه إلا ثوب واحد ، وما منهم من أحد إلا وعليه ثوبان ، أو أكثر ، فلما لم يكن شيء من ذلك ، علمنا أن

---

(١) أنظر ترجمة سلمان الفارسي في الاستيعاب لحافظ المغرب ابن عبد البر ص ٥٧٢ ج ٢ .

هذا من (كيس) أبي هريرة[1] .

الرابع : لو كان الأمر كما قصه أبو هريرة لحدث به غيره ممن دعاهم النبي إلى بسط أثوابهم ولعده الصحابة والتابعون من أعلام النبوة . . ولتواترت به الأخبار واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار ، فلما لم نجده إلا في حديث أبي هريرة عطفناه على واهياته .

الخامس : أنه قد تناقض كلام أبي هريرة في هذه القصة ، فتارة يروي أن النبيّ قال يوماً لأصحابه : لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره الحديث وفي آخره ـ فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك شيئاً إلى يومي هذا !

وتارة يقول : قلت يا رسول الله : إني أسمع منك الحديث أنساه قال (ص) : أبسط رداءك فغرف بيديه ثم قال : [ضمه فضممته فما نسيت شيئاً بعده] .

وأنت ترى أن القصة على مقتضى الحديث الأول : أنها كانت بين رسول الله وأصحابه ، والمبتدىء فيها إنما كان رسول الله ، إذ دعاهم إلى بسط أثوابهم إشفاقاً عليهم من النسيان ، وأنها على مقتضى الحديث الثاني (حديث المقبري) ، إنما كانت بين أبي هريرة خاصة ورسول الله ، والمبتدىء فيها إنما هو أبو هريرة ، حيث شكا نسيانه إلى رسول الله !

وأيضاً فإن الحديث الأول يقتضي : تخصيص عدم النسيان بتلك الحالة فقط[2] لقوله فيه : ما نسيت من مقالته تلك شيئاً !

---

(١) يشير بذلك إلى ما رواه البخاري من أن أبا هريرة سئل مرة عن حديث ، فقيل له : يا أبا هريرة ، سمعت هذا من رسول الله ؟ فقال : لا ، هذا ، من كيس أبي هريرة (ص ٤١٣ ج ٩ فتح الباري) وهذا الكيس ولا ريب غير «الوعاءين» اللذين سيأتيك نبؤهما العجيب !

(٢) وقع في جامع الترمذي وحلية أبي نعيم التصريح بهذه المقالة . وأنها كانت ما هذا لفظه (ما من رجل يسمع كلمة أو كلمتين مما فرض الله عليه فيتعلمهن أو يعلمهن إلا دخل الجنة) .

والحديث الثاني : يقتضي العموم في عدم النسيان لكل شيء من الأشياء ، حديثاً كان أم غيره مطلقاً لقوله فيه : ما نسيت شيئاً بعده ، فإن النكرة في سياق النفي حقيقة في العموم - وقد ارتبك هنا شارحو البخاري ، وارتجت عليهم أبواب الاعتذار عنه ، حتى قدر ابن حجر في فتح الباري وقوع هذه القصة مرتين !

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وقال فيه : فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به ، وهذا يقتضي كون عدم النسيان أعم مما اقتضاه الحديث الأول وأخص مما اقتضاه الحديث الثاني .

ونحوه حديث ابن سعد بسنده إلى عمرو بن مرداس بن عبد الرحمن الجندي عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله : أبسط ثوبك فبسطته فحدثني النهار ثم ضممت ثوبي إلى بطني فما نسيت شيئاً مما حدثني ، لكن قوله فيه : فحدثني النهار لا يوجد في هذا الحديث إلا من هذا الطريق طريق الجندي فقط ، وبه كان مخالفاً لكل ما جاء في هذا الموضوع من سائر الطرق إلى أبي هريرة[1] .

وبعد أن أورد العلاّمة شرف الدين أحاديث غير ذلك فيها غرائب ومنها حديث أخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة : أن رسول الله قال : يا أبا هريرة : ألا تسألني عن هذه الغنائم التي يسألني أصحابك[2] فقلت : أسألك أن تعلمني مما علمك الله ! قال : فنزعت نمرة[3] على ظهري - وفي حديث آخر (ليس علي ثوب غيرها !) فبسطتها بيني وبينه - حتى كأني أنظر إلى القمل يدب عليها ! فحدثني حتى استوعب حديثه قال : اجمعها فصرها إليك فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني .

---

(١) ص ٥٦ ق ٢ ج ٤ الطبقات الكبرى .
(٢) كأنه كان وحده من دون الصحابة جميعاً عفاً قانعاً لا يسأل عن الغنائم ولا يمد عنقه لها .
(٣) ص ٤٢٩ ج ٢ سير أعلام النبلاء .

وقول أبي هريرة : فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها[1] يقتضي على الظاهر أن تبدو سوأته ـ وقد تأول القسطلاني وزكريا الأنصاري كلامه فحملاه على أنه بسط بعض النمرة لئلا تنكشف عورته . ثم ختم كلامه بقوله :

وهذه الحكاية (حكاية بسط الثوب) في ذاتها تشبه قصص المخرفين ، ولا تكاد تمتاز عن خلط الدجالين ـ وحاشا الله أن تمتزج بمعجزات الرسول ، أو يصدق بنسبتها إليه أصحاب العقول ، فإن معجزاته (ص) بهرت أولي النهى بأنوار حقيقتها ، وقهرت جبابرة الأرض بحسن أسلوبها ، واعتدال طريقتها .

على أن من ألم بهذا الحديث ـ من جميع الطرق وجده مختلف الألفاظ والمعاني باختلاف طرقه ، لا تتجارى معانيه ولا ألفاظه إلى غاية ، ولا تتساير في حلبة ، يصدم كل منها الآخر فإذا هو زاهق والحمد لله[2] .

ضعف ذاكرة أبي هريرة :

وقبل أن ننتقل إلى الفصل الثاني من قصة أبي هريرة نلحق هذه الصفحات بالفصل الماضي لاتصالها به .

كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كان كثير النسيان ، لا تكاد ذاكرته تمسك شيئاً مما يسمعه ، ثم يزعم أن النبي ـ كما علمت من بعض ما روى آنفاً ـ قد غرف له في نمرته غرفتين فأصبح لا ينسى شيئاً يصل إلى أذنه ، وذلك لكي يسوغ كثرة أحاديثه ويثبت في الأذهان صحة كل ما يرويه .

على أن هذه الذاكرة القوية التي اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعاً ، بل من دون ما ذرأ الله من الطباع الإنسانية ، قد خانته في مواضع متعددة ، وأن ثوبه الذي بسطه قد تمزق فتناثر ما كان قد ضمه بين

---

(١) راجع الحديث في البخاري في باب المزارعة وفيه «كنت امرأ مسكيناً ألزم رسول الله على ملء بطني ـ قال النبي يوماً : لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه في صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً ، فبسطت نمرة ليس علي غيرها ـ الحديث ص ٢٢ ج ٥ فتح الباري .

(٢) ص ٢٨٠ ـ ٢٩٤ من كتاب أبي هريرة للعلامة شرف الدين .

أطرافه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وإنا نكتفي بمثالين اثنين فقط !

لما روى أن رسول الله قال : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيئاً ودماً خير من أن يمتلىء شعراً قالت عائشة : لم يحفظ ! إنما قال : وأوردت الحديث كما سقناه لك من قبل[1] .

وقصة ذي اليدين التي رواها البخاري عن أبي هريرة أنه (ص) صلى الظهر أو العصر ، فسلم بعد ركعتين ، فقال له ذو اليدين : الصلاة يا رسول الله ؛ أنقصت ؟ فقال النبي (يخاطب الصحابة) أحق ما يقول ؟ قالوا : نعم ، فصلّى ركعتين أُخريين ثم سجد .

هذه القصة في رواية البخاري : أنها صلاة الظهر ، أو صلاة العصر - وفي رواية النسائي ما يشهد بأن الشك كان من أبي هريرة وهذا لفظه .

صلّى النبي (ص) إحدى صلاتي العشي ولكن نسيت !

ومن عجيب أمر الذين يثقون بأبي هريرة ويمنعون عنه السهو والنسيان لا يتحرجون من أن ينسبوهما إلى النبي (ص) .

فقد روى البخاري عن عائشة أن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال : رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا أسقطتهن من سورة كذا وكذا[2] .

وقال صلوات الله عليه : إنما أنا بشر أنسى ، فإذا نسيت فذكروني .

وقد قالوا : إن حديث ابن مسعود في السهو وهو «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون» حجة لمن أجاز النسيان على النبي فيما ليس طريقه البلاغ مطلقاً (أي البلاغ عن الله) وكذا فيما كان طريقه البلاغ ولكن بشرطين - أحدهما : أنه بعدما يقع منه بتبليغه . والآخر : أنه لا يستمر على نسيانه ، بل يحصل له تذكره إما بنفسه ، وإما بغيره .

---

(١) راجع حديث الشعر في كتابنا هذا .

(٢) ص ٣٠٢ ج ٥ وص ٧٠ ج ٩ فتح الباري .

وإذا كان أبو هريرة ـ كما نعت نفسه ـ ذكيّاً فطناً قوي الذاكرة واسع الحافظة ، ضابطاً لكل ما يسمع ، لا تفلت منه كلمة ، ولا يند عنه لفظ ، فَلِمَ لم يحفظ القرآن الكريم على فراغه ، وطول عمره ! وقد حفظه كثير من الرجال ، وكذلك بعض النساء ، ومنهن أم ورقة[1] بنت عبدالله بن الحارث الصحابية ، وكان النبي يسميها الشهيدة ، ولمَ لم يتعلم القراءة والكتابة ، ويرضى أن يكون أميّاً !

ولعل ذلك لأن عدم معرفة القراءة والكتابة من صفات الكمال عنده .

ولو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التي لم يبلغها قط إنسان قبله ، ولا يبلغها أحد بعده . وهي (عدم النسيان) لاشتهر عنه ذلك ، ولأصبح وحده (علَماً مفرداً) يرجع المسلمون جميعاً إليه ، وبخاصة في عهد أبي بكر وعمر ، ولكان له ـ في الإسلام خاصة ـ على مدّ عصوره مقام أي مقام ، إذ يكون دون سواه موضع ثقة الصحابة جميعاً ، فيأخذون بالثقة كل ما يجري به لسانه ، ويقبلون مطمئنين كل ما يلقيه عليهم من رواياته ، وتستمر هذه الثقة إلى من بعد الصحابة من التابعين ، ومن بعدهم إلى يوم الدين ، ثم تكون كل أحاديثه من دون أحاديث الصحابة جميعاً (**متواترة في لفظها ومعناها ، لا ينال منها الشك ، ولا يعتريها الظن ، وتأتي في درجة الثقة بعد القرآن الكريم**) .

ولكن الأمر قد جرى على غير ذلك ، فلم يكن له شأن يذكر في زمن النبي (ص) ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، وقد عرفت من قبل مبلغ ثقة عمر به فقد كان ينهاه عن رواية الحديث ، ولما لم يرجع ضربه بالدرة ، وأنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده . ولو كان أبو هريرة على ما زعم ، لأباح عمر له وحده أن يروي ، ولكان عنده وعند غيره أصدق من روى وأوثق من حدث ، ولم يقف الأمر بهم عند ذلك بل إنهم قد اتهموه وكذبوه في

---

(١) كانت أم ورقة هذه تلميذة لعائشة .

الـرواية ـ كمـا علمت من قبـل ـ وكـان بـذلـك كمـا بينـا أول راويـة اتهم في الإسلام .

٢ ـ حديث الاوعية :

ولما أتم أبو هريرة الفصـل الأول من قصته وهـو «حديث بسط الثـوب» وروجه[١] بين الناس ، رأى من التـدبير أن يـوطىء به إلى مـا بعده ، فـأخرج الفصل الثاني من هذه القصة وهو «حديث الوعاءين» ليقر في أذهان النـاس أن النبي لا يفتـأ يخصه بـالفضـل ، ويمـده بـالإيثـار ، وأنـه بعـد أن أفـرده بتلك [النفحـة النبـويـة التي حبـاه بهـا فجعله وحـده محيـطاً بكـل أحـاديثـه ، قـد شاء (ص) ـ زيادة في إكرامه ـ أن يصطفيه ليكون مستودع أسـراره التي حجبها عن غيره ، فأفضى إليه بأحاديث يحفظها في وعائـه ـ وجعل لـه الخيار في أن يبوح بها أو يكتمها ، ولكي يبين خطر هذه الأسرار التي أمر بكتمانها قال : لو بثثت شيئاً من هذا الوعاء لقطع هذا البلعوم .

وبديهي أن أبا هريرة لم يأت بهذا الحديث إلا ليثبت ـ قبل كـل شيء ـ علو قدره ، وسمو شـأنه بين جميـع أصحابـه ، ثم ليهول بـه على الناس بعـد ذلك ، وليجعل منه سلاحاً رهيباً في يده ، يرغب بـه ويرهب ـ وبـذلك تلتفت إليه الأنظار ، وتشرئب له الأعناق ، وتتطاول إليه النفوس .

والناس بطبيعتهم يتشوفون إلى اكتناه الأسرار ، ويسعـون جهدهم دائمـاً في كشف ما غيب عنهم من الأمور .

ونمهد للكلام عن حديث (الوعاءين) بحديثين رواهما الذهبي وغيـره ، قد يكشفان شيئاً عن سر هذا (الوعاء) المكنون ، أو المكتوم .

روى عن ابن المسيب (وهو زوج ابنة أبي هريرة) قال :

كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت ! وإذا أمسك عنه تكلم[٢] ! .

---

(١) يقال روج فلان كلامه ، زينه وأبهمه فلا تعلم حقيقته (المصباح المنير) .

(٢) ص ٤٤٢ ج ٢ من أعـلام النبـلاء وص ٣٤ ج ١ من تـذكـرة الحفـاظ و١١٤ ج ٨ من البداية والنهاية .

وروى عن محمد بن زياد قال :

كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة (أي يوليه عليها) فإذا غضب عليه بعث مروان وعزله[1] .

ولعل سكوت أبي هريرة إذا ما أعطاه معاوية ، أن لا يبث أحاديث لا ترضي معاوية أو لا تنال من عدوه .

مثل الحديث الذي رواه البخاري في ذم بني أمية الذي يقول فيه : هلكة أُمتي على يدي أغلمة من قريش .

وقد قال ابن حجر في شرح هذا الحديث : كان ذلك في زمن معاوية .

ومثل الحديث الذي رواه عمرو بن يحيى بن سعيد الآمدي عن جده قال :

كنت مع مروان وأبي هريرة ، فسمعت أبا هريرة يقول : سمعت الصادق المصدوق يقول : هلاك أُمتي على يدي غِلمة من قريش . قال مروان : غلمة ؟ قال أبو هريرة : إن شئت أسميهم ، بني فلان وبني فلان !!

أما كلام أبي هريرة عندما يمسك عنه معاوية فإنه يذكر أحاديث فيها مدح وثناء عَلَى عَلِيّ وأولاده ، كالحديث الذي رواه عنه أحمد ونصه :

نظر رسول الله إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال :

«أنا حرب لمن حاربكم ، وسلم لمن سالمكم[2]» . ونصه كما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن أرقم ـ كما جاء في ترجمة الزهراء من الإصابة أن رسول الله ذكر علياً وفاطمة والحسن والحسين فقال : أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم ، كذلك أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه .

---

(١) ص ٤٤١ من سير أعلام النبلاء ج ٢ .
(٢) وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير بالإسناد إلى أبي هريرة .

والأمثلة في ذلك كثيرة ـ ومثل هذا ولا ريب مما يغيظ معاوية وقومه ، فكان من أجل ذلك يسارع إلى ما يرضيه .

وقد عرف ذلك أبو هريرة فكان كلما أبطأ عليه معاوية بالعطاء تكلم بما يغضبه لكي يتوالى عليه عطاؤه، ويعود إلى المدينة والياً .

ولنأخذ في بيان أحاديث الوعاءين .

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : حفظت عن رسول الله (وعاءين) فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم !

وقال : لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخرف ، وقالوا أبو هريرة مجنون ، وفي رواية : لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر !

وقال : يقولون : أكثرت يا أبا هريرة . والذي نفسي بيده ! لو حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول الله لرميتموني بالقشع (يعني المزابل) ثم ما ناظرتموني[1] .

كيس أبي هريرة :

ولم يكتف أبو هريرة بالجرابين ، بل قال في رواية : حفظت من رسول الله خمسة أجربة ، فأخرجت منها جرابين[2] ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة وهذه الأوعية كلها لم تقنعه ، وإنما زعم أن له كيساً آخر ! من الأسرار التي لا يعلمها أحد غيره .

عن مكحول قال : كان أبو هريرة يقول ، رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه . رواه البخاري .

---

(١) هذه الأخبار الثلاثة رواها ابن سعد في ترجمته في الطبقات .

(٢) ص ٣٨١ من الحلية ورواية القاضي الحسن بن عبد الرحمٰن الرامهرمزي في كتابه المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ١٣٣ أنه حفظ عن رسول الله خمسة أجربة أحاديث وقال : إني أخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالث رميتموني بالحجارة ، وهذا الكتاب مأخوذ بالصورة الشمسية بدار الكتب العربية رقم ٤٨٣ مصطلح حديث .

ومن هو أبو هريرة حتى يؤثره النبي بشيء يخصه به ويكتمه ويخفيه عن أصفيائه وأوليائه وأقرب الناس إليه[1] ؟ إنه لم يكن له أية ميزة من فضل يدنو بها إلى النبي ، ولا عد بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى من أية طبقة من طبقات الصحابة[2] فلا هو من السابقين الأولين ، ولا من المهاجرين ، ولا من الأنصار ، ولا من أهل العقبة الأولى ولا الثانية ، ولا من العرفاء ، ولا من الكملة في الجاهلية وأول الإسلام ، ولا من شعراء النبي الذين نافحوا عنه ، ولا من المفتين على عهد رسول الله ولا على عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، ولم يظهر إلا بعد الفتنة الكبرى - كما سنبينه فيما بعد - ولم يكن من القراء الذين حفظوا القرآن الكريم ، ولا جاء في فضله حديث عن رسول الله[3] وكل ما عرف أنه كان من أهل الصفة لا أكثر ولا أقل .

ومما يدل على هوانه وأنه كان من عامة الصحابة الذين لا شأن لهم ، ولا علم عندهم ، أنه لم يكن من الذين يُبعثون إلى الأقطار الإسلامية ليعلموا أهلها أحكام الدين في عهد النبي ولا في عهد خلفائه . . حتى في زمن معاوية ؛ وسبق لنا كلام في هذا المعنى عندما بعثه النبي مع العلاء بن الحضرمي .

ولو أن هناك شيئاً يؤثر به النبي أحداً من أصحابه ، لكان عليّ أولى

---

(١) أنظر صحيفة علي عليه السلام في كتابنا «أضواء على السنة المحمدية» الطبعة الثالثة .

(٢) قسموا الصحابة من حيث فضلهم إلى ١٢ درجة فما وجدناه في واحدة منها . «١» قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة «٢» أصحاب دار الندوة «٣» مهاجرة الحبشة «٤» أصحاب العقبة الأولى «٥» أصحاب العقبة الثانية «٦» أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي بقباء قبل أن يدخل المدينة «٧» أهل بدر «٨» المهاجرون بين بدر والحديبية «٩» أهل بيعة الرضوان «١٠» من هاجر بين الحديبية وفتح مكة «١١» مسلمة الفتح «١٢» صبيان وأطفال رأوا النبي يوم الفتح وحجة الوداع ص ٦٩ و٧٠ ج ١ من الروض الباسم للوزير اليماني ولعله بذلك يكون من طبقة الصبيان .

(٣) عقد البخاري باباً في فضائل الصحابة وذكر أحاديث كثيرة في فضل كثير من الصحابة لم يكن أبو هريرة منهم ولا بحديث واحد .

الناس جميعاً به ، ذلك بأنه ربيبه ، وابن عمه وأخوه ووارث علمه ، وأول من أسلم بعد خديجة وزوج ابنته فاطمة ، وأبو السبطين لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر وشهد معه المشاهد كلها سوى تبوك ـ ولما استخلفه النبي فيها على المدينة قال له عليّ : أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال له النبي هذه الكلمة التي لن يظفر بها أحد غيره وهي : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي[1] .

حقّاً كان عليّ هو أولى الناس جميعاً بأن يؤثره النبي بأسراره ، فإن لم يكن عليّ فأبو بكر أو عمر أو أبو عبيدة أو الزبير حواريه وابن عمته ، أو ابن مسعود[2] الذي قال له النبي : آذنك على أن ترفع الحجاب ، وتسمع سوادي[3] ، وكانوا لشدة ملازمته للنبي (ص) لا يرون إلا أنه من أهل بيته ، وعرف بين الصحابة بأنه صاحب السواد والوساد الذي لا يعرفه غيره . أو حذيفة بن اليمان الذي أخذ عن النبي (ص) العلم بالمنافقين وقد سأله عمر : هل هو من المنافقين ؟ فقال له حذيفة ؛ لا ، ولا أزكي أحداً بعدك .

وقد روى الشيخان عنه قال : قام فينا رسول الله مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه .

وروى أحمد ومسلم عنه قال : والله إني أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، **وما ذاك أن يكون رسول الله حدثني عن ذلك شيئاً أسره لي لم يكن حدث به غيري**[4] ولكن رسول الله قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه ـ وبعد أن ذكر حذيفة ما قاله النبي قال : فذهب أولئك الرهط كلهم

---

(١) رواه البخاري والترمذي .

(٢) روى مسلم أن النبي قال : خذوا القرآن من أربعة ، ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) فبدأ به ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى حذيفة ، فترى أنه لم يصل إلى درجة أحد الموالي .

(٣) وتسمع سوادى أي سرارى وهي خصوصية لابن مسعود .

(٤) أنظر أمانة هذا الصحابي الذي يصرح بأن النبي لم يسر بشيء له وحده .

غيري[1] وقد مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان . أي أن أبا هريرة لم يكن في ذلك الرهط .

أو أبو ذر الغفاري ، وهو أحد السابقين الأولين ، ومن نجباء الصحابة وكان خامس خمسة ، وصفه النبي بقوله : ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، ومن سره أن ينظر إلى زهد عيسى ، فلينظر إلى أبي ذر ـ هذا الصحابي الجليل الذي جمع كل هذه الصفات يقول :

ما ترك رسول الله شيئاً مما صبه جبريل وميكائيل في صدره إلا صبّه في صدري ، ولا تركت شيئاً مما صبه في صدري إلا قد صببته في صدر مالك ابن أبي حمزة .

أو سلمان الفارسي الذي قال فيه النبي : سلمان منا أهل البيت ، ولو كان الدين عند الثريا لناله سلمان . وقال فيه عليّ : سلمان الفارسي مثل لقمان لحكيم ، عَلِمَ علْم الأول والآخر ، بحر علم لا ينزف ـ وكان ينفرد بالنبي في الليل كما ذَكرت عائشة .

وهناك رجل صحب النبي قديماً وكان من المقربين إليه الملازمين له في السفر والحضر ـ وكان كذلك من أهل الصفة ـ وكان له أن يتقدم أبا هريرة في كثرة الرواية ـ أو في أن يتلقى من النبي ما لم يصل إلى غيره ، ولكنه كان متواضعاً مؤدياً لحق الصحبة ، ذلك هو (ربيعة بن كعب الأسلمي) .

قال ابن عبد البر في تاريخه :

«كان من أهل الصفة ، وكان يلزم رسول الله في السفر والحضر وصحبه قديماً وعمَّر بعده ، مات بعد الحرة سنة ٦٣ هـ وهو الذي سأل النبي مرافقته في الجنة ، فقال له رسول الله : أعني على نفسك بكثرة السجود . رواه

---

(١) أي أن أبا هريرة لم يكن في هذا المجلس إذاً لم يكن في الرهط الذين ذهبوا قبل حذيفة .

الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن ربيعة بن كعب[1] .

كان هؤلاء جميعاً أولى الناس بأن يؤثرهم النبيّ بما لا يريد أن يظهره لسائر الصحابة ـ إذا كان هناك سر يريد أن يفضي به لأحد من خواصه ـ وقد قال بعض العلماء : إن اعتقاد ذلك ـ أي أن النبي قد كتم عن جميع الصحابة شيئاً وخصه بأحدهم ـ يؤدي إلى نسبة الخيانة إلى النبي ـ ومعاذ الله .

وعلى أنه يزعم هذه المزاعم كلها عن أجربته هذه فإنه يعود فيناقض نفسه ويقول : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب[2] .

٣ ـ حديث المزود[3] :

أما الفصل الثالث وهو الأخير من هذه القصة الطريفة ، فهو (حديث المزود) ويغلب على الظن أنه ظهر به بعد أن أصبح ذا حُظوة ودالة في دولة بني أمية ـ وقد نال مبتغاه من تعويضه ، بما ادعى أنه فقده بسبب ضياع هذا المزود الذي أكل منه مائتي وسق ! ولو لم يقض عليه جيش معاوية لظل يأكل منه طول حياته !

وها وهوذا مرويّاً عنه قال :

«أصبت بثلاث مصيبات في الإسلام ! لم أصب بمثلهن ! موت رسول الله وكنت صويحبه ، وقتل عثمان (طبعاً) ، والمزود . قالوا : وما المزود يا أبا هريرة ؟ قال : كنا مع رسول الله في سفر (أي سفر يا مولانا) فقال : يا أبا هريرة ، أمعك شيء ؟ قلت : تمر في مزود ، قال : جيء به ، فأخرجت تمراً قال : فمسه ودعا فيه ، ثم قال : ادع عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله[4] (يا سلام !) وبقي من تمر معي في المزود :

---

(١) ص ١٨٤ ج ١ من الاستيعاب وص ٢٧٣ ج ١ من أنساب الأشراف للبلاذري .

(٢) ص ١١٩ ج ٢ ق ٢ من طبقات ابن سعد طبعة ليدن .

(٣) المزود بكسر الميم وعاء التمر يعمل من أدم (جلد مدبوغ) .

(٤) أي جيش كان ذلك ؟ وفي أية غزوة ؟ ـ وهل كان معلقاً في الصفة ؟ وهل أخذه معه في البحرين ؟ وإذا كان يطعم من المزود حياة النبيّ وخلفائه الثلاثة ، فلم كان يركب الصعب في سبيل طعامه ، ويستقرىء الناس الآيات وهي معه ليطعموه أو يحرموه ؟

فقال يا أبا هريرة : إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك ولا تكفه ، قال : فأكلت منه حياة النبي ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها ، وأكلت منه حياة عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان كلها فلما قتل عثمان[١] انتهب ما في يدي ! وانتهب المزود ! ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق !

وإذا كان قد ذكر في هذا الحديث أن مزوده كان فيه تمر ، وأن النبي قد طلبه منه ومسّه ثم أطعم منه الجيش ، فإنه قد قال في رواية أُخرى جاءت في مسند أحمد وإسنادها جيد : أعطاني رسول الله شيئاً من تمر فجعلته (مكتل)[٢] لا مزود ـ فعلقناه في (سقف البيت)[٣] فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره ، أصابه أهل الشام حيث أغاروا على المدينة ـ يعني جيش بسر بن أرطاة الذي بعثه معاوية لينكل بأهل المدينة ومكة ـ وما دام جند معاوية هم الذين أغاروا على هذا المزود فليكن عوضه من معاوية ، وقد كان ، فعوضه عنه بالشيء الكثير !

وإذا كانت رواية أحمد هذه تدل على أن أبا هريرة قد علق المزود في سقف البيت ـ فإن رواية الذهبي في «سير الأعلام» تدل على أن المزود كان معلقا (بحقوه) (أي معقد إزاره) وهاك رواية الذهبي :

قال أبو هريرة : أتيت رسول الله (ص) بتمرات فقلت : ادع لي فيهن يا رسول الله بالبركة ، ثم قال : خذهن فاجعلهن في (مزود) فإذا أردت منهن فأدخل يدك فخذ ، ولا تنثرهن نثراً ، قال : فحملت من ذلك التمر كذا وكذا[٤] وسقاً في سبيل الله ، وكنا نأكل ونطعم ، وكان **المزود معلقاً بحقوي**

---

(١) هنا السر وقد ذكر مصيبته في عثمان ليشايع بها الأمويين . . .

(٢) المكتل بكسر الميم الزنبيل وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره .

(٣)يروي هنا أن المزود كان معلقاً في «سقف البيت» ولم يكن له بيت ، بل كان مقامه في الصفة .

(٤) قدر هذه الكذكذة بمائتي وسق ـ والوسق حمل بعير .

لا يفارق حقوي فلما قتل عثمان انقطع[1] .

هـذه غرائب ثـلاث من غـرائب أبي هـريـرة المتعـددة ، نضعهـا تحت الأعين البصيرة ، والعقول المستنيـرة ، لتفكر فيهـا تفكيراً عميقـاً ، ثم لتحكم بعـد ذلك على حقيقـة روايات أبي هـريرة وكيف كـانت ، ومقدار نصيبهـا من الصحة ، ومدى سلامة عقل من يصدقها !

وإذا كان لنا من كلمة نقولها هنا فهي أننـا نقطع بـأن هذه الأحـاديث لا حقيقة لها ، وما كان أبو هريـرة ليستطيـع أن يظهـر بواحـد منها في عهـد كبار الصحـابة الـذين كان يخشـاهم ولا يجرؤ على أن يتكلم بمثلهـا وبـأقـل منهـا أمامهم ، وإنما ظهـر بها في عهـد معاويـة الذي أيـده وناصـره ، ولم يكن في عهده أحد يستـطيع أن يقـول كلمة الحق ، اللهم إلا المؤمنين حقّـاً وقليل مـا هم .

وهناك من وراء ذلك كله برهان قاطع يهدم كل ما يزعم أبو هريـرة سواء في هـذه القضية أو في غيـرها ، وهـو مقـدار الـزمن الـذي قضـاه في الصفـة (بالمدينة) وهو كما بيناه لا يزيد على عام وبضعة أشهر .

هذه كلمتنا عن هذه القصة وأحاديثها الثـلاثة ونصلهـا بكلمة أُخـرى عن عبارة جاءت في أثناء حديث (بسط الثوب) وهي : ألا تسألني في هذه الغنائم التي يسألني عنها أصحابك !

إن من أعجب العجب حقّـاً أن يستعلن أبو هـريرة بهـذا الحديث ، ولا يخشى أن تفضحه الحقيقة ، وتنقضـه سيرتـه التي عرفهـا الناس من أول يـوم نزح فيه من بلاده ليخدم النبي (ص) وذلـك عندمـا طمع فيمـا ليس له بحق ، فطلب من النبي (ص) أن يسهم له من غنائم خيبر وهو لم يشهد حربها ، ونال على هذا التطفل جزاء وفاقاً من أبان بن سعيد ـ ويزيد هـذا الحديث افتضـاحاً

---

(١) يصرح هنا بأن المزود كان لا يفارق حقوه ـ وكله عند مشايخنا جـائز ص ٤٥٢ ج ٢ من سيـر أعلام النبـلاء ، وحديث المـزود أخرجـه الإمام أحمـد من طـريقين والبيهقي من طريقين آخرين وأخرجه غيرهما من طرق أُخرى .

وتناقضاً ، ما وقع منه وهو في البحرين واتهام عمر إياه بسرقة مال المسلمين !

ويبدو لمن يدرس نفسية أبي هريرة من خلال سيرته أنه كان مصاباً بالمرض الذي يسمى في هذا الزمان (بمركب النقص) ، فهو من أجل ذلك يسعى ليستكمل هذا النقص ، ويخلع عن نفسه (إزار) الخمول والضعة ليستبدل به لبدة الأسد ، ووجد أن أسهل طريق يُبلغه مأربه ، أن يبث أخباراً عن نفسه ثم ينسبها إلى رسول الله (ص) توهم من يسمعها أنه كان ذا منزلة خاصة عند رسول الله (ص) وأنه كان يؤثره على غيره من كبار الصحابة بفضله !

ومما سوّل له أن لا يتحرج في الرواية ، وأن يذهب فيها كل مذهب ، بحيث لا يخشى في ذلك شيئاً ، أن كان المفترى عليه صلوات الله عليه قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وأن وجد الأصحاب الكبار الذين يكذبونه في مزاعمه ، قد انتقلوا جميعاً إلى رحمة الله ، وبخاصة عمر الذي ذهب عنه الخوف من درّته التي كانت تباشر ظهره إذا ما روى ـ وقد صرح هو بعد أن استباح لنفسه الرواية فقال : إني أحدثكم بأحاديث لو حدثت بها في زمن عمر لضربني بمخفقته ، ولا تنسَ أن وضع الحديث كان قد فشا واستفاض في عهد معاوية كما بينا .

ومن الأسباب التي أعانته على الرواية هو اتساع الفتوح الإسلامية ، ومن أسلموا فيها لا يعرفون شيئاً مما كان في عهد النبي (ص) وخلفائه الراشدين ، ومن وراء ذلك كله كان السلطان يؤيده ، ويوسع له ولغيره مجال الوضع .

كل ذلك قد جعله ـ بعد أن خلا الجو له ـ أن يرخي لنفسه عنان الرواية ويهيم في أوديتها ، ويفتنّ ما شاء أن يفتن فيها ، حتى سال سيلها ، وطم واديها ، وأصبح بذلك (محدث الدولة الرسمي) فكل ما يرويه يجب أن يكون صحيحاً مقبولاً !!

وهذا الحديث الذي نتحدث عنه هنا ليس هو الأول من غرائبه ، وإنما

لـه نظائـر كثيرة . ومن هـذه النظائـر ما قـرأت نبأه قبـل ذلك في قصـة الثوب والمـزود والأجربـة ، ومنهـا ادعـاؤه أنـه كـان مـع أبي بكـر في حجتـه ! وأن النبي (ص) قـد وكله بحفظ زكـاة رمضـان ! وغيـر ذلـك من مـزاعمـه التي لا تحصى .

ولـو أنت رجعت إلى مسنده فـدرسته دراسـة علمية عميقـة ، وأردت أن تحصي ما فيه من الغرائب والخرافات والترهات لملأت من ذلك كتابـاً ضخماً برأسه .

* * *

وإذا كان تاريخ أبي هريرة قد حمل ما حمل من العجائب مما قد يمكن السكوت عليه ، وغض النظر عنه ، فإن هذه الغَرائب الثلاث المضحكـة لتثير أعـظم الدهش ، وأشـد العجب ، إذ لا يمكن أن يصدقهـا أي عقل ، إلا إذا كان متعفناً ، ومن أجل ذلك لا يمكنّا أن نسكت عليها ، أو لا نقف فيها .

ومن العجيب المـذهل أن هـذه الغرائب ـ أو الخـرافات ـ قـد اتخـذت سبيلها في التاريخ الإسلامي من لـدن تدوينـه إلى اليوم ، وتمكنت من عقـول جمهور المسلمين وأفكارهم ، لتفعل فعلها مـطمئنة ، فـلا يتكلم أحد فيهـا ، ولا يقف باحث عندها ، ويقولون كيف لا نصدقها ، والذي صاغها (صحـابي جليل[1]) وكل ما يأتي بـه أي صحابي فهـو صحيح لا ريب فيـه . وإذا كانت هذه القاعدة العقيمة التي أضحكت الناس علينا ـ قـد أوجبها التقليـد والجمود من قبل ، فإنها قد أضحت الآن مما لا يمكن بأي حال أن تتبع ، وبخاصة أن وراء مثـل هذه الخـرافات أمـراً خطيـراً يجب الالتفات إليـه ، ووضعه مـوضع الاعتبار ، **ذلك أن هذه الخرافات ومثيلاتها مما يرويه أبـو هريـرة ـ أو غيره ـ متصلة كلهـا بشخص رسـول الله صلوات الله عليـه أو بـدينـه** ، **فـإقـرارهـا أو السكـوت عليهـا** ، ممـا يسـوء ـ ولا ريب ـ مقـام النبي ، ويجلب النقـد إلى

---

(١) ثم جعلوه أخيراً «راوية الإسلام» .

دينه ، وقد أصبح للناس عقول يفهمون بها ، **وعلوم يزنون بموازينها ـ وإن التغاضي عن مثل هذه الخرافات ليدع للناس أن يقولوا : إن هذا الرسول يأتي بالخرافات ، وإن دينه مبنيّ على الترهات** . على حين أنه صلوات الله عليه ما بعث إلا لهدم الخرافات والأوهام واقتلاعها من الأساس ، وأتى بدين أساسه العقل السليم والفكر الصحيح . وإنا إذ نذكر ما نذكر ، والأسى يملأ جوانحنا ، لنرجو أن يكون قد آن لعلماء المسلمين المثقفين ، أن يمحصوا تاريخهم ، ويطهروا دينهم مما شابه من الخرافات ، وما غشيه من الترهات ، حتى يبدو للناس على نور العلم والعقل ، كما أراد الله في أصدق صورة وأروعها .

* * *

وإذا انتهينا إلى هنا فإنا نذكر طرفاً مما قام به أبو هريرة إلى آل أبي العاص وبني أمية .

بعض ما قدمه أبو هريرة إلى آل أبي العاص وبني أمية

لم يكن ما قدم أبو هريرة إلى آل أبي العاص عامة ، وسائر بني أمية ومعاوية خاصة ، جهاداً بسيفه أو بماله ، وإنما كان كما قلنا ـ أحاديث ينشرها بين الناس ، يطعن فيها على عليّ رضي الله عنه ويخذّل بها أنصاره ، ويجعل الناس يتبرأون منه ، أو يشيد بفضل عثمان ومعاوية !

ومما رواه في فضل عثمان ما رواه البيهقي عنه : أنه لما دخل دار عثمان وهو محصور استأذن في الكلام ، ولما أذن له قال : إني سمعت رسول الله يقول : إنكم ستلقون بعدي فتنة واختلافاً ، فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ أوَما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالأمير وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان . أورده أحمد بسند جيد !

ولما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال[1] : أصبتَ

---

(١) ص ١٦ ج ٧ البداية والنهاية .

ووفقتَ ، أشهد ! لسمعت رسول الله يقول : أشد أُمتي حبّاً لي ، قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ، ولم يروني - يصدقون بما جاء في الورق المعلق ، فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ! فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف .

وهذا الحديث من غرائبه ، وهو ينطق ولا ريب أنه ابن ساعته كالحديث الذي قبله ، وأنهما من كيسه !

وأخرج ابن عساكر وابن عدي والخطيب البغدادي عنه (أبو هريرة) قال : سمعت رسول الله يقول : إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية ! ورواية أُخرى[1] عنه مرفوعاً ، الأمناء ثلاثة : جبريل وأنا ، ومعاوية !

ومما خدم به أبو هريرة معاوية أنه لما اشتد إنكار عبادة بن الصامت على معاوية - كما علمت من قبل - أرسل معاوية إلى أبي هريرة - وكان يومئذٍ بالشام وقال : ألا تمسك عنا أخاك عبادة ! فأتاه أبو هريرة وقال له : يا عبادة ! مالك ومعاوية ! ذره وما حمل ! فقال له عبادة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن لا تأخذنا في الله لومة لائم ، فسكت أبو هريرة[2] وتخاذل .

ومن تشيعه ، أن معاوية أرسله هو وأبو الدرداء إلى علي ليدعوانه إلى الشورى فقابلهما عبدالرحمن بن غنم الأشعري - وكان من أفقه أهل الشام - وهو الذي فقّه عامة التابعين بالشام وكان له جلالة وقدر ، فكان مما قاله لهما : عجباً منكما ! كيف جاز عليكما ما جئتما به ؟ تدعوان عليّاً أن يجعلها شورى ؟ وقد علمنا أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق ، وأن من رضيه خير ممن كرمه ، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه ! وأي مدخل

---

(١) ص ١٠ ج ٨ البداية والنهاية .
(٢) ص ٤ ج ٢ أعلام النبلاء للذهبي .

لمعاوية في الشورى ! وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة ، وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب ؟؟ فندما على مسيرهما[1] .

أبو هريرة يشهد على عليّ بأنه يحمي قتلة عثمان

ذكر صاحب الغارات أن النعمان بن بشير قدم هو وأبو هريرة على عليّ (ع) من عند معاوية يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان ، لعل الحرب أن تطفأ .

وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان وأبي هريرة من عند عليّ (ع) إلى الناس وهم لمعاوية عاذرون ولعليّ لائمون ـ وقد علم معاوية أن عليّاً لا يدفع قتلة عثمان إليه ـ فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك ، وأن يظهر عذره فقال لهما : ائتيا عليّاً فأنشداه الله وسلاه بالله ، لما دفع إلينا قتلة عثمان ـ فإن أبى فكونوا شهداء الله عليه وأقبلا على الناس فأعلماهم ذلك .

فأتيا إلى عليّ (ع) فدخلا عليه فتكلم أبو هريرة في ذلك ، ولكن عليّاً لم يرد عليه ، وبعد أن كلمه النعمان ، التفت إليه وقال له : حدثني عنك يا نعمان . أنت أهدى قومك سبيلاً ؟ يعني الأنصار ـ قال : لا ، قال : فكل قومك قد اتبعني إلّا شذاذاً منهم ثلاثة أو أربعة ، أفتكون أنت من الشذاذ ؟ فقال النعمان ، أصلحك الله ! إنما جئت لأكون معك وألزمك ، وقد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام ورجوت أن يكون لي موقف أجتمع فيه معك ، وطمعت أن يجري الله تعالىٰ بينكما صلحاً فإن كان غير ذلك رأيك فأنا ملازمك وكائن معك . فأما أبو هريرة فلحق بالشام ، وأقام النعمان عند عليّ (ع) ـ فأخبر أبو هريرة معاوية بالخبر ، فأمره أن يعلم الناس ، ففعل ، وأقام النعمان بعده ثم خرج فارّاً من عليّ (ع) ، وكان النعمان عثمانيّاً . (ص

---

(١) ص ٤١٤ ج ٢ ، من الاستيعاب لابن عبد البر .

٢١٣ ، المجلد الأول من شرح نهج البلاغة) .

ولما خرجت الخوارج على عليّ رضي الله عنه وقامت الحرب بينه وبين معاوية أخذ أبو هريرة يثبط الناس ، وكان ذلك من أسلحته في مناصرة معاوية ، وذلك بأحاديث يرويها عن النبي (ص) منها ما رواه أحمد والبخاري عنه : ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي من استشرف لها تستشرفه ـ ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به[1] !!

يروي هذا وهو يعلم أن حديثه هذا مخالف لقوله تعالىٰ ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾ ولما جاء في كثير من الأحاديث من الضرب على يد الظالم .

---

(١) ص ٩٥ ج ١٣ من فتح الباري وقد ظل هذا الحديث سنداً قوياً يرتكن إليه كل الذين يريدون أن يثبطوا الناس عن الجهاد ضد الظالمين ، ويعوقوهم عن دفع بغي الغاصبين ، ـ وعلى سبيل المثال ـ نذكر أنه لما تمكن الإنجليز في سنة ١٩١٤ من القبض على ناصية البلاد المصرية بقوتها ، وأعلنت الأحكام العرفية فيها لكي تبلغ في ظلها كل ما تريد من نهب وسلب وظلم وقهر هاج الناس وماجوا واضطربت الأمور ، ولما انتشر الأمر على الإنجليز لم يجدوا وسيلة يدفعون بها غضب الجماهير ويطفئون نار ثورتهم ، إلا أن يلجأوا إلى مشيخة الأزهر الشريف لإنقاذهم فطلبوا منها أن تسعى بنفوذها الديني إلى تهدئة الخواطر وصدعت المشيخة بما أُمرت به وأصدرت منشوراً طويلاً للناس كافة وإلى طلبة العلم خاصة أن يلزم الجميع سبيل الهدوء ويخلدوا إلى السكينة ويستسلموا للغاصب «ولا يتكلم أحد منهم في الأحوال الحاضرة» وألزمت الطلبة خاصة بأن لا يبرحوا منازلهم من الساعة السادسة مساء ولم يجدوا سنداً يرتكنون عليه فيما دعوا الناس إليه ، إلا هذا الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة وقد وقع هذا المنشور هيئة كبار العلماء وفريق كبير من العلماء ، ونام المصريون حتى بلغ الإنجليز مأمنهم وانتصروا ـ على ظلمهم ـ كما نام المسلمون من قبل حتى تغلب الأمويون على بغيهم ، كل ذلك وغيره ، مما لم يصل إلينا خبره ، يقع ببركة حديث (راوية الإسلام) أبي هريرة(*) .

(*) ومن شاء أن يطلع على صورة هذا المنشور فليرجع إلى كتاب (السلطان حسين) تأليف الأستاذ محمد سيد كيلاني ص ٤٣ ـ ٤٦ أو الصحف المصرية الصادرة في ١٠/١١/١٩١٤ . .

وروى الشيخـان عنـه واللفظ لمسلم أن رسـول الله (ص) قـال : من أطاعني فقد أطـاع الله ، ومن عصاني فقـد عصى الله ، ومن أطاع الأميـر فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني .

ولقد كان يظن عندما وقع الخلاف بين عليّ ومعاويـة أن الدائـرة ستدور على معاوية لأنه على الباطـل ، والحق في جانب عليّ رضي الله عنـه . فقبع واستكـان ولما تغلب الـظلم والبغي كشف عن وجهـه ، وظهـر أمـام معـاويـة بـولائه ، وكـان أول من تلقى بسر بن أرطاة الذي أرسله معـاوية إلى المـدينة للفتك بأهلها وأخذ البيعة منهم له فعاونه في أخذ البيعة ، وقال له : سـر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به ، وانهب كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا ؛ ففعل بسر بأهل المدينة ما لم يفعله جبـار من قبل ـ وقد كان كما وصفـوه قاسي القلب فـظّاً سفاكـاً للدماء لا رأفـة عنده ولا رحمـة ـ فروّع أهلهـا وأنزل بهم من ألـوان العذاب مـا تقشعر منـه النفـوس ، وتنخلع القلوب ، من تقتيل وتنكيل وتحريق وهتك للحرمات ، ولم يجـد فيها مرحباً به ، ولا معيناً لـه ، ولا راضياً عن جـرائمه سـوى أبي هريـرة . . الذي كـان غاليـاً في مناصـرة معاويـة ، وبعد أن أخـرس الناسَ الـرعبُ واستسلموا مـرغمين ، نادى فيهم وقـال : «**قد استخلفت عليكم (أبـا هريـرة)** ، فـإيـاكم وخلافه» .

ولم يـزل أبو هـريرة قـائماً بـولايته يصلي بـالنـاس حتى قـدم المـدينـة جارية بن قـدامة السعـدي من قبل أميـر المؤمنين عليّ في ألفي فارس ، فلم يكد أبو هريرة يسمع بقدومه حتى ولّى هارباً من وجه جارية ، فقال جاريـة فيه كلمته المشهورة المحفوظة : «لو وجدت أبا سنور لقتلته» (أي أبا هـريرة) ولم يكد يخلو له الجو ويتسق الأمر لمعـاوية بعـد قتل الإمـام حتى عاد أبـو هريـرة فتولّى أمر المدينة .

ولا ريب في أن الـذي قـذف الـرعب في قلب أبي هـريـرة حتى لاذ بالفرار ـ تـاركاً صـلاته وصـلاة من معه ـ إنمـا هو الخـوف والجزع من بـطش

جـارية ـ أن يؤاخـذه بما اقتـرف من الإثم مع بسـر بن أرطاة عنـدما أغـار على المدينة ، فيفتك به ويجعله مثلاً لغيره ـ ذلك بأن أبا هريرة كان وحـده من بين أهلها جميعاً الذي تشيع له ، ورحب به ، ومشى في ركابه وناصره عندما أخذ البيعة لمعاوية بقهره وجبروته .

ومن أجـل ذلـك كله خصـه جـاريـة ـ دون سـواه من أهـل المـدينــة ـ بتهديده ، وأنه لو وجده لقتله ، ولم يفعل جارية مثـل ذلك مـع أحد من أهـل المدينة قاطبة غيره[1] .

وتولية أبي هريرة للمدينة من قبل معاوية لولائه له (وعليّ حيّ) أمر نص عليه جميع المؤرخين[2] ولهذه التولية ولا ريب معنى لا يخفى على اللبيب .

وقد بلغ من مناصرته لبني أمية أنه كان يحث الناس على أداء مـا يطالب به عمالهم ويحذرهم من معصيتهم ، أو أن يسبوهم .

قال العجاج الـراجز[3] قـال لي أبو هـريرة : ممن أنت ؟ قلت من أهـل العراق قال : يـوشك أن يـأتيك بُقعـان الشام[4] فيـأخذوا صـدقتك فـإذا أتوك فتلقهم بها ، فإذا دخلوهـا فكن في أقاصيهـا ، وخل عنهم وعنهـا ، وإياك أن تسبهم، فإنك إن سببتهم ذهب أجرك ، وأخذوا صدقتك ، وإن صبرت جاءت في ميـزانك يـوم القيامـة !! ـ والأخبار في ذلـك كثيرة ، وممـا رواه في فضل معاوية ما أخرجه الخطيب عنه : ناول النبي (ص) معـاوية سهمـاً فقال : خـذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة .

وقد بلغ من شدة إخلاص أبي هريرة لمعاويـة أنه كـان يتمنى لو يكـون

---

(١) راجـع ابن الأثيـر في حـوادث سنـة ٤٠ هـ عنـد ذكـر سيـر بسـر إلى الحجـاز واليمن ص ٣٧٣ ج ٣ طبعة ليدن لترى كلمة جارية هذه .

(٢) راجع تاريخ الذهبي الكبير ص ٣٣٤ ج ٢ .

(٣) ص ٥٧٢ من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ .

(٤) بقعـان الشام : خـدمهم وعبيدهم وممـاليكهم ومصدقيهم والمصـدق بتخفيف الصاد ، وتشديد الدال المكسورة هو عامل الزكاة التي يستوفيها من أربابها أي الجابي .

من أبطال الحروب فيغامر في مواقع صفين ضد عليّ رضي الله عنه .

فقد روى العتكي قال : كان أبو هريرة مع معاوية في صفين ، وكان يقول : لأن أرمي فيهم بسهم (يعني أهل العراق) أحب إليّ من حُمْرِ النَّعم[1] .

أهل الغرب ! ودمشق !

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال : لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ، قال أحمد وغيره : هم أهل الشام .

وجعل أبو هريرة دمشق من مدائن الجنة في حديث رفعه إلى النبي (ص) هذا نصه : أربع مدائن من مدائن الجنة ، فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، أما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وأنطاكية وصنعاء .

وإليك خبراً تتفكه به وتطرب له .

حسن وجه معاوية :

نظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة ـ وكانت مشهورة بالجمال الفائق ـ فقال : سبحان الله ! ما أحسن ما غذاك أهلك ! (والله) ما رأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله[2] .

أبو هريرة وهند :

قال الشافعي فيما رواه الطبري ، قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقة قمر ! وخلقها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ومعها صبي يلعب ! فمرّ رجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه ! فقالت هند : إن لم يسد إلا قومه فأماته الله[3] ، ولا ريب في أن أبا هريرة قد

---

(١) ص ٥٩ من كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم البلخي (مخطوط) .
(٢) ص ١٠١ ج ٦ العقد الفريد .
(٣) ص ١٥٩ من كتاب معاوية بن أبي سفيان في الميزان للعقاد .

وضع هذا الحديث ليتقرب به إلى معاوية .

وقصة غريبة :

ولقد كان معاوية يعهد إليه بما يوصله إلى أغـراضه ، فقـد روى الثقات أنه لما أراد أن يحتـال على طلاق زوجـة عبدالله بن سـلام القرشي زينب بنت إسحاق ، بعد أن هام يزيد بجمالها ، أرسل أبا هريرة وأبا الدرداء إلى عبدالله ليبلغـه رغبة معـاوية في أن يـزوجه ابنتـه لورعـه ، على أن يطلق زوجتـه لكي تخلص ليزيد ، فصـدّق عبدالله ، ولكنـه بعد أن خسـر امرأتـه أبى معاويـة أن يزوجه ابنته[1] !

معاوية يحدث صلاة موقوتة من أجل هواه وأبو هريرة يؤصلها له :

لما بلغ معاويـة نعي أمير المؤمنين (عليّ رضي الله عنـه) وقت الضحى قـام فصلّى ست ركعـات ، ثم أمـر بني أمية بـالأحـاديث في فضلهـا عن النبي (ص)[2] وهـذه الصلاة لم يصلهـا النبي (ص) ولا أبو بكـر ولا عمـر ولا ابن عمر[3] .

ولكن لم يلبث محدث الدولة أبو هريرة أن روى هذا الحديث :

أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثـلاثة أيـام في كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر[4] .

ولقـد كان أبـو هريـرة كثيراً مـا يدعي بـاطلاً أن النبي (ص) خليله وقـد حققنا أمر هذا الادعاء الباطل فيما مضى[5] .

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) ص ١٨٥ ج ٣ الصراط المستقيم للعاملي .

(٣) ص ٤٠ ج ٣ البخاري .

(٤) ص ٤٤ من نفس المصدر .

(٥) راجع صفحة ١٤٧ من هذا الكتاب .

أبو هريرة يضع أحاديث على عليّ رضي الله عنه

وضع أبو هريرة أحاديث كثيرة على عليّ رضي الله عنه ، يطول بنا الحديث لو أتينا بها كلها ، فنكتفي بأمثال قليلة تنبىء عن غيرها .

قال أبو جعفر الإسكافي[1] : إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ـ منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير . . إلخ .

وروى الأعمش قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (سنة ٤١) (وهو في الحقيقة عام الفرقة) جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعته مراراً وقال يا أهل العراق ! أتزعمون أني (أكذب)[2] على رسول الله وأحرق نفسي بالنار ! (والله) لقد سمعت رسول الله يقول : إن لكل نبي حرماً ، وإن حرمي بالمدينة مابين عير إلى ثور[3] ، فمن أحدث فيهما حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها !! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة[4] .

---

(١) ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة .

(٢) يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي كان قد اشتهر حتى عم الآفاق وأصبح الناس يتحدثون به في كل مكان .

(٣) قال صاحب معجم البلدان في حرف (الثاء) ثور اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ـ وفي الحديث : أنه حرم بين عير إلى ثور : قال أبو عبيد : أهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلاً يقال له : ثور ـ ويرى أهل الحديث أنه حرم ما بين عير إلى أحد . . وقال بعض الرواة بين عير إلى كدى ـ وقيل بمكة جبل إسمه عير ولا يجوز أن يعتقد أنه حرم ما بين عير الجبل الذي بالمدينة وثور الجبل الذي بمكة فإن ذلك بالإجماع مباح .

(٤) ص ٣٥٩ ج ١ شرح نهج البلاغة وص ٥٨ من كتاب قبول الأخبار لأبي القاسم البلخي .

على أن الحق لا يعدم أنصاراً وأن الصحابة إذا كان فيهم مثل أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم ممن يستطيع معاوية أن يستحوذ عليهم ، فإن فيهم كثرة غالبة لا يستهويها وعد ولا يرهبها وعيد ، وكذلك في غيرهم من سائر الناس .

فقد روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار أنه ـ أبو هريرة ـ لما قدم الكوفة مع معاوية[1] كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه ، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه وقال : يا أبا هريرة ، أنشدك الله ، أسمعت رسول الله يقول لعليّ بن أبي طالب : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ؟ فقال : أللهم نعم ! فقال : فأشهدُ بالله ، لقد واليت عدوّه ، وعاديت وليّه . ثم قام عنه بعد أن وخزه هذه الوخزة الأليمة .

كيف يفعل التعصب والحرص على الدنيا

ذكر البطليوسي أن من العلل التي تعرض للحديث علة (فساد الإسناد) ، وقال إنها من أشهر العلل ، وإن الإسناد يعرض له الفساد من أوجه ، منها أن يكون الراوي متعصباً لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم ، وقال : «ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يُعلم منه حرص على الدنيا وتهافت على الاتصال بالملوك ونيل المكانة والحظوة عندهم ، فإن من كان بهذه الصفة لم يؤمن على التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصاً على مكسب يحصل عليه ، ألا ترى إلى قول القائل[2] :

ولستُ وإن قرِّبتُ يوماً ببائع ... خَلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب
ويعتدهُ قوم كثير تجارةً ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

---

(١) يتبين من ذلك أن معاوية كان يستصحب أبا هريرة في رحلاته ليكون داعياً له وأنه لم يكتف بملازمته إياه بالشام .

(٢) هو من رجال باهلة العظام يخاطب عبد الملك بن مروان .

وقد نبه رسول الله (ص) على نحو هذا الذي ذكرناه بقوله : «إن الأحاديث ستكثر بعدي ، كما كثرت عن الأنبياء قبلي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عني قلته أو لم أقله[1] .

ومما لا يمتري فيه أحد أن أبا هريرة كان متعصباً لمعاوية منحرفاً عن عليّ رضي الله عنه ، وأنه كان حريصاً على الدنيا متهافتاً على الاتصال بمعاوية لنيل المكانة والحظوة عنده وقد نال كل ما يريد .

جزاء من يداخل السلطان الظالم

ومما لا يكاد يختلف عليه أحد أن معاوية بن أبي سفيان كان أول حاكم ظالم في الإسلام ، ومما لا مراء فيه كذلك ، أن أبا هريرة قد داخله وناصره وركن إليه ، فترى ماذا يكون جزاؤه وجزاء مثله على ذلك في كل عصر ؟

أما القرآن الكريم فقد قضى فيهم بأن جزاءهم النار وذلك في قوله تعالىٰ ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ .

وهاك ذرواً من تفسير هذه الآية الكريمة :

قال أبو بكر الجصاص في تفسيره (أحكام القرآن) : الركون إلى الشيء هو السكون إليه والمحبة ، فاقتضى ذلك النهي عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم ، والإنصات إليهم وهو مثل قوله تعالىٰ : ﴿**فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ .

وقال الزمخشري في الكشاف : والنهي متناول للانحطاط في هواهم ، والانقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضا

---

(١) ص ١٠٣ و١٠٤ من كتاب (الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) للإمام أبي محمّد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ وقد بينا سائر العلل التي تكلم عنها البطليوسي في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) فيرجع إليها هناك .

بـأعمالهم ، ومـد العين إلى زهرتهم ، وذكـرهم بما فيـه تعظيم لهم ، وتـأمل قـوله : ﴿وَلَا تَـرْكَنُوا﴾ فـإن الركـون هو الميـل اليسير وقـولـه : ﴿إِلَى الَّـذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم ، ولم يقل الظالمين .

وقال الرازي في مفاتيح الغيب : قال المحققون : الـركون المنهي عنـه هو الرضا بما عليه الظلمـة من الظلم وتحسين تلك الـطريقة وتـزيينها عنـدهم وعند غيرهم ، ومعنى قوله : ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي أنكم إذا ركنتم إليهم فهذه هي عاقبة الـركون ، واعلم بـأن الله حكم بأن من ركن إلى الـظَّلمة لا بـد أن تمسه النار ، وإن كان كذلك فكيف يكون حال الظالم نفسه !

وقال البيضاوي في (أنوار التنزيل) : وإذا كان الركون إلى من وجـد منه ما يسمى ظلماً كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم ، ثم بالميل إليهم كل الميل ، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه .

ونتـم القول في ذلك بما جاء في الحديث عمن يداخلون الظالمين :

في حـديث ابن عباس الـذي ذكـره ابن عبـد البـر في الجـزء الأول من جامع بيان العلم .

«من أتى أبواب السلطان افتتن» .

وأخـرج أحمد وأبـو داود من حديث (أبي هـريرة) : «مـا ازداد أحد من السلطان دنـوّاً ، إلا ازداد من الله بعداً» ، وروى النسـائي والترمـذي والحاكم وصححاه وغيرهم من حديث كعب بن عجـرة مرفوعـاً : سيكون بعـدي أمراء فمن دخـل عليهم فصدقهم بكـذبهم ، وأعـانهم على ظلمهم ، فليس مني ، ولست منـه ، ومن لم يـدخـل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ، ولم يصـدقهم بكذبهم فهو مني ، وأنا منه ، وهو وارد عليّ الحوض .

وهنـاك أحاديث كثيـرة في ذلك أخـرجهـا الجـلال السيـوطي في كتـاب (الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين) وقد تركناها خشية الإطالة .

ولا يمتري أحد أن الصفات التي ذكرها المفسرون في تفسيـر آية ﴿وَلَا

تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ ، وما جاء في الأحاديث الشريفة ، ينطبق كله على أبي هريرة ، ومن على شاكلته في مداخلة معاوية والركون إليه .

أيادي بني أمية على أبي هريرة :

عرف بنو أمية صنيع أبي هريرة معهم ، وقدروا موالاته لهم فأغدقوا عليه من أفضالهم ، وغمروه برفدهم وأعطياتهم ، فلم يلبث أن تحول حاله ، من ضيق إلى سعة ، ومن شقاء إلى دعة ، ومن فقر إلى ثراء ، ومن ضعة إلى علياء .

وبعد أن كان يستر جسمه بنمرة بالية ، أصبح يلبس الخز[١] والديباج[٢] والكتان الممشق والساج المزرور بالديباج ، وبعد أن كان خادماً صار سيداً مخدوماً ! ومن قوله كما جاء في الحلية : نزعت نمرة على ظهري فبسطتها بين يديه (ص) كأني أنظر إلى القمل يدب عليها . وكان يربطها في عنقه فتبلغ ساقه فيجمعها بيده لئلا تبدو عورته .

وروى البخاري عن محمد بن سيرين قال : كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان ، فقال : بخ بخ يتمخط في الكتان ! لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ ! فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون ! وما بي من جنون ! ما بي إلا الجوع[٣] .

ورواية الذهبي في أعلام النبلاء :

---

(١) قال ابن سعد في طبقاته (ص ٥٨ ـ ٤ ـ ٢) والذهبي في أعلام النبلاء ص ٤٥٠ ج ٢ إن أبا هريرة كان يلبس الخز .

(٢) هو الطيلسان ـ وروى ابن سعد في نفس المصدر أن أبا هريرة كان يلبس الساج المزرور بالديباج .

(٣) ص ٢٥٩ و٢٦٠ ج ١٣ من فتح الباري .

عن محمد : كنا عند أبي هريرة فتمخط فمسح بردائه وقال : الحمدلله الذي تمخط أبو هريرة في الكتان[1] .

ولا يستغرب أحد من هذا الأمر المستقذر الذي تنفر منه النفوس ، فإن الذي يستسيغ غمس الذباب في الطعام ثم يأكله ، لا يستغرب منه أي شيء يفعله بعد ذلك . وحسبه أنه أبو هريرة !

ولقد كانت أول لفتة من عين الأمويين إلى أبي هريرة ، أن ولاه معاوية على المدينة ، ثم زادت أياديهم عليه فبنوا له قصراً بالعقيق ، وأقطعوه أرضاً به ، وأُخرى بذي الحليفة ، ولا يحصى ما أسدوه له ، وإنما التي هي قاصمة الظهور ، ومحرجة الصدور ، والتي لا يذكرها إنسان ذو نفس كريمة إلا امتلأ حزناً وأسى أن يزوجوه من الأميرة الجليلة بسرة بنت غزوان أخت الأمير المجاهد الجليل عتبة بن غزوان[2] .

والذي زوّجه منها مروان بن الحكم أيام ولايته على المدينة من قبل معاوية .

وقد ذكر ابن حجر في الاصابة (ص ٣٠ ج ١) أنها قد استأجرت «أبا هريرة» في العهد النبوي ثم تزوجها بعد ذلك ، لما كان مروان يستخلفه في إمرة المدينة على عهد معاوية .

ولقد كان هذا الزواج بعد موت أخيها عتبة بزمن طويل ، ولو كان حيّاً ما استطاع أن يدنو ممن تخدمها ، ولكنها المصادفات الغريبة الساخرة .

لك الله أيتها الأميرة الفاضلة الأصيلة الطاهرة التي قضى عليها بؤسها وشقاؤها أن يفترشها من كان من قبل يخدمها في أيام عريه وفقره بطعام بطنه .

---

(١) ص ٤٢٦ ج ٢ .

(٢) هو الأمير الجليل عتبة بن غزوان أسلم سابع سبعة وكان من الأمراء الغزاة ـ وهو الذي اختط البصرة وأنشأها ومصرها ولما استعمله عمر عليها بنى بها مسجداً ولم يبن داراً توفي سنة ١٨ هـ وقيل سنة ١٥ هـ .

ألا ما أقسى الزمن ، وما أظلم الدهر ! مهين مثل أبي هريرةَ يتيح له الحظ فيجد من عون السلطان وغفلة الزمان ، ما ينال به ، ما لم يكن يحلم به !

وليته كان كريماً مع هذه السيدة الجليلة التي عثر بها جدّها ، فوقعت مضطرةً فريسة ـ وهي العربية الأبية ـ بين يديه ، فيذكر سالف بِرِّها به وسابق إكرامها إياه ، ويحفظ أياديها الكثيرة عليه أيام فقره وفاقته ، أيام كان يمشي على الأرض بلا نعلين ، كما تهكم به عمر عندما عزله عن البحرين !

ولكنه قد عاملها معاملة قاسية شديدة تتفق مع طبيعته وأصله .

وهاك صورة قاتمة يبدو منها كفره بنعمتها ، وسوء معاملته لها ، وإهانته إياها ، مما لا يصدر مثله عن رجل كريم ، أو زوج نبيل .

أشره وبطره

لما بلغ ما كان يعد مستحيلاً لمثله ، وتزوج من هذه الأميرة العظيمة ، لم يعرف قدر ما سبق من نعم غمرته بها من قبل ، ولم يقدرها قدرها ، فقد استخفه أشره ، ونم عليه أصله وطبعه ، فخرج عن حدود الأدب والوقار للتي قضى عليها سوء حظها ، ونحس طالعها ، بأن تتزوج من خادمها ! فكان يفتخر بعد هذا الزواج الذي كان نكبة على هذه الأميرة ويقول :

إني كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني ، فكنت إذا ركبوا سقت بهم ، وإذا نزلوا خدمتهم . وفي رواية الأثرم وابن ماجه ، كنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أحطب لهم إذا نزلوا ، وأحدو بهم إذا ركبوا ، والآن تزوجتها ، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتني ، ويقول : وكانت إذا أتت على مكان سهل نزلت فقالت : لا أريم حتى تجعل لي عصيدة ! فهأنذا إذا أتيت على نحو من مكانها قلت لها : لا أريم حتى تجعلي لي عصيدة .

ومما أخرجه ابن سعد عن محمد عن أبي هريرة أنه قال : كنت أجير

ابن عفان وابنة غزوان ، بطعام بطني وعقبة رجلي ، أسوق بهم إذا ركبوا[1] ، وأخدمهم إذا نزلوا ، فقالت لي يوماً لتردنّه حافياً ، ولتركبنّه قائماً ، فزوّجنيها الله بعد ، فقلت : لتردنه حافية ، ولتركبنه قائمةً ! وفي رواية لابن سيرين ، لتردنه حافية ، ولتركبنه وهو قائم[2] .

فانظر إلى هذا الكلام الذي تعرى عن كل مروءة وكرم ، إذ يباهي بامتهان زوجه أمام الناس ويجاهر بالتشفي منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل أصيل نبت من عنصر عريق ؟ ولكن لا عجب فإنه أبو هريرة وكفى !

وليته كان يكتفي بذكر هذا الأشر والزهو في مجالسه الخاصة ، بل بلغ من تبجحه في ذلك أنه كان يستعلن به على منبر رسول الله بالمدينة ، وإليك ما رواه في ذلك أبو نعيم في الحلية[3] .

عن أبي يزيد المديني قام أبو هريرة على منبر رسول الله بالمدينة فخطب خطبة ومما قاله فيها : الحمد لله الذي أطعمني الخمير ، وألبسني الحرير وزوّجني بنت غزوان بعدما كنت أجيراً لها بطعام بطني فأرحلتني فأرحلتها كما أرحلتني . . . الحديث .

ومن العجيب أنك ترى من يسوغ هذا الزواج ويقول : إن الإسلام قد سوّى بين الناس في المنزلة فلا فارق بين خادم ومخدوم ! وهو قول باطل لا ينطق به إلا من نبت من عنصر غير كريم ، فهو لا يستطيع أن يميز بين الشريف في عزته ، والوضيع في خسته ، ويجهل ما تقضي به الطبائع البشرية من أن الناس ليسوا سواء في الأخلاق والشيم ، ولا يدري ما قاله الرسول (ص) : «الناس معادن ـ وأنزلوا الناس منازلهم» . هذا وإن كل نبيل النفس أغر المكارم لا يستنكر هذا الزواج فحسب بل ينفر منه ويمقته ويفزع له .

---

(١) تقدم النص من قبل .
(٢) ص ٥٣ ج ٤ ق ٢ من طبقات ابن سعد . وص ٣٢ ج ١ تذكرة الحفاظ .
(٣) ص ٣٨٤ ج ١ حلية الأولياء .

وإن لنا أن نقول هنا ولا نخشى في الحق شيئاً :

إنــه لـو كــان قـد روعي حق العـرف العـربي ، واتبــع حكم الشـرع الإسـلامي ، لما وقـع هذا الـزواج قطّ ، وذلك بسبب انعـدام الكفاءة ووجـود التفاوت العظيم في المنزلة بين هذه الأميرة الجليلة وبين أبي هـريرة ، فبينمـا تراها في السـطح من المجد والشـرف والعزة ، إذ بـك تجده عـارياً من مـزايا الحسب والنسب ، ومـا ظنك بـرجل بلغ من الهـوان والضعة ، أنـه لا يعـرف اسمه !

والكفاءة أول شرط في صحة الزواج ، فإذا ما انعدم هذا الشـرط أصبح الزواج باطلاً ، وبخاصة إذا وقع بإرغام وقهر من حاكم ظالم وسلطان فاجـر ، كما هو الشأن في زواج أبي هريـرة بهذه السيـدة البائسـة المغلوبة على أمـرها الذي وقع تحت سلطان معاوية الغـاشم !! ولكن ما لا يجـوز أن يقع قـد وقع بفعل السياسة وطغيانها !! التي لعن الأستاذ الإمام محمد عبده اسمها ومعنـاها وقال فيها كلمته المشهورة : ما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته .

أمثلة مما رواه أبو هريرة

وقد آن لنا أن نحدثك بأمثلة مما رواه أبو هريرة !

بعدما قدمنا ما قدمنا من تاريخ أبي هريرة ، نسوق إليـك أمثلة مما رواه وعـزاه إلى النبي (ص) ولا نعلق عليها ، بـل ندع ذلـك لعقـول القراء النبهـاء وفطنتهم ، لأن الكلام في أمره قد طال :

أخرج البخاري ومسلم عنه أنه قال : جاء ملك الموت إلى موسى فقال له : أجب ربك ! فلطم موسى عين ملك الموت ففقـأها ، فـرجع الملك إلى الله تعالىٰ ، فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ففقأ عيني ! فردّ الله إليه عينه وقال : ارجع إلى عبـدي فقل لـه : إن كنت تريـد الحياة فضـع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة !

وأخرج أحمد هذا الحديث في مسنده عن أبي هريرة وفيه :

إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً ، قال : فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، الحديث وأخرجه ابن جرير الطبري عن أبي هريرة بلفظ : إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه . وجاء في هذا الحديث أن ملك الموت جاء إلى الناس خفيّاً بعد موت موسى ! وشكراً لموسى !!

وقد أورد الثعالبي في كتابه (المضاف والمنسوب) هذا الحديث تحت عنوان (لطمة موسى) وقال عنه إنه من **أساطير الأولين** وأن ملك الموت هذا (أعور) حتى قيل فيه .

يا ملك الموت لقيت منكرا ... لطمة موسى تركتك أعورا !

وختم قوله بهذه العبارة «وأنا بريء من هذه الحكاية» (ص٤٠ ، ٤١) .
ومن العجيب أن يصف الثعالبي هذا الحديث بأنه من أساطير الأولين بعد أن رواه البخاري ومسلم ، مما يدل على أن هذين الكتابين لم يكن لهما في القرون الأولى الإسلامية تلك القداسة التي جُعلت لهما بعد ذلك ، والثعالبي ـ كما هو معروف ـ قد مات في سنة ٤٢٩ هـ .
ولا ننسى هنا فضل موسى على الناس جميعاً فقد حفظهم من رؤية ملك الموت البشعة ، وله فضل آخر عظيم على المسلمين ، فقد كان هو السبب في أن وضع عنهم ٤٥ صلاة كل يوم وليلة (أُنظر حديث المعراج) إذ أنه استدرك على الله وعلى النبي ونصح له أن يراجع ربه وظل النبي يصعد ويهبط بين الله وموسى تسع مرات ، وفي كل مرة تنقص الصلاة خمساً ! إلى أن أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة ، فجزى الله موسى عن المسلمين كافة أحسن الجزاء ؛ إذ لولاه لكان على المسلمين أن يؤدوا كل يوم خمسين صلاة !

وأخرج البخاري ومسلم عنه : قال النبي تحاجَّت الجنة والنار : فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ! وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم ! قال الله تبارك وتعالىٰ للجنة : أنت رحمتي أرحم

بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : أنت عذابي أُصيب بك من أشاء من عبادي ؛ ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله ! فتقول : قط قط ! فهناك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض . . الحديث .

وروى الشيخان عنه : ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له . . . الحديث .

وأخرج الشيخان عنه مرفوعاً إلى النبي : قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً ! يقاتل في سبيل الله ، فقال له الملك : قل إن شاء الله ، فلم يقل ! فأطاف بهن فلم تلد إلا امرأة نصف إنسان : قال أبو هريرة : قال النبي (ص) لو قال : إن شاء الله لم يحنث ـ وكان أرجى لحاجته ! وفي رواية أنهن تسعون امرأة وفي رواية ثالثة أنهن سبعون ، وفي رواية رابعة أنهن ستون وكل هذه الروايات قد جاءت عن البخاري ومسلم وأحمد . . وكل جائز عند مشايخنا !

وأخرج الشيخان عنه قال : صلّى رسول الله صلاة فقال (ص) إن الشيطان عرض لي فشد عليّ يقطع الصلاة فأمكنني الله منه فدعتّه (أي فخنقته) ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه ، فذكرت قول سليمان (ع) ﴿**رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ الآية .

روى البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله : اشتكت النار إلى ربها فقالت : أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير .

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي (ص) :

يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبعون ما كانوا يعبدون ، وتبقى هذه الأُمة بمنافقيها فيأتيهم الله تعالىٰ في غير الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ! فيقولون : نعوذ بالله تعالىٰ منك ! هذا مكاننا حتى

يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفنا ، فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا !

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً : فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت ، وإني لا أراها إلا الفأرة ، إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب ، وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت ـ الحديث .

وروى البخاري عنه : أن النبي قال : ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع . . ورواية مسلم في كتابه : وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام .

ورواية البزار عنه : غلظ جلد الكافر وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً ـ بذراع الجبار ، يا حفيظ !

ورواية الترمذي والحاكم عنه : وأن ضرسه مثل أُحد[1] وأن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة . وهناك روايات كثيرة عن الكافر ، وكلها عن أبي هريرة أعرضنا عنها .

وأخرج الشيخان عنه عن رسول الله قال : خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ، وزاد أحمد عن أبي هريرة : في سبعة أذرع عرضاً .

وهذا الحديث هو نفس الفقرة السابعة والعشرين من الإصحاح الأول من سفر التكوين (العهد القديم) وإليك نصها : فخلق الله الإنسان على صورة الله ـ على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم .

وفي مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه ، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ، فإن الله خلق آدم على صورته ـ وقد أخرجه البخاري في الأدب المفرد ورواه أحمد كذلك .

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله قال : من عادى لي وليّاً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ،

---

(١) أي جبل أُحد ـ يا حفيظ !

وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحببته ، فكنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله . ترددي عن قبض نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته[1] !

وروى البخاري عنه أنه كان يحمل مع النبي إداوة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها ، فقال : من هذا ؟ فقال : أنا أبو هريرة فقال : أبغني أحجاراً أستنفض بها ، ولا تأت بعظم ولا بروثة . فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه ، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : هما من طعام الجن ، وأنه قد أتاني وفد جن نصيبين[2] - ونعم الجن ، فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم ، أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً !

فانظر إلى تركيب ألفاظ هذا الحديث قبل أن تنظر إلى معانيه !

وفسر (طُوبى) في قوله تعالىٰ ﴿**طوبى لهم**﴾ فقال : طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها : تفتقي لعبدي عما شاء ، فتتفتق له عن الخيل بسروجها ، وعن الإبل بأزمتها وعما شاء من الكسوة[3] .

حديث الذباب

روى البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال : «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله فإن في أحد جناحيه داء والآخر شفاء» .

---

(١) تفرد البخاري بإخراج هذا الحديث وقد طعن فيه الأئمة فقال الذهبي وابن رجل : هذا حديث غريب . وقال الخطابي : التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الأمور غير سائغ . ويبدو أن أبا هريرة قد استقى هذا الحديث من أستاذه وهب بن منبه ، فقد وقع في الحلية في ترجمة هذا الكاهن «وهب» أنه قال : إني لأجد في كتب الأنبياء أن الله تعالى يقول : ما ترددت عن شيء قط ترددي عن قبض روح المؤمن .

(٢) بلدة مشهورة .

(٣) ص ٥١٣ ج ٢ تفسير ابن كثير .

ولهـذا الحديث ألفـاظ مختلفة منهـا : فإن في أحـد جناحيـه سمّـاً وفي الآخر شفاء ، وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء ، ومنها : أن تحت جناح الذباب الأيمن شفـاء وتحت جنـا الأيسر سمّـاً ، فإذا سقط في إنـاء أو في شراب أو في مرق فاغمسوه فيه فإنه يرفع عنـد ذلك الجنـاح الذي تحتـه الشفاء ويحفظ الذي تحته السم[1] .

هذا الحديث قد وجد من نقد الباحثين ما لم يجده حديث آخر ، ذلـك بأن الذباب في نفسه قذر تنفر النفـوس من رؤيته فكيف يـأمر النبي بغمسـه إذا سقط في الإناء الذي فيه طعام أو شراب ثم يتعاطون بعد ذلك ما في الإناء ؟

ومنذ سبع عشرة سنة هب النطاسي البارع الـدكتور سـالم محمد يشـك في هذا الحديث مرتكناً على ما أثبته الحس والعلم وأجمع عليه الأطباء قاطبة من ضرر الذباب ، وأنـه أكبر أعـداء الإنسان لأنـه يسبب أمراضـاً كثيرة تفتـك بالملايين من البشر كل عام ، فوقف في وجهه شيخ جامد يـدرس ـ للأسف ـ الشريعة الإسلامية بإحدى الجامعات المصـرية ـ فـرمى هذا الـطبيب الفاضـل بالجهل ، وأنه لم يحترم (البخاري المقدس) .

وقد رأيت حينئذٍ إنصـافاً للعمـل ، وتنزيهـاً لمقام النبي (ص) ، وتـأييداً لهـذا الدكتـور الباحث أن أنشـر في العدد ٩٦٤ ـ ٢٤ ديسمبـر سنة ١٩٥١ من مجلة الرسالة ـ كلمة هذا نصها :

معركة الذباب

قـامت في الشهور الأخيـرة معركـة حاميـة بين مجلتي : لـواء الإسـلام والدكتور ، حـول حديث الـذباب ، فـالأولى تتمسك بهـذا الحديث ، وتصـر على إثباته ، ليـأخذ النـاس به ، ويصـدقوا بمـدلولـه ، مرتكنـة على أن كتب الحديث قد أوردته ـ ومنها البخاري ـ وأما الثانية فتدفع هذا الحديث وتستبعـد

(١) يبدو أن أبا هريرة قد ذكر هـذا الحديث وهـو على إحدى المـوائد الفـاخرة ـ إذ كـانت الأحاديث تروى في المناسبات ـ ورأى ذبابة وقعت في أحـد الأواني وخشي أن يستقذر الآكلون ما فيها فيفوته شهي طعامها فقال هذا الحديث .

صدوره عن النبي الذي لا ينطق عن الهوى ، وحجتها ما أثبته العلم وحققته التجربة من ضرر الذباب ، وأنه ناقل للعدوى في أمراض كثيرة .

وإن المرء ليأسى أن يقوم إنسان[1] في هذا العصر الذي زخرت فيه بحار العلم وأخرجت من عجائب المخترعات والمستكشفات ما يدهش العقول ، وتسابق أهلوه في مضمار العلم ما استطاعوا للانتفاع بما خلق الله لهم وسخره لعلومهم في السماوات والأرض ، متخذين في ذلك كل سبب من أسباب العرفان والتجربة ـ فيشغل الناس بهذه الأبحاث العقيمة التي لا تنفع ولا تفيد ، بل هي إلى إساءة الدين أدنى ، وإلى ضرر الناس أقرب !

ولقد كان جديراً بمجلة (لواء الإسلام) ألا تسود صفحاتها بمثل هذا البحث العقيم الذي يفتح ولا ريب على الدين شبهة يستغلها أعداؤه ، ويتوارى منها أولياؤه ، وأن تدع الأمر في مثل هذا الحديث إلى العلم وتجاربه ، وما وصلت إليه أبحاثه الدقيقة التي لا يمكن نقضها ، ولا يرد حكمها .

وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم ما يخالف حديثاً من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد ، وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا التي ترك النبي (ص) أمرها إلى علم الناس .

وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان ! وفرض علينا أن نصدقها ، ونعتقد بها اعتقاداً جازماً ؟ إن الذي يجب التصديق به واعتقاده ، إنما هو الخبر (المتواتر) فحسب ، وليس عندنا كتاب يجب اعتقاد كل ما جاء فيه اعتقاداً جازماً يبعث اليقين إلى القلب ، غير القرآن الكريم ، لأنه هو الذي جاء من طريق (التواتر) أما الأخبار التي جاءت من طريق (الآحاد) فإنها لا تعطي اليقين ، وإنما تعطي

---

(١) الإشارة في ذلك إلى هذا الشيخ الحشوي الذي كان يجادل الدكتور بغير حق وقد أصبح معروفاً بين الناس بسخافة العقل وضيق العطن ، وإن كان من شيوخ الدين ، الذين يدرسون الشريعة للشبان المسلمين وغير المسلمين .

الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً ـ فللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها ، وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها ، وهذا أمر معروف عند النظار ، ولا يعارض فيه إلا زوامل الأسفار من الحشوية الجامدين الذين لا يقام لهم وزن .

وإذا نحن أخذنا حديث (الذباب) على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإنا نجده من أحاديث (الآحاد) وهي التي تفيد الظن فإذا لم يسعنا ذلك في رده بعد أن أثبت العلم بطلانه ، فليسعنا ما وصفه العلماء من قواعد عامة في ذلك ، مثل : ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحاً ، ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح[1] .

واذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخاري ـ وهو لا يروي إلا ما كان صحيحاً ـ فإنا نرد على ذلك بأنه قد روى في كتابه ما عدّه هو صحيحاً عملاً بظاهر الإسناد ، لا ما ثبت أنه صحيح في الواقع ـ ولذلك لا يلزم غيره ما اعتبره هو لنفسه .

قال الزين العراقي في شرح ألفيته : وحيث قال أهل الحديث : هذا حديث صحيح فمرادهم ـ فيما ظهر لنا عملاً بظاهر الإسناد ، لا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر ، لجواز الخطأ والنسيان على الثقة ، هذا هو الصحيح عند أهل العلم المحققين ، ولهذه القاعدة قال ابن أبي ليلى : لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع !

وقال الإمام أبو حنيفة في سبب رده لبعض الأحاديث :

«ردي على كل رجل يحدث عن النبي بخلاف القرآن ، ليس ردّاً على النبي ، ولا تكذيباً له ؛ ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل ، والتهمة دخلت عليه ليست على نبي الله ؛ وكل شيء تكلم به النبي فعلى الرأس والعين ، قد آمنا به وشهدنا أنه كما قال» .

---

(١) إرجع إلى كتابنا أضواء على السنة في طبعته الثالثة تجد هذه القواعد مبسوطة هناك .

على أننا إذا سلمنا ـ كما قلنا ـ بأن النبي (ص) قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم (ضرر الذباب) فليس علينا بأس من الرجوع عنه ، وعدم الأخذ به ، لأنه من أمور الدنيا ولنا في ذلك أسوة حسنة بما فعل النبي نفسه (ص) حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بترك تأبيره ـ ولما ثبت بعد ذلك ضرر عدم التأبير وخرج التمر شيصاً ، قال لهم حديثه المشهور «إنما ظننت ظنّاً ، فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به» ، وفي رواية «إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر» . ثم ختم كلامه بهذه القاعدة العامة الجليلة التي يجب أن تكون دستوراً للمسلمين على مدّ العصور ، والتي تثبت بحق أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان ، وأنه صديق العلم وعدو الجهل ، وهذه القاعدة هي **«أنتم أعلم بأمر دنياكم»** .

أما راوي هذا الحديث وهو (أبو هريرة) فقد ردوا له أحاديث كثيرة في حياته وبعد مماته ، حتى من التي صرح بأنه سمعها من النبي مثل حديث : خلق الله التربة يوم السبت[1] .

وإنا نكتفي اليوم بهذه الكلمة القصيرة ونشكر لحضرة النطاسي البارع الدكتور سالم محمد الذي أثار هذا البحث النافع ـ وندعوه وسائر زملائه الأطباء ، ثم رجال العلم جميعاً ، من مهندسين ، وفلكيين ، وجغرافيين ، وغيرهم ، أن يستمروا في أبحاثهم العلمية النافعة بوسائلهم الصحيحة التي دعا إليها الإسلام ، ولا تخشوا أحداً في ذلك «فأنتم أعلم بأمر دنياكم» .

المنصورة　　　　　　　　　　　　　　　　**محمود أبو رية**

وفي نفس اليوم الذي نشرت فيه مجلة الرسالة هذه الكلمة ـ وهو يوم ١٩٥١/١٢/٢٤ تلقيت من سيادة الدكتور سالم محمد ، وكان حينئذٍ مديراً لمستشفى كفر الشيخ ، هذه البرقية ننشرها بنصها لتسجل على وجه التاريخ .

---

(١) ممن اعترضوا على حديث الذباب في عصرنا الدكتور محمد توفيق صدقي .

الأستاذ محمود أبو ريَّة بك المنصورة ـ بمقالك مغتبطون ، ولك شاكرون .

دكتور سالم محمد

أما هذا الشيخ الحشوي الجامد فقد صفعته هذه الكلمة ، وأضمر لنا من يومئذٍ في قلبه حقداً وضغناً ، فلا يدع مناسبة يذكر فيها إسمي إلا نفث لسانه بما يكمن في قلبه . . .

ومن الغريب أن العرب كانوا يعلمون من ضرر الذباب وقذارته مثل ما نعلم ، وكانوا يأنفون من تناول الطعام الذي يقع فيه الذباب ، ويرفعون أيديهم منه استقذاراً له وأنفة ، ومن أجل ذلك قال شاعرهم :

إذا وقع الذباب على طعامي ... رفعت يدي ونفسي تشتهيه

ولما ذكر هذا البيت لأبي هريرة عندما روى حديثه هذا وقيل له : كيف يستقذر العربي الجلف منظر الذباب وهو يقع على طعامه ويرفع يده عنه ونفسه تشتهيه ؟ ثم يأتي الرسول الكريم ذو النفس العالية والذوق السليم فيأمر أمته بأن يغمسوا الذباب الذي يقع على طعامهم ويأكلونه بعد ذلك ؟ فأجاب أبو هريرة بأن رواة هذا البيت لم يحفظوا ما قاله الشاعر وأنه كما رويناه عن شيخنا أشعب :

إذا وقع الذباب على طعامي ... غمست يدي ونفسي تشتهيه

وبذلك لا يكون مناقضاً لنص حديث النبي (ص) . . .

وبعد ذلك كله نقول إن أبا هريرة قد ناقض نفسه في هذا الحديث ، كعادته في التناقض بين أحاديثه ، وإنا ندع الكلام في ذلك إلى إمام كبير من أئمة أهل السنة ، ومن كبار رجال الحديث ، حتى لا نرمى بالتحامل على أبي هريرة ذلكم هو السيد رشيد رضا رحمه الله .

قال رحمه الله : «روى البخاري عن النبي (ص) قال : إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء ، وفي الآخر داء ، فهذا الحديث مشكل ـ وإن كان سنده صحيحاً ـ **وكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها ـ كحديث خلق الله التربة يوم السبت مثلاً وغيره مما ذكره المحققون ، وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم** ، فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلاً قاطعاً على أن النبي (ص) قاله بلفظه ، مع منافاته للعلم ، وعدم إمكان تأويله ، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة (نفسه) . . وهو أن النبي (ص) سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال : إن كان جامداً فاطرحوه وما حولها وإن كان ذائباً فأريقوه ، أو لا تقربوه . فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء إذا وقع فيه الذباب ! فإن ضرر كل من الذباب والفيران عظيم[1]»

وقد ثبت أن ضرر الذباب أعظم من ضرر الفيران بكثير ، وأنه يحمل ميكروبات لأمراض كثيرة[2] .

وله كلام طويل في حديث الذباب نقتطف منه هذه السطور ، قال رحمه الله :

« . . وحديث الذباب غريب عن الرأي وعن التشريع جميعاً ، أما التشريع في مثل هذا ، فإن تعلق بالنفع والضرر ، فمن قواعد الشرع العامة ، أن كل ضار قطعاً فهو محرم قطعاً ، وكل ضار ظنّاً فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفاً ـ وأما الرأي فلا يمكن أن يصل إلى

---

(١) ص ٤٥٦ ج ١٨ من مجلة المنار . وحديث الفأرة رواه مالك في الموطأ وكذلك رواه غيره ونصه : أن النبي (ص) سئل عن فأرة وقعت في سمن فماتت ، قال : خذوها وما حولها من السمن فاطرحوه .

(٢) من الأمراض التي عرفت بأن الذباب ينقلها : التيفويد والكوليرا والزحار والحمى المعوية والرمد الصديدي . . . إلخ .

التفرقة بين جناحي الذبابة في أن أحدهما سام ضار ، والآخر ترياق واق من ذلك السم» !

وقال : «وكل من ظهر له علة في رواية حديث فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعاً ، ولا يصح أن يقال في حقه إنه مكذب لحديث كذا . .»

وقال عن قراءة البخاري واعتقاد ما فيه : «وما كلف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل ما فيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافي أصول الإسلام . . وليس معصوماً هو ورواته من الخطأ ، وليس كل مرتاب في شيء في روايته كافراً ! ما أسهل التكفير على مقلدة ظواهر أقوال المتأخرين ! وحسبنا الله ونعم الوكيل»[١] .

وانظر تحقيق هذا العلامة الذي يفهم الدين بعقل راجح ، وتحقيق متين واضح ، وقارن بينه وبين الذين يصدقون بهذا الحديث ، ويدافعون عنه في المجلات من الذين يزعمون أنهم علماء وقضى سوء الحظ على الجامعات أن يدرسوا فيها ، ومن أجل ذلك قلنا : إن أبا هريرة قد أتى بهذا الحديث من «كيسه» ليحقق به حاجة في نفسه .

وروى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم[٢] وفي رواية بزيادة : والكمأة من المن وماؤها شفاء العين !

ومما رواه الشيخان عنه أن النبي قال : لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة . وقد عمل الصحابة بما يخالفه ـ فقد روى البخاري عن أسامة بن زيد ، أن رسول الله قال : إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها ـ وروى هذا الحديث كذلك عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) ص ٥١ ج ٢٩ مجلة المنار .
(٢) ص ٢٨ ج ٢ طبعة الهند .

ولما سمع عمر هذا الحديث رجع من الشام عندما وجد الوباء بها .

وعندما علم أبو هريرة ذلك ـ عاد فروى عن النبي : لا يوردن ممرض على مصح ـ رواه البخاري ـ ولما قال له الحارث بن أبي ذباب ـ وهو ابن عم أبي هريرة ـ قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث (لا يوردن الحديث) حديث (لا عدوى) فأنكر معرفته لذلك وغضب ، ورطن بالحبشية[1] .

ومن غرائبه التي كان لا يفتأ يطالع الناس بها ليستهويهم ، كما كان يضحك الصبيان بلعبة الغراب وهو أمير على المدينة من قبل معاوية ، تلك الغريبة التي عثرنا عليها أثناء قراءتنا لكتاب الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر ص ١٢٩ :

روى إسحاق في مسنده من رواية مجاهد ، قيل لأبي هريرة : هل في الجنة من سماع ؟ قال : نعم شجرة أصلها من ذهب ! وأغصانها من الفضة وثمرها الياقوت والزبرجد ! يبعث لها ريح فيحرك بعضها بعضاً ، فما سمع شيء قط أحسن منه !

التخفيف عن داود :

أخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال : خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته لتسرج فيقرأ القرآن قبل أن يسرج دوابه !

توكيله بحفظ زكاة رمضان :

أخرج البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال : وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ، قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة فخليت

---

(١) رواه مسلم وكذلك رواه ابن وهب محدث مصر الكبير في جامعه الذي طبعه المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ص ١٠٤ وكان هذا المحدث الكبير لا يروي كثيراً عن أبي هريرة .

عنه ! فأصبحت ، فقال النبي (ص) يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟ فقلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله ، قال (ص) : أما إنه قد كذبك . وسيعود ، فرصدته فجاء يحثو الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ، قال : دعني فإني محتاج ، لا أعود ! فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله : يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت : يا رسول الله شكا حاجته فرحمته فخليت سبيله قال (ص) : أما إنه قد كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . . . إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فلما أصبحت ، قال لي رسول الله : ما فعل أسيرك البارحة ؟ فحكيت له القصة ، فقال : أتعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قلت : لا . قال (ص) : ذلك شيطان !

الله يمسح ظهر آدم :

ومن عجائبه : حديثه أن الله خلق آدم فمسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، أمثال الذر ، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً (أي بريقاً) من نور ثم عرضهم على آدم ، فقال آدم : من هؤلاء يا رب ؟ قال : ذريتك ، فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : يا رب من هذا ، قال : هذا ابنك داود ، قال آدم : كم جعلت له من العمر ؟ قال : ستين سنة ! قال : يا رب زده من عمري أربعين سنة حتى يكون عمره مئة سنة ، قال الله عزّ وجل : اذن يكتب ويختم فلا يبدل ، فلما انقضى عمر آدم ، جاء ملك الموت لقبض روحه ، قال آدم : أوَلم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال له ملك الموت : أوَلم تجعلها لابنك داود ؟ قال : فجحد ، فجحدت ذريته[1] .

(١) أخرجه الحاكم وصححه في المستدرك وأورده الذهبي وصححه في تلخيص المستدرك . .

مانع الزكاة يوم القيامة :

مانع الزكاة يوم القيامة يطوق بشجاع أقرع له زبيبتان يوم القيامة ـ متفق عليه .

كيف يحشر الناس يوم القيامة ؟

يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ! ثلث على الدواب ، وثلث على وجوههم ، وثلث على أقدامهم ينسلون ـ رواه البيهقي .

أحاديث متناقضة !

في سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : ما من رجل يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي ، حتى أرد عليه السلام !

هذا مع ما في النسائي وغيره عنه أن النبي قال : إن الله وكل بقبري ملائكته يبلغوني عن أمتي السلام !

وفي سنن أبي داود وغيره عنه أنه قال : أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة ، وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة عليّ ، فقالوا : يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال : «إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء»(١) .

إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان ؟

أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله قال : إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين . فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قضي التثويب أقبل يخطر بين المرء ونفسه يقول : أذكر كذا لما لم يكن يذكر ! حتى يظل الرجل لا يدري كم صلّى !

---

(١) ص ١٩٠ و١٩١ من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية .

عفريت مع النبي !

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي (ص) : أن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه ، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد ، حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ربّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فرددته خاسئاً ! عفريت متمرد من إنس أو جان ، الحديث . . .

التثاؤب من الشيطان :

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال : التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال : ها ، ضحك الشيطان .

الله يحب العطاس ويكره التثاؤب :

روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي قال : إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب .

صياح الديكة ونهيق الحمار :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة واللفظ للبخاري أن النبي قال : إذا سمعتم صياح الديكة ، فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً .

الله يقرأ : طه ويس :

وأسند الدارمي عن أبي هريرة أن رسول الله قال : «إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام» !

الفرات يحسر عن كنز من ذهب :

روى الشيخان عن أبي هريرة ، قال رسول الله : يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً .

ورواية الأعرج عن أبي هريرة مثله إلا أنه قال : يحسر عن جبل من ذهب ، ورواية مسلم عن أبي هريرة بلفظ (يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ! يقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا الذي أنجو .

ووقع عند أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة مثل هذا الحديث إلى قوله : فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل عشرة تسعة !

وروى عن رسول الله : ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ، ويقعد عنده ، إلا ردّ عليه السلام ، وأنس به ، حتى يقوم من عنده .

رواه أبو الشيخ والديلمي

وروى كذلك : ما من رجل يمر بقبر كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام . وفي كنز العمال (وسنده جيد)

رواه الخطيب وابن عساكر وابن النجار

ومن أحاديثه الغريبة :

روى البخاري عن الزهري قال : قال سعيد بن المسيب ، أخبرني أبو هريرة أن رسول الله قال: لا تقوم الساعة حتى تضطرب[1] أليات نساء دوس على ذي الخلصة ، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية .

لم سُمي الخضر ؟

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي أنه قال : «إنما سمي الخضر ، لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء !»

ولدينا من مثل هذه الأحاديث ما يملأ كتاباً برأسه .

---

(١) حتى تضطرب : أي يضرب بعضها بعضاً ، والأليات جمع ألية على وزن جفنة وجفنات والألية العجيزة وجمعها أعجاز .

وتراجع أحاديثه التي تلقاها عن أستاذه كعب الأحبار في مكانها من هـذا الكتاب .

وإنا إنصافاً لأبي هريرة نقول : إنه جاء ببعض أحاديث يبدو منهـا شعاع النبـوة ، وإن كـانت قليلة جـدّاً ، ولعـل هـذه الأحـاديث كـانت ممـا سمعـه وضبطه ، مثل ما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله قال : لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم ـ ولا يجتمـع شح وإيمـان في قلب رجل مسلم .

وحديث : ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ، رواه البخاري في الأدب المفرد .

وحديث : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل .

وحديث : المؤمن مرآة أخيه ، إذا رأى فيه عيباً أصلحه .

وحديث : سئل الرسول ، أإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال : في كـل كبد رطبة أجر ، رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد .

وإذ وصلنا من تاريخ أبي هريرة إلى هنا ، فإنا نـردف ما سقنـاه من قبل بكلمات للفقيه المحـدث السيد محمـد رشيد رضـا رحمه الله ـ قـالها في أبي هريرة[١] :

كان إسلامه في سنة ٧ هـ ، فـأكثر أحـاديثه لم يسمعهـا من النبي وإنما سمعها من الصحابة والتابعين ؛ فإذا كان جميع الصحابة عدولاً في الـرواية ، كما يقول جمهور المحدثين[٢] ، فالتابعـون ليسوا كـذلك ـ وقـد ثبت أنه كـان

(١) ص ٤٣ ج ٢٩ المنار .

(٢) لقد أخطأ جمهور المحدثين في اعتبار جميع الصحابة عـدولاً ، وقد بينـا ذلك بـالأدلة القاطعة في كتابنا «أضـواء على السنة المحمـدية» من الـطبعة الثـالثة وأثبتنـا أن عدالـة الصحابة أغلبية لا كلية .

يسمع من كعب الأحبار ، وأكثر أحاديثه (عنعنة[1]) ، على أنه صرح بالسماع[2] في حديث ـ خلق الله التربة يوم السبت ـ وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار الأحبار[3] .

وقال[4] : إنه يكثر في أحاديثه ، الرواية بالمعنى والإرسال[5] لأن الكثير منها قد سمعه من الصحابة وكذا من بعض التابعين[6] لا من النبي ، ولهذا تكثر فيه العنعنة .

وقال[7] : «إنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الإنكار ، أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن ، وإخبار النبي (ص) ببعض المغيبات التي تقع بعده ، ويزاد على ذلك ، أن بعض تلك المتون غريب في نفسه ، **ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلل التي يتثبت بها في روايته** ـ كما هو المعهود عند نقاد الحديث ، أهل الجرح والتعديل[8] . **ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة[9]**» .

---

(١) أي أن أكثر أحاديثه لم يكن يتلقاها عن النبي (ص) سماعاً وإنما يرويها عن غيره وقد قال أبو بكر بن العربي : إذا كان الحديث معنعناً كان محتملاً ، ولم يلزم فيه ما يلزم في حدثني ، لأن للراوي أن يقول : عن فلان وإن لم يدركه ، حكاه الشافعي . ص ٥٢ من كتاب الإجابة للزركشي .

(٢) أي أنه سمعه من النبي . وزاد فقال : أخذ رسول الله بيدي .

(٣) هكذا يثبت العالم الكبير ـ كما أثبت غيره ـ أنه كان كاذباً حتى في الأحاديث التي صرح بأنه قد سمعها من النبي وقد مر بك نص الحديث .

(٤) ص ١٦٣ ج ٨ تفسير المنار .

(٥) أي أن أحاديثه كانت بالمعنى وأكثرها مرسلة .

(٦) أي أنه لم يصرح باسم من كان يروي عنه من الصحابة أو التابعين حتى يعرف إن كان عدلاً أو غير عدل .

(٧) ص ٩٧ ج ١٩ المنار مجلة .

(٨) ولكن من يجرؤ على تجريح أبي هريرة وهو محصن بقلاع الصحبة ، وقد أوصدوا باب الجرح والتعديل دون الصحابة جميعاً ، وفتحوه على مصراعيه ليدخل فيه الناس كافة .

(٩) ولكن لا يزال بيننا من يقذفون الذين يتكلمون في روايات أبي هريرة ويرمونهم بالزندقة .

وقال فيه وفي عبدالله بن العباس[1] الذي أكثر الرواية عن رسول الله من غير أن يسمعه لأنه كان صغيراً يوم وفاة النبي حتى قالوا إنه لم يسمع منه إلا أربعة أحاديث وبعضهم أبلغها إلى عشرين حديثاً : على حين أنه روي عنه ١٦٦٠ حديثاً عند ابن الجوزي ، وفي مسند أحمد ١٦٩٦ حديثاً ! «إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة ، ولا أركانها ولا أصولها ، ولا فروعها وإنما رويا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام . **ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الأحكام الشرعية لرأيناه قليلاً جدّاً ، وعلمنا أنه لو لم يروه ، لما نقصت كتب الأحكام شيئاً كثيراً» «وأن الطعن في أبي هريرة لو كان صادقاً ما حطّ من قدر هذه الشريعة شيئاً ولو لم يُخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئاً»**[2] .

ولأن أبا هريرة وغيره كانوا يروون بالمعنى كما بينا ذلك في موضعه من كتاب «أضواء على السنة المحمدية» فقد قال هذا الإمام الكبير ، وهو يتكلم عن تحامي أكثر الصحابة التحديث عن النبي خشية أن لا يؤدوا ما سمعوه على حقيقة لفظه كما نطق النبي به ، فيخالفوا بذلك قوله (ص): «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وأدّاها كما سمعها» ، وإن الجمهور قد جوزوا بعدهم رواية الحديث بالمعنى ـ قال رحمه الله :

«إنه وجد من الصحابة من كان لا يتحامى التحديث كهؤلاء (أي الذين تحاموا عن التحديث) كأبي هريرة الذي **كان أقل ما يروي من سماعه وأكثره من غيره من الصحابة وعن التابعين أيضاً حتى عن كعب الأحبار ـ وكان مع ذلك قلما يذكر سماعاً فأكثر ما روى عنه عنعنة كانت مصدر مشكلات كثيرة»** [3] .

---

(١) ص ١٠٣ ج ١٩ من مجلة المنار ويلاحظ أن السيد رشيد رحمه الله قد قال هذا الكلام في رده على بعض دعاة النصرانية بمجلة الشرق والغرب المسيحية الذين انتقدوا أبا هريرة وابن عباس في أحاديثهما المشكلة ، وكان بذلك يدافع عنهما !

(٢) ص ١٠٨ من نفس المصدر .

(٣) ص ٥١٤ ج ٢٩ من مجلة المنار . ويراجع فصل رواية الحديث بالمعنى في كتابنا الأضواء الطبعة الثالثة .

وقال رحمه الله[1] وهو يبين أن بطلي الإسرائيليات ، وينبوعي الخرافات ، هما كعب الأحبار ووهب بن منبه :

«وما يدرينا أن كل تلك الروايات ـ أو الموقوفة منها ـ ترجع إليهما[2] ، فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض ، ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل ، بل يذكرونه من غير عزو غالباً ، وكثيرون من التابعين كذلك[3] ، بل أكثر ما روي عن أبي هريرة من الأحاديث المرفوعة لم يسمعه منه (ص) ولذلك روى أكثره عنه عنعنة[4] ، أو بقوله : قال رسول الله (ص) وأقله بلفظ ، سمعت رسول الله يقول كذا . وقد روى عن بعض الصحابة وعن بعض التابعين وثبت أنه روى عن كعب الأحبار ـ ومن هنا نجزم بأن موقوفات الصحابة التي لا مجال فيها للاجتهاد والرأي لا يكون لها قوة المرفوع كما قال المحدثون إلا إذا كانت ليست من قبيل الإسرائيليات»[5] .

وقال رحمه الله[6] :

«وأنا لا آمن أن يكون بعض أحاديث أبي هريرة المرفوعة الغريبة المتون التي لم يصرح فيها بالسماع[7] ـ مما رواه عن كعب الأحبار فقد صرحوا بأنه روى عنه» .

* * *

---

(١) ص ٤٧٦ ج ٩ تفسير المنار .

(٢) أي إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه .

(٣) أوضحنا ذلك كله في محله من كتابنا .

(٤) راجع صفحة ٢٦٠ ففيها كلام لأبي بكر بن العربي عن الحديث المعنعن .

(٥) ص ٤٧٦ ج ٩ من تفسير المنار .

(٦) ص ٣٤٢ ج ٢٧ المنار .

(٧) قد ثبت أن الأحاديث التي صرح بسماعها من النبي (ص) قد رواها عن كعب الأحبار كما رأيت في حديث خلق الله التربة يوم السبت كما ذكر ذلك السيد رشيد في كلمته ، فما بالك بالأحاديث التي رواها عنعنة عن غيره .

هذه ترجمة مختصرة لأبي هريرة التزمنا فيها الناحية التقريرية ـ ولم نسلك فيها المنهج التحليلي العلمي العصري الذي لا تكمل التراجم الصحيحة إلا به ، ولا تتم دراسة الرجال والأحداث إلا باتباعه ـ ذلك بأننا لم نصل بعد إلى احتمال سطوتها ـ وبخاصة إذا كان الأمر يتصل بأحد الصحابة الذين قالوا فيهم : إنهم كلهم عدول ! فلا يجوز لأحد أن ينتقد بالعلم أو العقل ، أو بالبرهان والحجة ، أحداً منهم ، لا في روايته ولا في سيرته ـ ومما قالوه فيهم : إن بساطهم قد طوي !! كأن العدالة موقوفة عليهم ، والعصمة مختصة بهم ! وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الإنسانية ـ فلا يعتريهم ما يعتري كل إنسان من سهو أو خطأ ، أو وهم أو نسيان ، ولا نقول الكذب والبهتان ! فحاشاهم ذلك !!

وماذا يقولون فيما جاء في القرآن الكريم عنهم ووصفه لأعمالهم وأنه قد نزلت سورة خاصة بالمنافقين منهم ـ وأن سورة براءة قد سميت (بالفاضحة)[1] لأنها فضحت جماعة منهم ـ وأن أكثرهم قد ارتد بعد موت الرسول ؛ وكذلك ما ورد فيهم من أحاديث صحيحة وأخبار متواترة[2] !

إذا جابهتهم بذلك نبحوك ولعنوك ـ وقالوا : مرتد وزنديق وفاسق ، ثم قذفوك بسبابهم وشتائمهم ، على أنا إذا سلمنا لهم جدلاً بأن كل صحابي معصوم مما يقع فيه غيره من بني الإنسان ، فإن أمر أبي هريرة بخاصة ليباين أمر الصحابة أجمعين ، فقد جرحه كبار الصحابة بما عرفوه عنه ، لأنه كان يعاشرهم وشكوا في روايته بل كذبوه فيها كما بيناه من قبل حتى كان كما

---

(١) أخرج البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة قال : هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظننا أنها لم تبق أحداً ـ وهي تسمى كذلك ، المنقرة لتنقيرها عن أسرار المنافقين ، والمخزية والمثيرة ، والحافرة والمنكلة ، والمدمدمة والمقشقشة والمبعثرة والمشردة وتسمى سورة العذاب ـ ص ١٣٦ ج ٢ تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري .

(٢) إرجع إلى فصل عدالة الصحابة في كتاب (الأضواء) الطبعة الثالثة لترى قول الحق فيهم ولتقف على ما رآه رسول الله منهم ورأيه فيهم .

قلنا : أول راوية اتهم في الإسلام .

وفاة أبي هريرة

توفي أبو هريرة على الصحيح ، كما روى النووي في شرحه على مسلم ، سنة ٥٩ هـ عن ثمانين سنة ، بقصره بالعقيق ، وحمل إلى المدينة وصلّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وكان يومئذٍ أميراً على المدينة من قبل معاوية .

ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعى له أبا هريرة ، أرسل إليه معاوية : أُنظر من ترك وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، وافعل إليهم معروفاً !! وهكذا يترادف رفدهم له حتى بعد وفاته(١) .

تنبيه وتحذير !

هذا هو كتاب (شيخ المضيرة) الذي استخرت الله في تصنيفه ، وأنفقت ما أنفقت من الجهد في سبيله ، وليس لي علم الله - أي غرض من وراء نشره إلا أن يعرف الناس تاريخ هذا الصحابي الذي ملأ الأرض - دون غيره - حديثاً عن رسول الله (ص) على حين أنه لم يصاحبه إلا زمناً يسيراً .

---

(١) وعلى أن أبا هريرة قد دفن بالعقيق بالمدينة فإنك تجد له ضريحاً عالياً فيه قبة مكسوة بالجوخ تعلوها عمامة كبيرة خضراء وهذه القبة داخل مسجد يسمى باسمه ويقع هذا المسجد في شارع يشق مدينة الجيزة (بالديار المصرية) من شرقها إلى غربها يسمى (شارع سيدي أبي هريرة) وقد زرنا هذا الضريح في يوم السبت الموافق ٢٣ يونية سنة ١٩٦٢ وليس بعجيب أن يكون لأبي هريرة قبر في الجيزة غير قبره الذي بالمدينة فإن له من شيخه الكبير كعب الأحبار أسوة ! فهذا اليهودي - كما هو معلوم - مدفون بمدينة حمص بالشام ، ولكن له قبراً آخر فوقه قبة كبيرة تقع بأحد المساجد الكبيرة بحي الناصرية المشهور بالقاهرة . ويعمل لأبي هريرة مولد كل عام تتمثل فيه كل المفاسد التي تقع في كل الموالد .

ومن العجيب أن وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة تنفق على قبري أبي هريرة وشيخه من مال المسلمين ، على عين جميع رجال الدين !

وقد سقنا هذا التاريخ مكشوفاً بعد أن نزعنا عنه ثوب (الرواية) الملفق الذي يظهره في غير صورته ، وأظهرنا شخصيته عارية على حقيقتها ، وعرضنا سيرته كما وقعت على وجهها ، من يوم أن كان يرعى الغنم في بلاده ، ويخدم ابن عفان وبسرة ابنة غزوان بطعامه ، وقدومه على النبي (ص) ليخدمه على ملء بطنه ، واتخاذه الصفة مثابة له بعد إسلامه ، وكان يومئذٍ حافي القدمين لا يستر جسمه إلا إزار بال لا يبلغ نصف الساقين ! حتى كان يجمعه كراهية أن ترى عورته[1] - إلى أن أصبح من ذوي الثراء العريض ، يتأثل الأراضي الواسعة بالعقيق ، وبذي الحليفة ، ويبتني قصراً منيفاً بالعقيق ، ويلبس الخز والكتان الممشق ، والساج المزرور بالديباج ، وغير ذلك مما لم يكن يحلم به ، أو يخطر بباله .

ولم يبلغ ذلك كله إلا بعد أن وصل حبله بحبل معاوية ، وصار من أنصاره ودعاته ، ولم نأل جهداً في دراسة هذا التاريخ وتمحيص حقائقه ، واستقصاء وقائعه حتى خرج في أصدق صورة وأوضح بيان ، بحيث يرى في مرآته الصافية حقيقة مروياته الكثيرة المنبثة في كتب السنة كلها ، وبذلك يمكن الوقوف منها الموقف الذي تستحقه من التحفظ منها ، أو التوقف عنها ، تلك المرويات التي تحمل فيما تحمل غرائب وأساطير وخرافات وأوهاماً ، وتعزى كلها - واأسفا - إلى النبي (ص) وتنتشر بين المسلمين على أنها من حقائق الدين الإسلامي !

ذلك بأننا لو سكتنا عنها ، وجارينا الحشوية والجامدين في قبولها على علاتها ، ومنحناها محض ثقتنا ، وجعلناها في مصادر ديننا ، في عقائدنا وعبادتنا ، وتشريعنا ، فإنما نكون بذلك قد ألغينا عقولنا ، وأسأنا إلى ديننا ، واتبعنا سنن من قبلنا ، من تقليد آبائهم تقليداً أعمى ، وحق علينا حكم الله فيهم ، ومن وراء ذلك خطر عظيم آخر يعود علينا وعلى الدين معاً .

ذلك بأن الاستمساك بهذه المرويات على ما فيها ، يفتح أبواب الطعن

---

(١) كل ذلك قد اعترف به وقد مضى الكلام فيه من قبل في ثنايا هذا الكتاب .

على ديننا من أعدائه بأنه دين خرافات وأوهام ! يعادي العقل ، ويصادم المنطق ، ولا يصلح للحياة ـ ويرمي المسلمين بأنهم يأخذون بالتقليد في الدليل وأنهم بذلك قوم لا يعقلون !

فالأحرى بنا ، والواجب علينا ، أن ندرأ عن أنفسنا وديننا هذه التهم ونشمر عن ساعدنا لتمحيص هذه المرويات ، ولا يأخذنا في ذلك أي اعتبار ، ولو أدى بنا الأمر إلى رفضها أو تكذيبها ، كما فعل الذين سبقونا ، ولنعلم أننا اليوم قد أصبحنا في عصر لا يسود فيه غير سلطان العقل والعلم ، ولا يروج في سوقه إلا ما قام على البرهان العقلي ، أو الدليل العلمي ـ وهما والحمد لله قاعدتا الدين الإسلامي في صميمه ، أما الخرافات والأوهام وما إلى ذلك مما شاب كل الأديان فقد كسدت سوقها ، وبارت تجارتها ، وأصبحت مما يجلب الخزي والفضيحة على معتنقيها .

وإنا بما ندعو اليوم إليه ، لم نكن بدعاً فيه ، ولا بأول من يحض عليه ، فقد سبقنا إلى ذلك كبار العلماء فدعوا إلى ذلك ، وهاك بعض ما قالوه :

فيما يجب اتخاذه نحو رواياته والتحفظ من الاحاديث التي تروى عنه

روى مسلم بن الحجاج عن بُسر بن سعيد قال : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ـ وفي رواية : يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث[1] .

وروى أحمد في مسنده[2] عن القاسم بن محمد قال : اجتمع أبو هريرة

(١) ص ١٠٩ ج ٨ البداية والنهاية لابن كثير . وص ٤٣٦ ج ٢ سير أعلام النبلاء للذهبي .
(٢) ص ٢٧٥ ج ٢ .

وكعب فجعل أبو هـريرة يحـدث كعباً عن النبي وكعب يحـدث أبا هـريرة عن الكتب أي مما يفتريه كعب من الإسرائيليات أو يزعم أنه من كتبهم .

ولكي نزيد هذا الكلام بياناً وتوكيداً نقول :

إنك لو رجعت إلى كتب الحديث فإنـك تجد فيهـا أحاديث كثيـرة لأبي هـريـرة ويـرفعهـا إلى النبي (ص) يـزعم في بعضهـا أنـه سمعهـا بـأذنـه من النبي (ص) ويؤكـد في بعض آخر هـذا السماع ، ويـزيد عليـه فيقول : أخـذ رسول الله بيدي وهو يحدثني !

وإذا أنت تـدبرت هـذه الأحاديث وبحثت عن حقيقتهـا ، وجـدت أنهـا ليست من قول النبي (ص) وإنما هي مكذوبة عليه .

وإنمـا نكتفي هنا بـإيراد مثـل واحد على ذلـك حتى لا يـطول بنـا نفس (الحديث) وهذا المثل ـ كافٍ ولا ريب ـ عند التحقيق لأن يقاس عليـه كل مـا جاء عن أبي هريرة مرفـوعاً إلى النبي (ص) ، ويكشف عن حقيقـة مرويـاته ، ويبين مقدار نصيبها من الصحة ـ ذلك بـأنه إذا كـان يكذب فيمـا يزعم أنـه قد سمعه بأذنه من النبي (ص) وتلقاه عنـه ويده الشـريفة في يـده الـ . . . فكيف يكـون الشأن في الأحـاديث التي يرويهـا عنعنة عن غيـره من الصحابـة أو من غيـرهم من التابعين ! الـذين لم يبين لنا أسمـاءهم حتى نعرف حقيقتهم وهي غالب أحاديثه ؟؟

أنصفوا العلم يا أولي الألباب ، ولا تأخذكم في الحق لومة لائم !

وإذا كنا قد أوردنا هذا الحـديث من قبل فـإنا نعيـد نشره هنـا لأن سياق الحديث يقتضيه ، وتمام القول يوجبه ويستدعيه .

روى مسلم في كتابه الذي يطلقون عليه إسم الصحيـح عن أبي هريـرة أن النبي (ص) أخـذ بيده وقـال : خلق الله التـربـة يـوم السبت ، وخلق فيهـا الجبال يوم الأحد إلخ[١] .

---

(١) إرجع إلى نص هذا الحديث في كتابنا هذا فقد أوردناه من قبل .

وقــد طعن في هـذا الحــديث الأئمـة وقــالـوا : إنــه ليس من قــول النبي (ص) ، وجزموا بأنه من قـول كعب الأحبار ، وإليـك ما قـاله ابن تيميـة الذي يلقبه أهل السنة بشيخ الإسلام قال رحمه الله :

وأما الحديث الذي رواه مسلم في قولـه : خلق التربـة يوم السبت فهـو حديث معلول ، قدح فيـه أئمة الحـديث كالبخـاري وغيره ، قـال البخاري : الصحيح أنه موقوف على كعب الأحبار ، وقد ذكـر تعليله البيهقي أيضاً وبيّنـوا أنه غلط ليس مما رواه أبو هريـرة عن النبي (ص) وهو مـا أنكر الحـذاق على مسلم إخـراجه إيـاه[1] . وقال رحمـه الله : وقد نـوزع مسلم بن الحجـاج في عدة أحاديث مما خرجها وكان الصواب مع من نـازعه ، كمـا روى في حديث الكسوف أن النبي (ص) صلى بثلاث ركـوعات ، والصـواب أنه لم يصـل إلا بركوعين ! وكذلك روى مسلـم خلـق الله التربة يوم السبت ، ونازعـه فيه من هــو أعلم منـه كيحيى بن معين والبخـــاري فبينـوا أنــه غلط وليس من كـلام النبي (ص) والحجة مع هؤلاء ، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجمـاع ، أن الله خلق السمـوات والأرض في ستة أيـام ـ وكذلـك روى أن أبـا سفيـان لمـا أسلم طلب من النبي (ص) أن يتزوج بأم حبيبـة وأن يتخذ معـاوية كـاتباً لـه . وغلطه في ذلك طائفـة من الحفاظ[2] . وذلـك بأن النبي (ص) قـد تزوج بـأم حبيبة وأبو سفيان كافر !

* * *

وبعد ذلك نعود لنتم القول فيما طلبه العلمـاء من التحفظ في الأحاديث التي تروى عن أبي هريرة فنقول .

إذا كـان علمـاؤنـا رحمهم الله ، قـد كشفـوا عن إحـدى النـواحي التي

---

(١) ص ١٦ من تفسير سورة الإخلاص .

(٢) ص ٨١ من كتاب قاعـدة جليلة في التوسـل والوسيلة ، وارجـع إلى كلامنـا عن كتاب مسلم هـذا في فصل كتب الحـديث المشهورة في كتـابنا أضـواء على السنـة الـطبعـة الثالثة .

تتسرب منها أحاديث أبي هريرة التي لا أصل لهـا ، وهي ناحيـة كعب الأحبار اليهودي ! فإن هناك نواحي أخرى قد سال سيلها ، تلك هي البـواعث النفسية التي كـانت تسـوق أبـا هـريـرة بعصـاهــا فيـروي مــا يـروي ثم يــرفعـه إلى النبي (ص) .

وإن من يستقرىء روايات أبي هـريرة ويتـدبرهـا ، ويردهـا إلى أسبابهـا ومناسباتها فإنه يرى من خلالها حقيقة هذه البواعث التي كان يرسل من أجلهـا رواياته . ومن يحقق النظر في هذه المرويات ويتعمقها يجد أنها كانت تصـدر عنه :

إمـا ارتجالاً : يختلقها لساعتـه كحديث الـورق المعلق ، وحـديث ، أن يتبع الناس عثمان وأصحابه ، عند الفتنة لأنه هو الأمين .

أو ابتداعاً : لكي يصل إلى مبتغاه ، من تحقيق مآربه الذاتية ، ورغـائبه النفسية ، كما رأيت ذلك في أحاديث : بسط الثوب ! والوعـائين ! والمزود ! التي مرّ بك نبؤها في قصته العجيبة .

أو يخرجها في صورة غرائب يستهوي بها الناس كحديث امتلاء جهنم ! وحديث طواف سليمان بمئة امرأة وغيرهما .

ولا ريب في أنه قد تـأثر في روايـة غرائبـه بأستـاذه الأكبر داهيـة اليهود كعب الأحبـار الـذي كـان يبث الغـرائب الإسـرائيليـة بين المسلمين ، لأنـه يعرف كلف الناس بها وولوعهم بسمـاعها ، ووجـد أن شيخه لم يـرتفع قـدره بين النـاس إلا بغرائبـه فأراد أن يسلك سبيله ويتبـع طريقتـه . وتـأثـر كـذلـك بوهب بن منبه الحبر اليهودي وروى عنه .

وكان كثيراً ما يتعاون هو وشيخه على صوغ هذه الغـرائب ليستحوذ بهـا على قلوب الناس وعقولهم ، فيكون له بذلك شأن ومكانة بينهم .

وقد حدثناك من قبل عن ناحية من شخصيتـه وبينا لـك أنه كـان مصابـاً بمرض (مركب النقص) فارجع إلى ذلك لكي تستوفي دراسة شخصيته كلها ،

وتتجلّى لك نفسيته على حقيقتها .

وإذا كانوا قد اتهموه كما بينا لك من قبل في بعض رواياته بـل كذبـوه ! فإننا نقول لأهل عصرنا ولمن يأتي بعدهم :

إنـه إذا وجد واحـد منهم شيئاً في هـذه المـرويـات ممـا يبـاين العقـل الصريح ، أو العلم الصحيـح ، أو الحس ، أو العيان ، أو مـا أثبتته البـراهين العقليـة أو التجارب العلميـة ، أو مخـالفـاً لنص القـرآن الكـريم ، أو الـذوق السليم أو يصـادم النواميس الكـونية ، والأغـراض العليـا التي يـرمي الإسـلام إليها ، أو نحو ذلك مما يحرج الصدر ، أو لا يطمئن به القلب ، وتسكن إليـه النفس فليطرحه جانباً ، وليس عليه في ذلك بأس ولا تثريب .

ذلـك بأنـه صلوات الله عليه لا يصـدر منه إلا القـول السديـد ، والأمـر الرشيد ، والعمـل الحميد : وإذا قـال قائـل : وماذا نصنـع فيما جـاء من مثل ذلك عن غير أبي هريرة مثـل أنس وجابـر وعكرمـة وغيرهم ، فنقـول له : إن الشأن فيه يكون كالشأن في مرويات أبي هريرة سواء بسواء ، ونحن لم نخص أبا هريـرة بالعنـاية إلا لأنـه كان أكثـر الصحابـة تحديثـاً عن النبي صلوات الله عليه ، وجاء في رواياته من الإشكالات والخرافات ما لم يأت مثله من غيره ، مما كان مدعاة لأن يتخذ منها أعداء الدين مآخذ على الإسـلام لا تزال قـائمة إلى اليوم وبعد اليوم .

ولقـد صـرح الأئمـة «بـأنـه ليس من أصـول الإيمـان ، ولا من أركـان الإسـلام أن يؤمن المسلم بكل حـديث جـاء في كتب السنـة المشهـورة لـدى الجمهور» .

ذلك بأن أحاديث هذه الكتب قد جاءت من طـريق (الآحاد) الـذي يفيد (الظن) ـ والظن لا يغني من الحق شيئاً ـ ولذلك لا يؤخذ بها في العقائـد التي لا تكون أدلتها إلا من الخبر (المتواتر) وليس هناك أخبار متواترة إلا ما جاء في (القرآن الكريم) .

وما دام الأمر كذلك فأنت بالخيار تلقاء ما جاء في هذه الكتب تأخذ منها ما تأخذ ، وتدع ما تدع ، وليس عليك في الحالتين حرج أو جناح .

وإن لك لأسوة حسنة في أئمة المذاهب الدينية كأبي حنيفة والليث بن سعد ومالك والشافعي وغيرهم فلقد كان الواحد منهم يأخذ الحديث ويعمل به ، ثم يأتي صاحبه فيترك هذا الحديث ويعمل بغيره ـ والكل على صواب فيما يأخذ وما يدع .

ولما ظهرت كتب السنة المشهورة لدى الجمهور لم يأخذ أئمة الفقه في جميع المذاهب بما جاء فيها ، وظلوا متمسكين بأدلة مذاهبهم ، حتى ولو كان فيها ما يخالف ما في هذه الكتب ، وهم بعملهم لم يخرجوا من دينهم ، وكذلك لم يتخذ كبار النحويين كسيبويه والخليل وغيرهما أحاديث النبي من الأدلة على اللغة في علمهم . وكل ذلك معروف مشهور . وقد فصلناه في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية)[1] .

وهناك طوائف كثيرة من المسلمين لا يعترفون بكتب السنة المشهورة ، ولهم كتب في السنة والفقه خاصة بهم يتبعونها ويأخذون بها مثل الشيعة والزيدية وغيرهم والشيعة الإمامية بخاصة «لا يعتبرون من الأحاديث إلا ما صحّ لهم من طرق أهل البيت عن جدّهم ، يعني ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً . أما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس له عند الإمامية أي اعتبار[2] ، وهؤلاء الطوائف جميعاً لا يمكن لأحد أن يطعن في دينهم ، أو يستريب في إيمانهم ، لأنهم مستمسكون بأصول

---

(١) إرجع إلى الطبعة الثالثة من هذا الكتاب .

(٢) ص ١٤٩ من كتاب أصل الشيعة وأصولها الطبعة العاشرة طبعة القاهرة ، والشيعة الإمامية هم جمهور أهل العراق وإيران وملايين المسلمين في الهند ومئات الألوف في سوريا والأفغان . ص ١٠٣ من نفس المصدر .

الإسلام ويؤمنون بمحمد (ص) والكتاب الذي جاء به - ﴿ولكل قوم سنة وإمامها﴾ .

ولكي يطمئن قلب القارىء بما قلناه ، وتسكن نفسه إلى ما بيناه ، نسوق هذه الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة التي تؤيد ما أوردناه تأييداً كاملاً :

روى أحمد في مسنده عن أبي حميد وأبي أُسيد أن رسول الله قال : إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه (إسناده جيد) .

وذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه[1] :

حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله . وهذا الأثر أخرجه البخاري .

وقال ابن مسعود : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله[2] .

وقال الربيع بن خيثم : إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره .

وقال الإمام أبو حنيفة في سبب رده لبعض الأحاديث :

«ردي على كل رجل يحدث عن النبي بخلاف القرآن ليس ردّاً على النبي ، ولا تكذيباً له ولكنه ردّ على من يحدث عنه بالباطل ، والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله ، وكل شيء تكلم به النبي فعلى الرأس والعين قد

(١) ص ١٢ .

(٢) ص ٥٤٩ ج ٣ تفسير ابن كثير .

آمنا به وشهدنا أنه كما قال ، ونشهد أنه لم يأمـر بشيء يخالف أمـر الله ، ولم يبتدع ، ولم يتقول غير ما قال الله ، ولا كان من المتكلفين»[1] .

وثم قواعد وأصول كثيرة غيـر ذلك تجـدها مبينـة في كتابنـا أضواء على السنة (الطبعة الثالثة) .

* * *

هـذا هو مـوقف الناس من الحـديث يأخـذون منـه كـل مـا تـطمئن بـه قلوبهم ، ويدعون ما تضيق به صدورهم وليس في ذلك أي حرج .

أما الذي يجب على المسلمين أن يؤمنـوا به إيمـاناً جـازماً فهـو (القرآن الكريم وحده) الذي لا يأتيه الباطـل من بين يديـه ولا من خلفه ـ ثم الحـديث المبين له .

هـذا وأرجـو أن أكـون قـد أديت حق العلم والتـاريـخ في وضــع هـذا الكتاب ، وأظهرت فيه شخصية أبي هـريرة ليكـون في تاريـخ هذه الشخصيـة فصل الخطاب .

والله أدعو أن يهدينا جميعاً إلى اتباع سبيل الحق ، وأن يوفقنا دائماً إلى ما فيه نفع الخلق ، إنه سميع الدعاء .

محمود أبو رية

عن جيزة الفسطاط بالقاهرة
ليلة أول رمضان سنة ١٣٨١ هـ
٦ فبراير سنة ١٩٦٢ .

---

(١) ص ٩٩ من مناقب أبي حنيفة للمكي .

إلمامة عابرة
بكتاب (أبو هريرة) الذي خرج أخيراً
باسم الخطيب العجاج

قابلني ذات يوم صديق وقال : ارتقب هجوماً جديداً عليك وعلى كتابك (الأضواء) سيخرج في كتاب ، ليس كالكتب التي سبقته في نقد كتابك مما كان يصدر عن أفراد - إذ قد تعاون على تأليفه منذ سنين جمهرة من شيوخ الدين مصريين وغير مصريين ! وبذلت مساعي خفية لتتولى وزارة الثقافة المصرية طبعه ونشره على نفقتها لكي يأخذ صفة رسمية تخلع عليه رداء من الاعتبار ، وتكسبه حظّاً من الانتشار !

ثم أشار إلى أمور تربط بين هذا الكتاب وبين كتاب آخر ألفه أحد الشوام من قبل ونال عليه جائزة الدولة ![1] ولا نعرض هنا لسبب نوال هذه الجائزة !

أما صاحب الكتاب الجديد فهو ربيب الأول - وهو شامي كذلك - وسينال جائزة سخية عليه .

وكأن صديقي هذا - وهو يلقي على مسمعي كل ذلك - يطلب مني أن

---

(١) هو كتاب ألفه شيخ سوري إسمه مصطفى السباعي وكان زعيماً للإخوان المسلمين بسوريا ولهذه الصفة نال ما نال ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده حيث يقول : ما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته .

أستعد لملاقاة هذا الهجوم المرتقب ، فقلت له : هون عليك يا صاح ! فأنا جد خبير بشيوخك هؤلاء وبعلمهم وبنقدهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات وقد بلوتهم من قبل فلم أجد بينهم عالماً ولا باحثاً ولا محققاً ! وسترى إن شاء الله أن كيدهم الأخير سيزيد من فضائحهم ، ويرتد بالوبال عليهم ، وهم بجمعهم لا أباليهم ولا حساب لهم عندي ، ثم انتظرت هذا الهجوم الذي أعدوا له كل ما استطاعوا من قوة ، حتى بدت طلائعه في دعاية عريضة على صفحات الصحف من قبل وزارة الإرشاد تنبىء بظهور هذا المولود السعيد ؟! وما كدت أتناوله بين يدي وأتبين معارفه ومغابنه حتى رأيته مشوه الخلق هزيلاً ـ يصدق عليه المثل العربي القديم ـ تمخض الجبل فولد فأرة ـ وإن كان قد بدا للناس في ثوب مزركش . .

ولو أنت تدبرت هذا الكتاب في مجموعه وأحكمت ذلك بعقل راجح وأمعنت فيه بنظر غير مدخول ، لوجدت الحشد والاجتلاب قد شاعا فيه من كل جانب وأنه قد ضم ما ضم «حبل الحاطب» مما لا يفيد العلم أو النقد في شيء !!

تناولت هذا الكاتب وأنا أظن أنه قد روعي فيه الأسلوب العلمي النزيه ، واتبع فيه أصول النقد الحديث ، وأنه قد آن لمؤلفيه أن يتحرروا من إصر الجمود ، وأن يميطوا عن عقولهم غطاء التقليد ، حتى يكون نقدهم أدنى إلى الصواب ، وأقرب إلى الحق ـ ولكن وا أسفا فإني ما كدت أقرأ مقدمته حتى ألفيته من جنس ما سبقه من الكتب (شكلاً وموضوعاً . .) وكأننا نكلف هؤلاء القوم ضد طباعهم إذا نحن حاولنا أن نطلب منهم أن يلتزموا جادة البحث العلمي الخالص ، وأن يقرعوا الحجة بالحجة ، ويدفعوا الدليل بالدليل ، ذلك بأنهم جميعاً بين مقلد[1] ليس له رأي مستقل ، ولا عقل

---

(١) قال عبيد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تقاد ، وإنسان يقلد . وقال حافظ المغرب ابن عبد البر شرحاً لهذه الحكمة الجليلة : وهذا لغير العامة الذين هم المرادون بقول الله عزّ وجل : «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» ، وإذا كانوا قد أجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه القبلة ، فكذلك من لا علم له ولا =

مستدل ، وإنما ينقل عن غيره بغير فهم ، وبين مشتغل بالحديث . والمشتغلون بالحديث قوم قضوا حياتهم متعبدين للأسانيد ومنصرفين عن دراسة المتون ، ولا يهمهم إن كانت هذه المتون صحيحة أو غير صحيحة ، معقولة أو غير معقولة ، ومن أجل ذلك وصفوهم بالجمود وحق عليهم هذا النبز على مدّ العصور ، لا يختلف في ذلك أحد[1] .

وقد جمع العجاج هذا بين الصفتين معاً ؛ فهو كما عرف عنه مقلد في دينه ، واعترف بعد ذلك بأنه مشتغل في السنة وعلومها[2] .

ولقد كان أول شيء بدا من كتابه أنه يضرب على نغمة شيوخه التي لا يملونها ولا ينزعون عنها ، ولا يحسنون غيرها ، حتى مجتها الأسماع ،

= بصر بمعنى ما يدين به ، لا بد له من تقليد عالمه .

ولأن التقليد أمر خطير يضر بالدين والعلم معاً فقد أنشأ فيه ابن عبد البر أبياتاً من الشعر رجا من ورائها جزيل الأجر لكي يحفظ الناس هذه الحكمة وقال : لأن من الناس من يسرع إليه حفظ المنظوم ويتعذر عليه المنثور . ونحن ننقل هنا من شعره هذين البيتين :

ياسائلي عن موضع التقليد خذ	عني الجواب بفهم لب حاضر
لا فرق بين مقلد وبهيمة	تنقاد بين جنادل ودعاثر

ص ١١٤ و١١٥ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله ـ (والجنادل الصخور العظيمة والدعاثر الحفر العميقة) .

وقال أحمد بن حنبل : انظروا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة . ص ٢٩٧ الإسلام الصحيح .

ومما قالوه : ما أضيع البرهان عند المقلد !

(١) قال العلامة الصفدي في كتابه (نكت الهميان في نكت العميان) وهو يتكلم عن شيخه الحافظ الذهبي ويبرئه من وصمة الجمود التي اختص بها المشتغلون بالحديث : «اجتمعت به ، وأخذت عنه ، وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين ، ولا كودنة النقلة» . ص (٢٤٢) وقال السيد رشيد رضا : إن النجديين والحشويين يأخذون بالإيمان والتسليم كل ما يجدونه في كتب الحديث من غير بحث في تعارض ولا إشكال (٤٧٤ ج ١٨ المنار) .

(٢) ص ٥ من كتابه (أبو هريرة) .

وأنفت منها الطبـاع ، وسئمتها النفـوس ، وذلك أنهم يـرمون كـل من يتصدى لدراسة حياة الذين يتعبـدون لهم ويجعلونهم من المعصومين ، أو يمس شيئاً مما ورثوه عن شيـوخهم من علم بغير إدراك ولا فهم ـ يـرمون من يُقـدم على ذلك بالمروق من الدين ، وأنه متأثر بالمستشـرقين أعداء الـدين ، لا يصدهم عن ذلك وازع من خلق ، ولا رادع من دين .

وما كدت أفرغ من تلاوة هـذا الكتاب حتى وجـدته (يعـج) بالخـرافات والمتناقضات والمفتريات والمغالطات ، وأن جـامعه يتشبث بـالأدلة الـواهية ، والأخبـار الباطلة ليغـطي بها على الحقـائق الثابتـة ، بلْه ما فيـه من العبـارات النابية التي لا يخلو منها كتاب من كتبهم .

وممـا أذهلني وأذهل كـل مسلم غيور على دينـه أن يجعلوا أبـا هـريـرة (راوية الإسلام)[1] .

ومثل هذا الكتاب إنما يكون من الخطأ النظر فيه أو الـرد عليه ، وإنمـا يجب أن يقـابل بمـا يستحقه من الإهمـال ، وأن يوضـع في مكـانـه من عـدم الاعتبـار ، وتلقاء ذلـك رأيت من التدبيـر وصيانـة لحرمـة العلم وحفاظـاً على كـرامة أهله ، أن أمـر عليه كمـا مررت على غيـره من قبل ـ مـرّ الكـرام بلغـو القول ، وأن أتبع فيه ما اتخذته مع سائـر الذين انتقـدونا بجهـل وبخاصـة أن العجاج ـ الذي ظهر باسمـه هذا الكتـاب ـ ليس بخير منهم ، ولا هـو بالـذي يستأهل الرد عليه من دونهم ، وإنما الواجب أن نطرحه جانباً ، ولا سيمـا بعد

---

(١) لو أن أبا هـريرة هـذا الذي كشفت عن حقيقـة تاريخـه هنا كـان كما يـزعمون (راويـة الإسـلام) في عقائـده وعباداتـه وأحكامـه وآدابه بحيث لا يؤخـذ في ذلـك كله إلا بمـا يرويه ، ولا يتبع إلا ما يحكيـه ، وأن النبي (ص) قد عهـد إليه وحـده أن يكون راويـة الإسـلام للناس كـافة لكنت أول كـافر بـه ، ولا أبـالي ! والحمـد لله رب العـالمين ، والصلاة والسلام على رسـوله الصـادق الأمين ، وعلى آله الأطهـار الأكرمين ، ورضي الله عن أصحابه الصادقين المخلصين ، الذين اتبعوه بإحسان وظلوا على هديه سائرين غير المنافقين الكاذبين ، الذين ركبوا أهواءهـم وغيرتهم الدنيا وزينتها فباءوا بالخسـران المبين .

أن سبرنا علمه فوجدناه لا يزال عجراً لم يستو بعد ولم يستحصد !

كان هذا هو الرأي ، ولكن لما كان هذا الكتاب من حيث الشكل ليس كالكتب التي نزهنا قلمنا عن التصدي لها ، أو الرد عليها ، ذلك ، بما أتيح له من حظ وعناية ، وبما اجتمع له من قوى مختلفة تناصرت على تأليفه وإخراجه ونشره وكان من هذه القوى من لهم مناصب كبيرة في كليات الجامعة المصرية[1] ومن وراء ذلك كله (دكاترة ! بوزارة الثقافة) ـ قد ساعدوا بعلمهم الواسع على إظهاره وزينوا لهذه الوزارة أن تجعل (أبا هريرة) في حلقة من سلسلة (أعلام العرب !!) التي تنشرها لتفاخر بها سائر الأمم في الشرق والغرب ! وفي سبيل ذلك تنفق ما تنفق من جهد ومال[2] .

---

(١) ذكر العجاج في مقدمة كتابه أنه يتوجه بالشكر العميق إلى أستاذه الشيخ علي حسب الله أستاذ الشريعة الإسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة على ما تفضل بقراءة بحثه قراءة دقيقة وأنه أفاد من ملاحظاته ـ وقال في كلمة نشرها بمجلة الرسالة (العدد ١٠٣٨ المؤرخ ١٩٦٣/١٢/٥) بأنه دفع إلى هذا البحث العلمي «منذ سنوات ثلاث مضت ، وقد طالعه أكثر من عالم (منتصف) آنذاك وشجعوني على نشره إلخ» ؛ ولو أنه كان عالماً شجاعاً لاستعلن بنقده منذ سبع سنين يوم أن ظهر كتابنا في طبعته الأولى التي ظهرت في سنة ١٩٥٨ ـ وإذا عجب الناس من سكوت العجاج هذا الزمن الطويل فإنه هو قد أذهب هذا العجب بما اعترف به من أنه قد أنفق هذا الزمن الطويل وهو يتكفف شيوخه لكي يعاونوه على تصنيف كتابه إلى أن انتهى به إلى الشيخ علي حسب الله فقرأه وباركه وأيده ، ثم جاء بعد ذلك الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة فأتم نعمته عليه بأن راجعه بأجر سخي تناوله من وزارة الإرشاد ، وزاد من فضله على تلميذه فقرظ كتابه في مجلة الكتاب لقاء أجر كبير كذلك ولعل هذا العجاج وهو يزج بنفسه في معمعان النقد ـ ولما يستكمل أداته وعدته ـ إنما يريد أن يتشبه بالعلماء ويتدسس إلى زمرة الذين تورطوا في نقد كتابنا (الأضواء) فيكون له بذلك شأن بين الناس !! ولكن هيهات هيهات فهو العجاج بنفسه ، وشيوخه هم شيوخه بما هو معروف عنهم .

(٢) لم نعرض هنا إلى بيان ما جنته وزارة الثقافة على العلم والدين بإصدارها كتاب العجاج ، حتى لا نرمى بالتحامل عليها وقد وفاها حسابها العلامة الأستاذ عبد الله السبيتي في كتابه (أبو هريرة في التيار) فيرجع إلى هذا الكتاب للاطلاع على ما قاله في هذا الشأن وفي غيره ، فهو كتاب قيم يستحق أن يدرس .

فكتاب هذا شأنه ، حشدت له كل هذه القوى ، وظفر من العناية بما لم يظفر به كتاب آخر ، يصح أن نمنحه شيئاً من العناية وأن نخالف معه السنة التي اتخذناها مع جميع الذين انتقدونا من قبل حتى مع هذا العجاج في كتاب آخر له قيل إنه انتقدنا فيه .

من أجل ذلك رأيت (برغمي) أن أخالف طريقتي التي اتبعتها مع سائر الذين انتقدونا من قبل وأن ألقي على هذا الكتاب نظرة عابرة ، أعرض فيها لبعض ما فيه بالبحث العلمي النزيه لأكشف عن معارف هؤلاء الذين اشتركوا في هذا الكتاب تأليفاً ومراجعة وإخراجاً ، من غير أن أخشى في ذلك أحداً ، إذ ليس عندي كبير في العلم إلا بعلمه وفضله ، ولا اعتبار لدي للألقاب الرسمية ولا للمؤهلات الدراسية ـ وإنما قيمة المرء بما يحسن ، وبما يعمل من عمل صالح .

وسأقتصر في كلامي على أمثلة قليلة من هذا الكتاب يستدل بها على غيرها ، حتى لا نقع في التطويل ، والناس اليوم يؤثرون الإيجاز ، وخير الكلام ما قلّ ودل !

لقد طفح هذا الكتاب بأكاذيب وخرافات وأساطير . كان أهمها قصة الطفيل بن عمرو الدوسي ، التي أرادوا بها إثبات إسلام أبي هريرة من أول البعثة وهو في بلاده اليمن رغم اعتراف أبي هريرة نفسه ، وإطباق كل المؤرخين الثقات على أن إسلامه كان بعد الانتهاء من موقعة خيبر سنة ٧ هجرية .

وها نحن أولاء نذكر نبأ هذه الخرافة ـ كما نشروها ـ ثم نقفي على ذلك ببيان حقيقة أمرها ومن الذي وضعها .

خرافة الطفيل بن عمرو الدوسي

قال العجاج في كتابه :

كان الطفيل بن عمرو الدوسي رجلاً شريفاً شاعراً مليئاً ، وكانت قريش

تعرف منزلته في قومه ، وما إن عرفت قدومه إلى مكة بعد نبوة محمد (ص) حتى حذروه من أن يتصل بهذا النبي ـ ولكنه لما ذهب إلى الكعبة وجد رسول الله فسمع كلامه فأعجب به ، وما لبث أن أسلم ، ثم طلب من النبي أن يدعو قومه باليمن إلى الإسلام ، وأن يجعل له آية . فوقع له نور بين عينيه ، فقال يا رسول الله : أخشى أن يقول قومي هذه مُثلة . فرجع النور إلى طرف سوطه[1] !!! وكان يضيء في الليل ـ ولما عاد إلى قومه ودعا إلى الإسلام أسلم أبوه ولم تسلم أمه ! ودعا قومه فأجابه أبو هريرة وحده . وعاد إلى النبي فأخبره بإبطاء قومه ، وطلب أن يدعو عليهم فقال النبي : (اللهم اهد دوساً) . فعاد إلى قومه ولم يزل بأرض دوس يدعوها حتى هاجر رسول الله إلى المدينة ، ومضت غزوة بدر وأحد والخندق . ثم قدم على رسول الله بمن أسلم من قومه ورسول الله بخيبر . اهـ باختصار[2] !!

هذه هي قصة أسطورة الطفيل بن عمرو الدوسي ـ كما جاءت في كتاب العجاج ـ وقبل أن نبحث في أمرها نذكر لك أن كل اليمنيين ـ الدوسيون منهم والأشعريون ؛ وفيهم الطفيل بن عمرو هذا ـ لم يسلموا إلا بعد موقعة خيبر ، أي عندما أرسى الإسلام قواعده على أسس متينة وأصبح في منعة تحمي من يدخلون تحت رايته .

أورد العجاج هذه الخرافة وكأنه ظن ـ وشيوخه معه ـ أنها خبر صحيح لا يجوز لأحد أن يدفعه أو يماري فيه ، وهو في الحقيقة فضيحة مخزية ، لا يصدقه إلا مدخول العقل ، أو جهول لا يفهم .

ومن الحق علينا أن نبحث عن أصل هذه الخرافة ، وأن نعرف من

---

(١) هذه الخرافة من جنس الشعوذة التي يمثلها الحواة في الطرقات والميادين العامة ويجتمع حولهم الصبية والمغفلون ليشهدوهم وهم يلعبون بالنار وينفخون في أبواقهم ويلوحون بأيديهم ويقولون : جلا جلا . وسبحان واهب العقول .

ولم يذكر أحد من المؤرخين الثقات ولا أبو هريرة نفسه ـ هذه الفرية ـ وهي إسلام أبي هريرة على يدي الطفيل بن عمرو ـ راجع ص ٥٤ و٥٥ ج ٣ من أسد الغابة .

(٢) ص ٨٤ و٨٥ من كتاب العجاج .

الذي وضعها ، وكيف تلقفها أصحاب الأخبار والسير ، فنشروها بين الناس في كتبهم ، ثم جاء العجاج فنقلها عنهم !

وقد أمعنا في بحثنا حتى وصلنا إلى مصدرها الذي وضعها وأخرجها من (كيسه) فإذا هو (الكلبي) الأخباري ، صاغها فيما صاغه من الخرافات ، ثم نقلت عنه ، وانتشرت بين الناس .

وعلى أننا قد أوضحنا من قبل بما لا يدع للشك سبيلاً[1] أن أبا هريرة وعمرو بن الطفيل لم يسلما إلا مع الدوسيين والأشعريين في سنة ٧ هـ بعد انتهاء موقعة خيبر فإنا نعيد هنا بعض الأدلة القوية التي استقيناها من أوثق المصادر التي تثبت ذلك وتؤيده ، لعل من لا يفهم يفهم !

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى (ص٧٨ ج١) : وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة وقدم الطفيل وقدم الأشعريون ورسول الله بخيبر فلحقوه بها فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا .

وقال المقريزي في إمتاع الأسماع (ص٣٢٦ ج١) : وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم ونفر من الأشعريين فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ، فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ وقال ابن أبي حاتم في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص٢٨٧ ج٣ :

قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على النبي (ص) مع أبي هريرة بخيبر ، وروى ابن سعد في الطبقات الكبيرة عن الطفيل : قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوها ـ حتى هاجر رسول الله إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله بمن أسلم من قومي ورسول الله بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، ثم لحقنا رسول الله (ص) بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين[2]

---

(١) راجع ما ذكرناه في هذا الكتاب عن قدوم أبي هريرة إلى النبي .
(٢) ص ١٧٦ ج ٤ من الطبقات .

قصة الطفيل بن عمرو، وخرافاته

روى البخاري في بيان «قدوم الأشعريين وأهل اليمن - قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي» عن أبي هريرة قال : جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي (ص) فقال : إن دوساً قد هلكت ، عصت وأبت فادع الله عليهم ! فقال : اللهم اهد دوساً وأتبهم .

هذا ما رواه البخاري ولم يعرض لخرافة الطفيل بشيء ، ولا ورط نفسه في حملها . وكان ذلك في الكلام على قدوم الدوسيين من أهل اليمن على النبي في خيبر سنة ٧ هـ .

وجاء الحافظ ابن حجر ليشرح هذا الخبر فقال - بعد أن ذكر نسب الطفيل كان يقال له : ذو النور ، لأنه لما أتى النبي (ص) وأسلم ، بعثه إلى قومه فقال : إجعل لي آية ، فقال : اللهم نوّر له ، فسطع نور بين عينيه ، فقال : يا ربِّ أخاف أن يقولوا إنه مثلة ، فتحول إلى طرف سوطه ، وكان يضيء في الليلة المظلمة ؛ ذكره هشام بن الكلبي في قصة طويلة ، وفيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ، وأجابه أبو هريرة وحده[1] !

وقبل ابن حجر العسقلاني ، روى ابن عبد البر حافظ المغرب ، خبر هذه الخرافة ، ووصفه بأنه «خبر عجيب ذكره الأموي في مغازيه عن هشام الكلبي»[2] .

ومن ذلك يتبين أن الذي (وضع) هذه الخرافة وما جاء في رواية ابن حجر من إسلام أبي هريرة على يدي الطفيل ، وهو في بلاده ! هو هشام الكلبي !

من أجل ذلك يدعونا التحقيق العلمي إلى أن نتجه إلى هشام الكلبي هذا ، لنعرف من هو؟ وما مبلغه من الصدق ، ورأي المحدثين والمؤرخين

---

(١) ص ٨٢ و٨٣ ج ٨ فتح الباري .

(٢) ص ٧٥٨ و٧٥٩ - ق ٢ من الاستيعاب (طبعة نهضة مصر) .

فيه وفي أخباره :

من هو هشام الكلبي هذا ؟

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي .

قال فيه الذهبي في تذكرة الحفاظ[1] : أحد المتروكين ليس بثقة ، فلهذا لم أدخله بين حفاظ الحديث . كان إخبارياً علامة .

وقال فيه ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[2] : وفيها (أي في سنة ٢٠٤ هـ) توفي هشام بن محمد بن السائب الكلبي الإخباري النسابة ـ كان حافظاً علامة ـ إلا أنه كان متروك الحديث .

وقال فيه السمعاني في الأنساب ، إنه يروي الغرائب والعجائب والأخبار التي لا أصول لها ! وأخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى وضوحها .

وكان أحمد بن حنبل يقول فيه : «من يحدث عنه ؟ إنما هو صاحب سمر ونسب . وفي رواية سير ونسب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه» ، ومن قول الكلبي عن نفسه ، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن ، فدخلت بيتاً وحلفت ألا أخرج منه حتى أحفظ القرآن ، فحفظته في ثلاثة أيام ! ونظرت في المرآة وقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة[3] .

وقال فيه الجاحظ : كان علامة نسابة ، وراوية للمثالب عيابة[4] .

وقال فيه ياقوت في معجم الأدباء بعد أن أورد ما قاله فيه أحمد بن

---

(١) ص ٣١٣ ج ١ طبع الهند .

(٢) ص ١٣ ج ٢ .

(٣) ص ٤٨٦ من الأنساب طبع مارجوليوث الإنجليزي على الحجر بمدينة لندن سنة ١٩١٢ . وهو بدار الكتب المصرية برقم ٥٦١١٢ تاريخ .

(٤) ص ١٣١ ج ١ من البيان والتبيين .

حنبل الذي ذكره السمعاني آنفاً في كتاب الأنساب : قال البلاذري في تاريخه إن الكلبي هذا حدث عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ قال : أسر إلى حفصة أن أبا بكر ولي الأمر بعده وأن عمر وليه من بعد أبي بكر . فأخبرت بذلك عائشة . قال الدار قطني : هشام متروك . وقال غيره : ليس بثقة[١] .

وقد أخذ أبو الفرج الأصبهاني على ابن الكلبي أن الأخبار التي ذكرها عن دريد بن الصمة «موضوعة كلها والتوليد بيّن فيها وفي أشعاره» ثم قال : «وهذا من أكاذيب ابن الكلبي» وكان عندما يروي عنه بعض الأخبار يقول : ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي[٢] .

وقد اضطر ابن الكلبي أن يعترف بالكذب فقد روي عنه قوله : «أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبدالله القسري سألني عن جدته أم كريز وكانت أمةُ بغيّاً لبني أسد يقال لها زينب ؛ فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فسر بذلك ووصلني»[٣] .

وروى كذلك عن نفسه ما نصه :

«حفظت ما لم يحفظه أحد ، ونسيت ما لم ينسه أحد ! كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن ، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن ، فحفظته في ثلاثة أيام ! ونظرت يوماً في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة ، فأخذت ما فوق القبضة[٤] .

وقال ابن حجر العسقلاني : والكلبي متروك ولا يعتمد عليه[٥] .

---

(١) ٢٨٧ و٢٨٨ ج ١٩ .
(٢) راجع ص ١٩ و٢٠ ج ٩ من الأغاني وص ١٥٥ ج ١٠ من هذا المصدر وص ١٥ من كتاب الأصنام تحقيق أحمد زكي (باشا) .
(٣) راجع صفحة ٥٨ ج ١٩ من نفس المصدر .
(٤) ص ١٦ من كتاب الأصنام وانظر ابن خلكان ، والوافي بالوفيات .
(٥) ص ٣٥٤ ج ٨ فتح الباري .

وما كان لنا أن نستكثر من الأدلة على كذب الكلبي فإن هذه الخرافة في نفسها يدفعها العلم الصحيح ، ويمجها العقل السليم ، ولا يقبلها إلا من أصيب بخلل في عقله وسفه في تفكيره

* * *

هذه هي قصة الطفيل بن عمرو التي جعلها مشايخنا الكبار أساساً لكتاب تلميذهم النجيب العجاج ! وطبعته الدولة المصرية على حسابها ، وأنفقت عليه مئات الجنيهات من حر مالها !

ولنقف عند هذا الحد من إيراد الأدلة على كذب الكلبي الذي (وضع) وحده خبر الطفيل بن عمرو بعد أن رأينا الإجماع على تكذيبه .

ولقد كانت شهادة واحدة من مثل الإمام أحمد بن حنبل أو الدارقطني أو الذهبي كافية في إسقاط صفة العدالة عن هذا الكلبي ؛ وإنما توسعنا في ذلك لنري الذين يظهرون بين الناس في ثياب العلماء ، كيف يكون تمحيص الأخبار والبحث عن حقيقة ما تحمله إلينا الروايات ، ولا ندري بعد أن سطعت هذه الأدلة ونسخت بنورها ظلمات أكاذيبهم ، وأثبتت أن خبر الطفيل بن عمرو هذا الذي اتكأوا عليه وأجمعوا على تصديقه إنما هو من اختراع أخباري كاذب ! **حقاً لا ندري بعد ذلك كيف حال من تصدى لتأليف كتاب «أبو هريرة راوية الإسلام» ، ولا حال الذين أعانوه وساعدوه بعلمهم على تأليفه وعلى نشره** ومنهم أساتذة في الجامعات (واأسفا) بالخرافات فنقول :

الاسطورة تضع أفائك

لم يشأ العجاج وشيوخه أن يدعوا هذه الخرافة عقيماً فزوجوها من ابن عمها الإفك ، وما لبث أن أنجبت منه أفيكة[1] كانت أعجب مخلوقة في دنيا الخرافات ، خرج بها العجاج وشيوخه مزهوين فخورين أن لم يولد مثلها من

(١) الأفيكة هي الكذبة العظيمة جمعها أفائك .

قبل !

وذلك أنهم بعد أن استعلنوا بفرية إسلام أبي هريرة وهو في بلاد اليمن على يدي الطفيل بن عمرو ـ والنبي (ص) بمكة[1] ، لم يقفوا عند هذا الحد من الافتراء ، بل زادوا على ذلك فقالوا : «إن أبا هريرة كان يتتبع أخبار المسلمين»[2] . ثم أمعنوا في الافتراء فقالوا : والصحيح أنه أسلم قبل الهجرة النبوية وبقي في اليمن يتابع أخبار المسلمين ويحفظ ما ينزل من القرآن الكريم ![3] .

حقاً إنها أفيكة لا يرحضها ماء البحر !

وإذا أنت عجبت من هذه المفتريات التي افتجرها العجاج وسألته وسألت من على شاكلته في العقلية من شيوخه ، وقلت لهم جميعاً : كيف تسنى لأبي هريرة أن يتابع أخبار المسلمين ، ويحفظ ما ينزل من القرآن الكريم ـ وهم بمكة وهو باليمن ؟ وما هي الوسائل التي كان يتخذها في ذلك ؟ أجابوك بأن هذا وأكثر منه ليس بغريب ولا مستحيل على أبي هريرة ! إنه ليس ببعيد عليه أن يسمع كلام النبي ، وما ينزل عليه وهو في مكان سحيق ؟ وما يدريك لعل الملك الذي كان يهبط بالوحي على النبي وهو بمكة والمدينة كان ينتقل كذلك إلى بلاد اليمن ويهبط على أبي هريرة فيبلغه ما يحمل إلى النبي من وحي ، وما ينطق به النبي من حديث !

وما على الذين وهبهم الله عقولاً تزن ، وأفكاراً تفهم ، إلا أن يلغوها ولا يعترضوا عليها ، حتى لا يرموا بالتفسيق أو يكون إيمانهم على حرف . .

---

(١) ص ٣٣١ من كتاب العجاج .

(٢) ص ٣٣١ من نفس المصدر .

(٣) ص ١٩ من العدد ١٠٣٨ من مجلة الرسالة المصرية الصادر في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٣ التي تصدر عن وزارة الثقافة بمصر ، وقد ظاهر العجاج في هذه الفرية وغيرها الشيخ محمد أبو زهرة في تقريظه لكتاب العجاج ، وسيأتيك ردنا على هذا الشيخ ـ (يلاحظ أن أبا هريرة على طول عمره وأنه قضى مسلماً نحو نصف قرن فإنه لم يستطع أن يحفظ القرآن . . . ولم يخرج عن أميته . . .

كما قضى بحكمه أخيراً الشيخ محمد أبو زهرة . .

اللهم إن الزمن الذي كانت تروج فيه مثل هذه الخرافات والأساطير قد ذهب إلى غير رجعة ، وأصبحنا في زمن لا يصدق فيه حتى العامة إلا ما يسوغه العقل الصريح ، ويؤيده العلم الصحيح .

ولقد كان لنا بعد أن فضحنا العجاج في كتابه ، بما كشفنا عن هاتين الخرافتين ، أن نكتفي بهما فلا نسترسل في البحث عن غيرهما ، لأنهما ولا جرم كافيتان في هدم هذا الكتاب والإتيان عليه من القواعد ، ذلك بأن كتاباً مثل هذا تقوم دعائمه على الخرافات يكون من العبث العناية بنقده ، أو بذل أي جهد في مناقشته ، وإنما الأجدر به أن ينبذ ويلقى في اليم .

كان لنا ذلك ولكن رأينا من التدبير أن نستزيد شيئاً من إظهار فضائح هذا الكتاب الذي يموج بالخرافات والمتناقضات ، بله الافتراضات البايخة ، والاحتمالات السخيفة ـ وذلك لكي نعطي القارىء نماذج يقاس عليها مما يحمل الكتاب ، ويتنور فيها قيمة هذا الكتاب في عالم التأليف ، وأنه لا يساوي المداد الذي كتب به ، ومن وراء ذلك يستبين للناس جميعاً مبلغ مصنفه ـ وشيوخه معه ـ من العلم ومقدار حظهم من العقل والتفكير !

أما ما في سائر الكتاب ، مما يستوجب النقد والتفنيد فيدحضه ويقضي عليه ما فصّلناه في كتابنا هذا ، وسنبدأ كلامنا عن أهم صفة وصفوا أبا هريرة بها ، وهي صفة (علمه وفتواه) حتى إذا ما أثبتنا بالبراهين القوية أنه عار عنها ، انهارت سائر صفاته التي يتمسكون بها ، ويصبح ولا ريب رجلاً من عامة الناس لا شأن له ولا قدر ، وتبدو شخصيته على حقيقتها بغير تزوير ولا تلفيق .

علم أبي هريرة وفتواه[1] :

من متناقضات العجاج التي فضح بها نفسه أنه أورد في كتابه صفحة

(١) قد فصلنا القول في ذلك في موضعه من كتابنا هذا .

٩٠ أن رسول الله بعث أبا هريرة إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي ووصاه به فجعله العلاء (مؤذناً له) وأنه قال للعلاء (لا تسبقني بآمين) .

وهذا يدل بداهة وقطعاً أن عمل أبي هريرة في البحرين إنما كان (التأذين) فحسب ، إذ لم يعهد إليه النبي (ص) بأي عمل ديني أو غير ديني مما كان يعهد به إلى غيره عندما كان يرسله في أمر من الأمور إلى أي بلد من البلاد ؛ وكان كل ما قاله للعلاء أن أوصاه به ، ولما سأله العلاء عما يريد أن يعمله كان جوابه : (اجعلني مؤذناً لك) كان هذا هو عمل أبي هريرة في البحرين باعترافه ولكن العجاج وهو السخي المعطاء لأبي هريرة قد خرق له مما تلقاه أعمالاً أخرى غير التأذين . . فقال في صفحة (١٠٧) من كتابه : «إن رسول الله قد أرسل أبا هريرة إلى البحرين لينشر الإسلام ! ويفقه المسلمين ويعلمهم أمور دينهم» ! !

وهذا لعمرك تناقض صارخ مشوب بالكذب والبهتان ، لأن أحداً لم يقل بهذا أبداً ، ولا ادعاه أبو هريرة فيما يدعيه لنفسه ! ولم يكتف العجاج بذلك التخرص بل زاد فقال «وحدث عن رسول الله وأفتى» أي أن إرساله إلى البحرين إنما كان لينشر الإسلام ، ويفقه المسلمين أو يعلمهم أمور دينهم ! وإنه كان يحدث الناس ويفتيهم ! يا لها من مفتريات يدفع بعضها في قفا بعض !

وبينما يتورط العجاج في هذه المفتريات التي يفتجرها بغير حياء ولا خجل إذ به ينقلب فيناقض نفسه مناقضة أخرى مخجلة حتى فيما افتجره وافتراه ، فيقول في صفحة ١٦٠ : **«إن أبا هريرة وابن عباس وابن عمر ، وجماعة معهم كانوا يفتون بالمدينة ويحدثون من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا» ، ومعنى ذلك أن أبا هريرة لم يستطع أن يفتح فاه بكلمة في الفتوى والحديث إلى أن توفي عثمان ؛ ثم يؤكد ذلك باعتراف آخر ذكره في الصفحة ١٦٥ ومن كتابه ، إذ يقول : «ولم ينقل أن أحداً من الخلفاء أو الأمراء ولى أبا هريرة قضاء المدينة أو غيرها»** .

ولأن العجاج قد أصيب بداء الافتراض ، غير داء التناقض والافتراء ، فإنه بعد ذلك كله يأتي بافتراض بايخ فيقول بغير خجل في صفحة ٣٣٥ : «إنا لم نعلم أنه ولي القضاء لأحد ، ومع هذا لا بد أنه نظر في بعض القضايا حينما ولي البحرين وإمارة المدينة» وفاته أن يبين أن إمارته للمدينة كانت بأمر من معاوية عندما بعث بسر بن أرطأة لينكل بأهل المدينة ويستبيحها ، ولما فعل فعلاته بها وتركها استخلف عليها أبا هريرة ، ولما أتاها جارية بن قدامة السعدي من قبل الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولّى أبو هريرة هارباً من وجه جارية فقال جارية كلمته المشهورة المحفوظة : «لو وجدت أبا سنور لقتلته» .

ولا أدري ماذا يقول الذين يضللون التاريخ ويقولون : إن أبا هريرة اعتزل السياسة ، وقد صرّح بذلك العجاج بصفحة ١١٢ .

ومن مفتريات العجاج أن يقول عن أبي هريرة «إنه شهد مع النبي جميع غزواته» (ص ١١٥ من كتابه) ، ولم يكتف بذلك بل قال في صفحة ٢٢٢ إنه اشترك في حروب الردة !!

وقد فندنا ذلك كله من قبل في كتابنا هذا وتحديناه هو وشيوخه أن يثبتوا ذلك بالفعل والبرهان إن كانوا صادقين ، هذا قليل من كثير مما جاء في كتاب العجاج . ولو نحن ذهبنا ننقض كل ما فيه من مفتريات ومناقضات مفضوحة ومزاعم وأباطيل صارخة لملأنا كتاباً برأسه .

ولست أدري والله بأي وجه يقابل العجاج وشيوخه الناس بمثل هذا الكتاب الذي ختموه بهذه الفضيحة العالمية إذ يجعلون أبا هريرة (راوية الإسلام) . تالله إنها لقاصمة الظهور ، ومحرجة الصدور .

جهل وجمود

إذا كان لأبي هريرة عجائب وغرائب فإن لمؤرخه العجاج سخافات

عديدة نأتي بشيء منها ليكون آية جديدة على مدى عقليته وعقلية شيوخه الأجلاء .

من هذه السخافات قوله إن :

الطعن في أبي هريرة ـ ذريعة للطعن في غيره من الصحابة

جاء في الصفحة السادسة من كتاب العجاج قوله : «إن الطعن في أبي هريرة ذريعة للطعن في غيره من الصحابة[1] ؛ والطعن كما يفهمه الحشوية والجامدون هو البحث العلمي الذي يؤدي إلى إظهار الحقائق فيما لا يفهمون ولا يعقلون ! وهذه سخافة يزدريها كل عاقل عالم ! بل يضحك منها !

ذلك أن الصحابة ليسوا كلهم سواء في الدرجة ولا في المنزلة ، وقد قسموهم إلى اثنتي عشرة طبقة ليس أبو هريرة في واحدة منها والحمد لله ، ومن أجل ذلك نجد البخاري لم يذكر له فضيلة مأثورة عن النبي (ص) في كتابه عندما ذكر فضائل كثير من الصحابة . والصحابة مهما بلغوا من علو القدر فما هم بمعصومين ، وإنما هم أناس من البشر معرضون للخطأ والصواب ، والهدى والضلال وما داموا كذلك فإنهم يخضعون لدرس حياتهم وتوجيه النقد إليهم وإقامة ميزان الحساب لهم .

وقد جاء نقد الصحابة في القرآن الكريم نفسه وذلك في سور كثيرة وبخاصة في سورة التوبة التي سموها الفاضحة[2] وفي سور غيرها كثيرة كسورة (المنافقون) والأحزاب وغيرهما ، وجاءت أحاديث عديدة في البخاري وغيره أنه صلوات الله عليه رأى قوماً من أصحابه يذادون عن الحوض ، ولما سأل في ذلك أجيب بأنه لا يدري ماذا أحدثوا بعده ، فقال : سحقاً سحقاً !

---

(١) راجع فصل عدالة الصحابة في الطبعة الثالثة من كتاب الأضواء .

(٢) سميت الفاضحة لأنها فضحت كثيراً من الصحابة ، ولها أسماء متعددة غير ذلك . راجع تفسير الزمخشري لمعرفة هذه الأسماء وقد بيناها من قبل وفي كتابنا الأضواء ، الطبعة الثالثة .

وقد اعترفوا هم أنفسهم بأنهم قد أحدثوا بعده ، كما أثبتناه في مكانه من هذا الكتاب .

على أن أبا هريرة خاصة ليس كغيره من سائر الصحابة كما بيناه في موضعه من هذا الكتاب ، فقد توجه الطعن إلى رواياته من لدن الصحابة إلى اليوم ، ومن أجل ذلك كان «أول راوية اتهم في الإسلام» .

ترهيب صبياني :

شاءت عقلية العجاج أن يمسك بيده سوطاً كسوط الطفيل بن عمرو ! يلوح به في الهواء هاهنا وهاهنا ، ليرهب به كل من يحاول أن يقترب من نقد أحد الصحابة فنقل في الصفحة (٤٠) من كتابه أن أبا زرعة (الذي لا ينطق عن الهوى !) قد قال إن من ينتقص أحداً من الصحابة فهو زنديق ، ولم يكفه ذلك بل عزز ذلك بما يقذف الرعب في قلوب الذين تحدثهم أنفسهم بنقد أبي هريرة خاصة ، فنقل في الصفحتين ٣٢٨ و٣٢٩ كلمة للمعصوم ابن خزيمة ، يصف الطاعنين فيه فجعلهم أربعة : إما معطل جهمي ! وإما خارجي ! وإما قدري اعتزل الإسلام وأهله ! أو جاهل !!

ثم جاء أخيراً أستاذه الشيخ محمد أبو زهرة[١] وقضى بحكمه المبرم على من ينتقد أبا هريرة بأنه إما أن يكون من الذين لا يؤمنون بالله ، أو يكون مؤمناً على حرف . . ولا ندري والله أين مكاننا الذي وضعنا فيه (المجلس الكهنوتي الأعلى) الذي انعقد من شيوخ العجاج برئاسة الشيخ محمد أبو زهرة الذي جعلوا شعاره الآية المشهورة في الإنجيل وهي «إن ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ! وإن ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء !»

وقد ظن العجاج بفكره الثاقب وعقله الحصيف أنه بما نقل عن شيوخه قد أتى بدليل قاطع يسنده ويسند كتابه فقال إنه (مسك الختام !) وقد نسي

---

(١) ستجد كلمة لنا وجهناها إلى هذا الشيخ لنناقشه فيها الحساب .

«أن ما نقله عن ابن خزيمة إنما هو حجة عليه لا له ، إذ معناه أن نقد العلماء لأبي هريرة عريق في القدم ، له جذور بعيدة ، وليس هو بحادث ظهر في الزمن القريب ؛ وإذا كان نقاد أبي هريرة في هذا العصر قد تأثروا بالمستشرقين أعداء الدين أو تأثر بهم المستشرقون ، فبمن تأثر نقاده الذين حكم عليهم ابن خزيمة حكمه الصارم ، وقد كانوا بلا شك قبل ظهور المستشرقين بمئات من السنين ؟! وحقّاً ما قالوا : «عدو عاقل خير من صديق جاهل» .

على أننا نعود إلى العجاج وشيوخه فنقول لهم : ما قيمة أقوال هذين الرجلين الذين استشهدتم بأقوالهم ؛ هل هي من الوحي المنزل ؟ أم من كلام المعصوم صلوات الله عليه ؟ ونسأل كذلك الشيخ محمد أبو زهرة عن قيمة حكمه الذي أصدره أخيراً على من ينتقد أبا هريرة ؟؟ اللهم عرّفنا بأقدارنا ، وطهرنا من غرورنا ، وجمودنا .

وليس لنا من ردّ على هذا الإرهاب إلا أن نذكر ما قاله الأول : «أبشر بطول سلامة يا مربع» !

غرور :

أدرك العجاج طيش الغرور ، فادعى أن بحثه الذي قضى في تصنيفه بضع سنين وظل يتسول به على شيوخه ثلاثاً منها ! ليستعين بهم على تأليفه «ستزول به الشبهات التي أثيرت حول أبي هريرة وتم هذا بفضل الله وتوفيقه[1]» ؟ وكأنه تخيل وهو يطير في جو الخيال أن الناس جميعاً قد حُشروا في صعيد واحد ، وشهدوا بأن كتابه قد طهر أبا هريرة من جميع عيوبه ، وأصبح بريء الساحة ، بما حمل من ترهاته وجهالاته !

وإني أطمئنه وشيوخه معه وأقول لهم : إن التهم التي صوبت إلى أبي

---

(١) راجع العدد ١٠٣٨ من مجلة الرسالة الصادر في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٣ وكذلك توهم الشيخ محمد أبو زهرة فيما نشره تقريظاً لكتاب العجاج .

هريرة على مدّ التاريخ كله من عهد الصحابة إلى اليوم ، ليست شبهات وإنما هي حقائق ثابتة ثبوت الجبال ، لا تزول ولن تزول ، بل ستظل وتكثر يوماً بعد يوم كلما ازداد العقل نضجاً ، والعلم تقدماً ، وسيلبث رهيناً في قفص الإتهام مكبلاً لا يخرج منه ولا يفرج عنه ، ما دام الحديث النبوي يدرس في الأرض ، ولو خرج في تبرئته والدفاع عنه كل يوم بما اتهم به ألف كتاب مثل كتابه .

خاتمة تذروها الرياح :

أنهى العجاج كتابه (بخاتمة) أجمل فيها ما فصّله فيه من خرافات ومفتريات ومن فروض ومناقضات ، ثم زادها بمحسنات (ورتوش) من نعوت وشمائل من عنده ، لكي يبدع منه شخصاً آخر غير شخص أبي هريرة ويبدي له صورة رائعة لم يظفر بمثلها أحد غيره ، حتى لقد بلغ من إعلاء شأنه أن صيَّره وحده من دون الصحابة جميعاً (راوية الإسلام !) وجعل هذه الصورة الفخمة عنواناً لكتابه .

ألا فليرح العجاج نفسه وشيوخه معه وليعلموا أن كل جهد أو عناء في هذا السبيل مهما كان مصدره فإنه سيذهب هباء ، والتاريخ الثابت الصحيح لا يتأثر بمثل هذه الترهات ، ولا يغير منه أن يغطى عليه مثل هذه التلفيفات ، وليستيقنوا جميعاً أن أبا هريرة هو هو بأخباره وأعماله التي سجلها له التاريخ على صفحاته ، وسيبقى إلى ما شاء الله على صورته الصحيحة التي لا تزوير فيها ولا تلفيق .

هذه الإلمامة الوجيزة كتبناها على كره منا ، إذ خرجنا بكتابتها عن السّنن الذي اتخذناه لأنفسنا تلقاء من ينتقدوننا ، وكان ذلك بعد أن بلونا أسلوبهم في النقد فوجدناه غير قائم على أصول النقد العلمي الحديث الذي يفيد العلم والعلماء ، وإنما يبنى على السباب والشتائم ، فرأينا من الخير أن ننصرف عن مناقشتهم وأن نعرض عن الردّ عليهم ، واستمساكاً بهذه السنة لم نلتفت إلى كل ما ظهر من كتب في نقد كتبنا غير كتاب العجاج هذا ، فقد

كتبنا هذه الإلمامة فيه للضرورة التي أوضحناها في مقدمة هـذه الطبعـة ؛ ومن شاء أن يطلع على الردّ المفصل الحكيم على كتاب هذا العجاج فعليه بكتاب (أبو هريرة في التيار) للعلامة عبدالله السبيتي فإنه لم يدع صغيرة ولا كبيرة مما جاء بكتاب العجاج إلا ردّ عليها ردّاً بليغـاً مفحماً ، وإننـا قبل أن نضـع القلم من هذه الإلمامة لا نرى بدّاً من أن نزجي خالص الشكر إلى الخطيب العجاج على أن أتـاح لنا فـرصة طيبـة لكي نعـرف كيف يكـون تـأليف كبـار شيـوخنـا الأزهريين ! وبخاصة من يتولى منهم التدريس في كليات الجـامعات ، ونقف على مبلغهم من العلم في النقد ، ومدى بصـرهم به ، ثم كيف يصنعـون من الخرافات والمتناقضات وما إليها صوراً يخرجونها في كتب تفسد عقول الناس وأفكارهم .

ردنا على الشيخ محمد أبو زهرة

كان الشيـخ محمد أبو زهرة قد كتب تقريظاً لكتاب العجاج نشره بمجلة الكتاب العربي التي تصدر عن وزارة الثقافة ، المصرية وكأن هـذه المجلة قد عنيت بنشر هذا التقريظ لتؤيد به عمل هذه الوزارة التي نشرت هذا الكتـاب ، وقـد رددنا على هـذا التقريظ بهـذه الكلمة في العـدد الرابـع من هذه المجلة الصادر في شهـر سبتمبـر سنة ١٩٦٤ وهاك نصّها :

قالت هذه المجلة :

جاءنا من الأستاذ محمود أبو ريَّة رد بعنوان «لمحة في تقريظ الشيخ أبي زهرة لكتاب أبي هريرة» يقول فيه . .

. . وبعـد أكثر من سبعـة أشهـر من ظهـور هـذا الكتـاب الـذي صنفـه العجاج عن أبي هريرة يخرج الشيـخ محمد أبـو زهرة على النـاس بتقريظ لـه نشر في العدد الأول من مجلة (الكتـاب العربي) ، الـذي صدر في ١٠ يـونية سنة ١٩٦٤[١] ، ولـم يكد يبـدو هذا التقـريظ للناس حتى تسـاءلوا : لم تـأخر

---

(١) ظهر كتاب (أبو هريرة) في ١٩٦٣/١١/٧ .

الشيخ عن تقريظ كتاب (تلميذه) هذه الشهور الطويلة ؟ ونحن لا يعنينا إن كان هذا التقريظ قد تأخر صدوره أو جاء في أوانه ، وإنما الذي يهمنا هو التقريظ نفسه ، وقد رأيناه ، ثم أقبلنا على قراءته ، وكان الظن ـ وبخاصة بعد أن جاء بعد هذا الزمن الطويل من ظهور الكتاب ـ أننا سنجد فيه شيئاً من ثقافة الشيخ ينفع العلم ، أو يؤيد الحق ، أو يفيد النقد ! ولكن خاب ظننا إذ لم نجد إلا صفحات اسودت بكلمات ردد فيها الشيخ ما ذكره ـ ولده ـ أي تلميذه ، في كتاب (أبو هريرة) ، وكأن الشيخ وهو يستعلن بذلك إنما يزدهي ويستعلي أن أصبح من تلاميذه من يؤلف الكتب ، وينشر في الصحف ! ولكن ليعلم أن الحقيقة تنادي من وراء ذلك ، أن هذا التلميذ لم يبلغ بعد سن الرشد العلمي ! وآية ذلك أنه اعترف على نفسه بأنه قضى ثلاث سنوات ! يحمل كتابه بين يديه ويدور به على من سماهم (العلماء) ليستعين بهم على إخراجه[1] وأن مطافه قد انتهى به إلى (أستاذه الجليل) الشيخ علي حسب الله ، فقرأه عليه ، وأمده بنصائحه[2] . وبديهي أن الشيخ محمد أبو زهرة كان من الذين طاف العجاج بهم ، وانتفع بعلمهم ـ ومن يفعل ذلك لا يعد ـ ولا ريب ـ من المؤلفين المحققين ؛ وأولى به أن يواصل الدرس والتحصيل ، إلى أن يستوي ويستحصد ، ثم يخرج إلى الناس بثمرات علمه ناضجة ، بغير أن يستعين بأحد أو يستند إلى إنسان[3] !

ونحن قبل كل شيء لا بد لنا من أن نصدق الشيخ في قوله إن (العجاج) ولده ولا شك في صحة هذه القرابة العلمية ، فإن القرائن كلها تؤيد ذلك وتؤكده ، وأنت إذا درست كتاب (التلميذ) حق الدرس ، وقارنته

---

(١) راجع العدد ١٠٣٨ من مجلة الرسالة الصادرة في ٥ ديسمبر ١٩٦٣ .

(٢) صفحة ٧ من كتاب (أبو هريرة) .

(٣) يظن بعضهم أنه متى حصل على شهادة دراسية رسمية فإنه يصبح بها عالماً من حقه أن يؤلف الكتب وينشىء الرسائل ، وهذا وهم لأن هذه الشهادات ليست غاية يقف عندها المتعلم ! وإنما هي وسيلة للدأب في تحصيل العلم الذي تنقضي الأعمار ولا يبلغ الإنسان منه غايته . وإذا كانت تآليف أولاد الشيخ مثل ما رأينا فيا خيبة التأليف ، ويا ضيعة العلم .

بما أتى به أستاذه في تقريظه ، فإنك ترى أوجه الشبه بينهما بادية ـ وبخاصة في أسلوب التعبير ، وطريقة التفكير ، والتماثل في العلم ، والتشابه في الفهم ، ومن أجل ذلك نجد تقريظ الشيخ مطابقاً لما في الكتاب ، أو هو الكتاب مصغراً !

وإذا كنا قد أشبعنا القول في نقد كتاب (أبو هريرة) وكشفنا عما يحمل من جهالات ومفتريات ومغالطات وما إلى ذلك ـ وذلك في كتابنا (شيخ المضيرة) الذي سيظهر في طبعته الثانية قريباً إن شاء الله ـ فإنا لا نتوسع هنا في الكلام عما جاء في هذا التقريظ مما يستوجب النقد ، ونكتفي بإلمامة وجيزة نشير فيها إلى بعض أمثلة تبدو منها قيمته ، وتظهر مقدار وزنه ، وتوضح صدق ما قلنا .

قال الشيخ في تقريظه : إن أبا هريرة قد أسلم وهو في بلاده (اليمن) عندما سمع بالدعوة الإسلامية !! وأنه قضى في صحبة النبي أربع سنوات ، وهذا عين ما زعمه العجاج في كتابه وقد أثبتنا بالأدلة القاطعة ـ ومنها ما رواه البخاري عن أبي هريرة نفسه ـ من أنه لم يسلم ولم يعرف الإسلام إلا بعد وقعة خيبر التي كانت في صفر سنة ٧ هـ وأنه بعد أن قضى في الصّفة التي كان يسكنها سنة وبضعة أشهر ، أقصاه النبي (ص) إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي في سنة ٨ هـ فجعله العلاء مؤذناً له ، كما طلب هو منه ذلك ؛ بأنه لم يكن يحسن شيئاً حينئذٍ غير التأذين ، وقد اعترف العجاج بهذا الإقصاء صراحة في كتابه (صفحة ٩٠) .

فإذا كان أبو هريرة قد اعترف ـ كما روى البخاري ـ أنه أسلم في صفر سنة ٧ هـ ثم أبعد إلى البحرين في سنة ٨ هـ فمن أين جاءت هذه السنين الأربع التي يزعم الشيخ وتلميذه أنه قضاها في صحبة النبي (ص) !!

هذا مثل مما حمله كتاب (أبو هريرة) من الجهالات الفاضحة وجاء الشيخ فأقره عليه في تقريظه . .

وإليك مثلاً آخر من تقريظ الشيخ ذلك أنه زعم أن أبا هريرة لا ينفرد

برواية حديث ويكون فيه ما يخالف القرآن . ونحن نسوق إلى الشيخ حديثاً واحداً من أحاديث كثيرة مثله انفرد أبو هريرة بروايته وخالف فيه القرآن مخالفة صريحة ـ وهذا الحديث رواه مسلم (في صحيحه) ولم يستطع العلماء جميعاً على كثرة ما حاولوا أن يدافعوا عن أبي هريرة فيه ، ولا أن يدرأوا عنه تهمة الكذب على رسول الله ، ولما أعياهم الدليل جزموا بأنه قد تلقاه عن شيخه كعب الأحبار الكاهن اليهودي الكبير ! ذلكم هو حديث (خلق الله التربة يوم السبت) وهذا نصه :

«أخذ رسول الله بيدي !! فقال : (خلق الله عزّ وجل التربة يوم السبت ! وخلق فيها الجبال يوم الأحد ! وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم (ع) بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) فهذه سبعة أيام ! والتوراة والقرآن يقولان إن الله قد خلق الأرض في ستة أيام ، وبذلك يكون أبو هريرة قد خالف القرآن وكذب على الرسول صلوات الله عليه ـ ومن العجيب أنك ترى هذا (الصحابي الجليل راوية الإسلام) قد صرح بسماع هذا الحديث من النبي ! بل بالغ فقال : إن النبي قد أخذ بيده وهو يحدثه به !!

وإذا كان مثل هذا الحديث الذي صرح (بسماعه) من النبي (ص) قد ثبت أنه قد كذب فيه ، وأنه تلقاه عن أكبر أحبار اليهود في زمنه كما قضى بذلك كبار رجال الجرح والتعديل ـ فترى ماذا يكون الأمر في الأحاديث التي تلقاها عنعنة من غير النبي (ص) وهي تعدّ بالألوف . .

ولعل مولانا الشيخ يسمح لي بأن أسأله ـ وأرجو أن لا يغضب ـ ذلك أن يتفضل فيحل المشكل المعقد في هذا الحديث وينتشل راوية الإسلام من الهوّة التي تردّى فيها ! لأن هذا الإشكال سيظل يسم أبا هريرة بميسم الكذب على رسول الله إلى يوم القيامة !

ومما قرأناه في هذا التقريظ أن الشيخ يرمي كل من يمس أبا هريرة بأنه

(يطعن في السنة) ـ وهـذا منطق عجيب استغـربنا كيف يصـدر من مثله ؛ لأن معنى ذلك أن السنة القـولية كلهـا ـ وكل من حملوهـا عن النبي (ص) وعملوا بها ونشروها من كبار الصحابة وفضـلائهم رضوان الله عليهم لا يعـدلون كلهم (أبا هريرة) وأنه وحـده هو راويهـا ، حتى إذا نالـه نقد فـإن هذا النقـد يصيب السنة كلها ! وهذا القول لا يقره عليه عالم ؛ ذلك بأن السنة المحمدية قـائمة ثابتة لا يضـرها أن ينقص من رواتهـا أبو هـريرة ولا غيـر أبي هريـرة ـ وإذا لم يُخلق أبو هريرة فإنه لا ينقصها شيء ؛ على أن هذا القول الـذي ذكره الشيـخ لا يستقيم ولا يكـون له معنى إلا إذا جـاء الخبر المتـواتـر بـأن النبي قـد قـال (خذوا سنتي عن أبي هريرة) .

وإذا كنت قد جئت في هذه العجالة ببعض ما يلاحظ على تقريظ الشيخ ومسسته بالنقد مسّاً رقيقاً رعاية لمكانته بين تلاميـذه وإيثاراً لـلإيجاز ، فـإنه لا يسعني إلا أن أعترف بأني قد أفدت من هـذا التقريظ فـائدة عـظيمة لم يـظفر الناس بمثلها من قبل ! ولعل هذه الفائدة هي التي ساقتني اليوم إلى كتابة هذه الكلمـة ، بعد أن آليت على نفسي أن لا أرد على أحـد من الـذين انتقـدوني عندما ألفيتهم جميعاً قد اتخذوا الشتم والقذف مذهباً لهم في جدالهم ، ذلك بأنه لا يصح لي أن أجاريهم في مضمارهم وقد قال الشاعر :

إذا جـاريت في خـلق سفـيهـاً فـأنت ومن تـجـاريـه سـواء

أما هذه الفائدة فهي أن مصنف كتاب (أبو هريرة) قـد نقل في الصفحـة ٣٢٨ وما بعدها إلى كتابه كلمة عن ابن خزيمة وصف فيها من تكلموا في أبي هريرة بأنهم إما (معطل جهمي) أو (خارجي) أو (قـدري) أو (جاهـل) ! فجاء مـولانا الشيـخ وابتدع بعلمـه واجتهاده وصفـاً طريفـاً لهم فقال «إنهم طـائفتان طائفة إسلامية تؤمن بالله على حرف . . وأخـرى لا تؤمن بالله ولا بـرسولـه» ؛ وقد قضى بذلـك الحكم المبرم على كـل من انتقدوا أبـا هريـرة ـ ونحن منهم طبعاً ـ ولا نعلم في أي الطائفتين قد سلكنا الشيخ غفر الله له .

هذه هي الفائدة التي عادت علينـا من تقريظ مـولانا الشيـخ ـ ولا ندري

والله إذا كــان من يقضي على طـائفــة من المسلمين بهـذا الحكم الخــطيـر مسلماً ! فضلاً عن أن يكون شيخاً من شيوخ الدين ! أو أنـه غير ذلـك ؟ على أننا لا نتورط فنقـع فيما وقـع فيه غيـرنا ، فنخـرج الشيخ من إسـلامه ونكـون بذلك من الجاهلين !

ولعل سائلاً يسأل فيقول : من أين للشيخ أن يعـرف درجات النـاس في الإيمـان ، ومقدار وزنهم في الإسـلام ، ويقطع بـأن هذا مسلم وهـذا كافـر ؟ وبأي حق يتدسس إلى العقائد فيحكم فيهـا برأيـه ، وهذا من غيب الله الـذي استأثر بعلمه ولا يدركـه أحد من خلقـه ، حتى الرسـل صلوات الله عليهم إلا بوحي من السماء ؟؟

ونقف عند هذا الحد من الكلام عن تقريظ الشيخ لكتاب (أبو هريرة) ، وفيما بيناه في تاريخ (شيخ المضيرة) وما رددنا به على كتاب (أبـو هريـرة) في آخر هذا التـاريخ ـ وهـو في الحقيقة رد على جميـع من اشتركـوا في تأليفـه ـ لبلاغ أي بلاغ .

وقبل أن نضع القلم نسـر في إذن مولانـا الشيخ كلمـة نقول فيهـا : إن تقريظه هذا لم يكن له أي أثر في تغيير شيء من حقيقة تاريخ أبي هريرة ، لا من قريب ولا من بعيد ، ولا هـو بدافـع شيئاً من التهم التي رمي بهـا على مدّ الزمن من لدن الصحابة إلى اليوم وإلى أن يشاء الله .

وإذا كان مولانا الشيخ قد دفعه الغلو في تقدير عمل تلميذه حتى قـال : «إنـه تتبع مـا أثير من شبهات حول شخص أبي هـريرة وعلمـه فأزالهـا ، وجلى صفحته نقية طاهرة» فإنا نقول للشيخ في صراحة وصدق ، كما قلنا لولـده من قبل ، إن صفحة أبي هريرة لا ينقيها ولا يطهرها كتاب العجاج ولا ألف كتاب مثله ، وإنمـا الذي يـطهرهـا وينقيها ، هـو أحـد أمـرين لا ثـالث لهمـا ، وأُم المنـطق لم تلد غيرهمـا ! فإمـا أن تجردوا كتب الحـديث كلهـا ممـا فيهـا من الأحاديث التي رواها أبو هريرة وفيها ما فيها من المشكـلات والخرافـات التي تفضحنـا عند سـائر الأمم ـ مثـل حديث (خلق الله التـربة يـوم السبت) الـذي

تكلمنا عنه آنفاً ـ وحديث لطمة موسى لملك الموت ففقأ عينه ، فصعد الملك إلى الله ليشكو موسى ! وحديث نزول الأنهار الأربعة من الجنة سيحون وجيحون والنيل والفرات ـ وهي أسطورة هندية قديمة ، وحديث غمس الذباب في الإناء ثم يؤكل ما فيه بعد ذلك ، وغير ذلك مما ذكرنا منها أمثلة كثيرة في كتابنا (شيخ المضيرة) تلك الأحاديث التي يعروني الخجل من الناس عندما أنقلها إليهم ـ إما ذلك ، وإما أن تثبتوا أن جميع من رووا عنه قد كذبوا عليه ، وأن الرجل في نفسه بريء مما نسب إليه !

بذلك وحده لا بغيره يصبح شخص أبي هريرة نقياً طاهراً ، أما مضغ الكلام وعلك الحديث ، وتأليف الكتب وتقريظها ، فهذا كله لا ينفع ولا يفيد بل يذهب كله هباء .

وإلى اللقاء يا مولانا الشيخ عندما تظهر الطبعة الثانية[1] من كتابنا (شيخ المضيرة) إن شاء الله التي سأهدي إليك وإلى الشيخ علي حسب الله نسخة منه لكي تعرفا منه تاريخ هذا الصحابي على حقيقته ، وترون كيف يكون التأليف العلمي الصحيح ، ومدى معاناة البحث عن الحقائق وتمحيص الأخبار ، مما لا يمكن احتماله أو الصبر عليه إلا بعد اطراح العواطف والأهواء ، والتخلص من الجمود وتقليد الآباء ، والسلام على من اتبع الهدى .

القاهرة　　　　　　　　　　　　　　　　محمود أبو ريَّة

كلمتان نفيستان

وقفنا على هاتين الكلمتين النفيستين فاستخرنا الله في أن ننشرهما هنا لأن المقام يستدعيهما !

إحداهما لحجة الإسلام الغزالي ، والأُخرى للإمام المرتضى اليماني رضي الله عنهما :

---

(١) نشرنا هذه الكلمة قبل ظهور الطبعة الثانية من هذا الكتاب .

قال الغزالي في خطبة كتاب (فيصل التفرقة) يخاطب بها من أبلغه أنهم يرمونه بمختلف التهم ، ومنها الكفر[1] ! هوّن أيها الأخ المشفق على نفسك ، لا يضق به صدرك ، وفلّ من غربك قليلاً ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ، واستحقر من لا يُحسد ، ولا يُقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ! فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين (ص) وقد قالوا : إنه مجنون من المجانين ، وأي كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا : إنه أساطير الأولين ! أما سمعت ما قيل :

كل العداوة قد يرجى سلامتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

وقال الإمام المرتضى اليماني في كتاب (إيثار الحق على الخلق)[2] :

لا ينبغي أن يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين ، كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين ، ولا المتقي من كثرة العاصين ، ولا الذاكر من كثرة الغافلين . بل ينبغي منه أن يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له ، والغافلين عنه ، وليوطن نفسه على ذلك فقد صح عن رسول الله أنه قال : «إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء» ، رواه مسلم في الصحيح والترمذي وابن ماجه وروى البخاري نحوه بغير لفظه ، وعن أمير المؤمنين علي عن رسول الله أنه قال :

طلب «الحق» غربة ـ رواه الأنصاري في أول كتابه (منازل السائرين إلى

---

(١) لقد قذفونا في كتبهم التي بلغت أكثر من إثني عشر كتاباً بكل عوراء من القول ، ورمونا بالارتداد عن الدين وبالفسق والزندقة ؛ أما الكفر فقد قرأناه مراراً وصارحنا به جهرة أحد صبيان الأزهر الذين اتخذوهم ليتولوا الناس بالأذى ، وكان ذلك أمام الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله محرر مجلة الأزهر والأستاذ محمود الشرقاوي وأحد شيوخ الأزهر وكنا بدار مجلة الأزهر . وارجع إلى مقدمة الطبعة الثانية من كتاب الأضواء لترى ما فعله الأزهر معنا .

(٢) ص ٢٦ وقد قرأنا في الصفحة ٧٥ من هذا الكتاب القيم حديث حزام بن حكيم عن أمية ، ونحن نورده هنا لأنه مهم وهو :

إن العبادة في صدر الإسلام أفضل من العلم ، وإن العلم في آخر الأمر أفضل من العبادة .

الله) من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده ، ولذلك شواهد قوية ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد .

إلى علماء الاسلام في جميع الاقطار

رأيت فيما نقلناه إليك عن كتاب العجاج أنهم رفعوا فيه مقام أبي هريرة إلى أفق لم يبلغه أحد بعد رسول الله (ص) فجعلوه دون غيره من الصحابة (راوية الإسلام !!) وأنه وحده الذي اختص بهذه المنزلة التي لا تطاول ، فقدموه على الصفوة المختارة من الصحابة رضوان الله عليهم ، أمثال أبي بكر وعمر وعليّ وغيرهم ! حقّاً إنها لإحدى الكبر ، والذنب الذي لا يغتفر !! ومن هو أبو هريرة هذا حتى ينفرد بهذا الفضل العظيم ، ويكون راوية الإسلام لجميع المسلمين على مدّ الأحقاب وتطاول السنين !!

إنه لا يعدو أن يكون في الساقة من الصحابة وعامتهم الذين لا شأن لهم ولا خطر ! أو كما يقولون : لا في العير ولا في النفير ! فلم يكن من السابقين الأولين، ولا من المهاجرين ، ولا من الأنصار ، ولا من المجاهدين في سبيل الله بأموالهم أو بأنفسهم . . وكل ما عرف من تاريخه أنه انتقل من خدمة ابن عفان وبسرة إبنة غزوان على ملء بطنه ، إلى خدمة النبي (ص) على ملء بطنه كذلك ، كما روى البخاري وغيره ، ثم لزم الصفة يطعم مع إخوانه فيها لوجه الله فقضى بها سنة وبعض سنة ثم أقصاه النبيّ (ص) إلى البحرين ، ولم يكن له عمل فيها إلا التأذين بين يدي العلاء بن الحضرمي ؛ ولما توسع في الرواية عن النبي (ص) بعدما اتصل بأستاذه كعب الأحبار ، وبعد موت عمر الذي كان ينهاه عنها ، اتهمه الصحابة وكذبوه فيما يروي حتى كان أول راوية اتهم في الإسلام ، ولا نتوسع في تفصيل تاريخه بعدما بيناه في كتابنا .

وبعد ذلك كله وغيره مما فصلناه في كتابنا يخرج أناس من آخر الزمان ويقولون عنه (إنه راوية الإسلام) ! لقد كان واجباً على علماء المسلمين كافة أن يهبوا في وجه الذين قالوا بذلك فيبينوا لهم مبلغ ضرر ما وقعوا فيه ومقدار

ما جنوا على الدين وعلى الذي جاء به (ص) ! ولكن وا أسفا فإنا لم نجد من قام منهم بما يوجبه عليه الدين والعلم ، وبخاصة علماء مصر جميعاً فقد سكتوا عما اقترف العجاج وشيوخه (وأكلوا جميعاً حلاوة سدّ الحنك) كأنهم راضون عنه ! ولم يخفف الأمر علينا إلا أن رأينا عالماً كبيراً من غير مصر قد انبرى لمؤلف هذا الكتاب وشيوخه ، فدحض كل ما سطروه وما افتروه بأدلة قاطعة ، وبينات مسلمة ، لا تقبل الجدل ، ولا يقف في سبيلها أي اعتراض أو مكابرة ـ ثم وجه اللوم الشديد إلى وزارة الثقافة المصرية التي أعانت على طبع ونشر كتاب العجاج على تفضلها ومنحه فوق ذلك منحة كبيرة .

وهذا العالم المفضال هو الشيخ عبدالله السبيتي في كتاب ألفه باسم (أبو هريرة في التيار) جزاه الله عن الدين والعلم أحسن الجزاء .

معـــذرة

قد يلاحظ القراء على أسلوبنا في هذه الإلمامة وفي مقدمة هذه الطبعة شيئاً من العنف والتهكم ، ويقولون : أما كان الأجدر بنا أن نتخذ في ردنا غير هذا الأسلوب سبيلاً ! ونحن لا ننكر ذلك ولا ندفعه ، ونصرح بأننا لم نتخذ هذا الأسلوب إلا مضطرين ، ولا سلكنا هذه السبيل إلا مرغمين ، ذلك بأن هؤلاء القوم الذين نخاطبهم قد اتفقت كلمتهم على عداوتنا[1] وتظاهروا على سبنا وشتمنا ، وتمادوا في قذفنا بمنكر القول وزوره ، ولم يشبع ذلك نهم حقدهم وبغضهم بل تمادوا فطعنونا في ديننا ، واتهمونا في إيماننا وجاء شيخ منهم يسمى محمد أبو زهرة فوصف إيماننا بأنه (إيمان على حرف) ولا نعيد الكلام في بيان ما وقع علينا من أحد مجرميهم بين جدران الأزهر بعد أن فصلناه في مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا الأضواء .

وعلى رغم كل ما أصابنا فقد آثرنا أن ندفع مع هؤلاء القوم بالتي هي

(١) كنت في زيارة العلامة الجليل الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر وكان ذلك في يوم الأحد ٢٦ يولية سنة ١٩٦٤ فدخل المجلس شيخ ربعة أحمر ، وما كاد الشيخ الباقوري يعرفه بإسمي حتى التفت إلي في غضب وخاطبني بهذه العبارة : «إسمع يا أستاذ جميع شيوخ الأزهر ضدك لما تكتب !» ثم ولى وعيون الحاضرين تشيعه بالازدراء ، وكان لي أن أجيبه بقولي «أبشر بطول سلامة يا مربع» ، أو أقول كلمة أخرى أشد من ذلك ولكن فضلت السكوت محافظة على حرمة المجلس .

أحسن ، وقلنا عفا الله عما سلف ، وآية ذلك أننا عندما أردنا أن نخرج الطبعة الثالثة من كتاب الأضواء حذفنا كل ما كتبناه عما وقع علينا[1] وخرج الكتاب خالصاً للعلم وحده ، وظننا أن القوم كرام فيقدرون صنيعنا ، ويحمدون لنا موقفنا ، ولكن وا أسفا خاب ظننا وغلبت عليهم شنشنتهم ، وما لبثوا أن قابلونا أخيراً (بكتيب) رمونا فيه بالفسق وغير الفسق حتى صدق فيهم قول الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

من أجل ذلك لم نجد أسلوباً يليق بمخاطبة هؤلاء القوم غير هذا الأسلوب ، ولا تعبيراً يصلح للردّ عليهم سوى هذا التعبير ، ورحم الله المتنبي حيث يقول :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

ومن قول شاعر آخر : وحلم الفتى في غير موضعه جهل !

على أن كلامنا وإن كان قد بدا في هذا الأسلوب فإنا قد تجنبنا مجاراة من انتقدونا في سفههم ، وربأنا بأنفسنا عن أن نهبط إلى الدرك الذي هووا إليه ، وارتضوه لأنفسهم ، حتى لا يوجد في كل كلامنا لفظة قذرة ، أو تعبير بذيء من جنس ما قالوا .

ولقد كان من حقنا أن نرد عليهم بمثل قولهم ، ولكن عصمنا من ذلك قيد ثقيل من أخلاقنا وديننا .

ولو أنهم كانوا ذوي أخلاق كريمة ونفوس مهذبة بحيث يجدي معهم دفع سيئاتهم بالتي هي أحسن ، واعتدائهم بما هو أقوم ، لكان قولنا لهم ليناً ، وأسلوبنا معهم هادئاً ، ولجرى قلمنا في مناقشتهم على سجيته الطبيعية التي يتبعها في كل ما يخطه .

---

(١) يعرف ذلك الأستاذ العالم الكبير الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة سابقاً .

وإنا بعد ذلك لندعو الله مخلصين أن يهديهم إلى طريق الرشاد ، وأن يطهر نفوسهم من درن الأحقاد وأن يشفي عقولهم من داء التعصب والجمود ، ويضع عن أعناقهم أغلال التقليد ، وعبادة الآباء والجدود إنه سميع مجيب .
والسلام على من اتبع الهدى .

للتاريخ

كنا قد ختمنا الطبعة الثانية من كتاب الأضواء بنشر طائفة من الكتب الخاصة التي تفضل بإرسالها إلينا صفوة من العلماء في الأقطار الإسلامية ، وبعض المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات العربية التي تشيد بقدر كتابنا الأضواء وتضفي علينا أطيب الثناء مما لا نستحق منه شيئاً . وقد فاتنا أن نثبت ذلك في الطبعة الثالثة من الكتاب .

وقد رأينا حفظاً لحق التاريخ أن نشير إلى هذا الأمر هنا بأن نكتفي ـ لضيق المجال ـ بنشر أسماء السادة الفضلاء الذين نشرنا كلماتهم من قبل ، وهي كما يلي بترتيب نشر هذه الكلمات :

العلامة المفضال الشيخ عبدالله صالح الفارسي من كبار علماء زنجبار .

العالم المحدث الأستاذ عبدالحميد الخطيب المدرس بالحرم المكي وسفير السعودية بالباكستان (سابقاً) رحمه الله .

العلامة الكبير نعمة الله سلجوقي رئيس فخر المدارس بهرات (أفغانستان) .

العلامة الجليل الأستاذ مرتضى العسكري عميد كلية أصول الدين ببغداد . العراق .

الكاتب العالم المحقق الأستاذ إسماعيل مظهر رحمه الله .

الكاتب الكبير الأستاذ طاهر الطناحي محرر مجلة الهلال رحمه الله .

أما كلمة الدكتور طه حسين فقد جعلناها مقدمة للطبعة الثالثة من كتاب أضواء على السنة .

وأما سائر من تفضلوا علينا برسائلهم الخاصة فنسدي لهم خالص الشكر ونعتذر عن ذكر أسمائهم فيما ذكرنا .

تنبيه

أعرضنا هنا عن نشر أسماء أسانيد الكتاب ومصادره ، اكتفاء بنشرها في الطبعة الثالثة من كتابنا الأضواء ، لأن كتاب (شيخ المضيرة) هذا يعتبر جزءاً مكملاً له وتماماً عليه ـ وما زاد على هذه المصادر مما قرأناه لهذه الطبعة الجديدة من كتاب (شيخ المضيرة) قد أغفلنا نشره هنا اكتفاء بذكره في هوامش الكتاب .

المقدمة الفارسية

هذه ترجمة مقدمة كتاب شيخ المضيرة الذي ترجمت طبعته الأولى باللغة الفارسية التي وعدنا بنشرها في مقدمة الكتاب[١] .

باسمه العزيز :

الكتاب الذي بين يدي القارىء المحترم هو في شرح سيرة[٢] أبي هريرة أحد أصحاب الرسول الأكرم صلّى الله عليه وسلم .

. . . إن الإحاطة بتاريخ حياة أبي هريرة وخصوصياته كرجل عرف في التاريخ الإسلامي بأنه أحد أصحاب النبي الأكرم (ص) بل صحابي كبير (مع بالغ الأسف) الذي غصت كتب أهل السنة بمروياته ـ والإطلاع على دقائق سيرته وأقواله وأفعاله كشخص كان له فخر مصاحبة نبي الإسلام المعظم (ص) وإدراك مدرسته على غاية من الأهمية سواء من الناحية

(١) لقد تفضل بترجمة هذه المقدمة الأستاذان الفاضلان محمد إسحاق الفقيهي السكرتير الأول بالسفارة الأفغانية بالقاهرة ، وأسعد عبد الجبار الكبيبي المستشار الثقافي المساعد بسفارة الجمهورية العراقية بالقاهرة فشكراً لهما شكراً جزيلاً .

(٢) حذفنا من هنا عبارة شديدة من عنوان الكتاب وإن كان لا تثريب علينا في إبقائها اتباعاً لسنة النقل وكذلك حذفنا بعض سطور من المقدمة ، حتى لا نثير غضب ضيقي الصدر الذين ينفرون من كل ما لا يرضيهم من القول ويلعنون قائله لعناً كبيراً . . .

التاريخية والأخلاقية أو من حيث الوقوف على النتائج المذهلة فيما يخص روايته لبعض الأحاديث التي بين يدي المسلمين المنسوبة إلى النبي الأكرم ، أو لنواح أُخرى ـ إن هذه الأمور كلها دفعتني إلى المبادرة بترجمة هذا الكتاب الذي يعتبر خير معرف لشخصية (أبي هريرة) ورواياته لكي يوضع في متناول أهل التحقيق .

لا ريب في أن أبا هريرة بطل هذا الكتاب يتمتع باحترام شديد بين أهل السنة بما له من شرف مصاحبته للرسول الأكرم (ص) . وبأنه ناقل وراو لكثير من أحاديث النبي في مختلف المواضيع . ولذلك فإنه حينما تعرض مؤلف هذا الكتاب ، وكتابه الآخر (أضواء على السنة المحمدية) الذي احتوى حقائق هامة مذهلة عن الحديث ، وعن الوضاعين والمزيفين ـ ثار حوله جدل ونقاش مريران سواء في مصر أو في سائر الأقطار الإسلامية العربية التي أغلب أهليها من أهل السنة ، وأصبح موضع هجوم ونقد وانتقاص وتجريح من ذوي العقول المتحجرة والجمود الفكري من كل فئة وطائفة ، لأنه قد تجرأ ـ وعلى غير المألوف ـ لنقد واحد من صحابة الرسول الأكرم ، وتجاسر على وضعه تحت منظار النقد والتحليل الجريء ، وعلل وحقق ودقق جميع روايات أبي هريرة الغزيرة التي رواها عن رسول الله (ص) وعرض شخصيته ومروياته لموجة عاتية من النقد والتجريح والاعتراض .

وبديهي أن إقدام المؤلف على مثل هذا العمل الذي قد يبدو لأول وهلة في هذه البيئة أمراً غير صحيح ! أو ليس بالسهل (على أقل تقدير) لأنه يعد لطمة قاسية لعقائد اناس ظلوا زمناً طويلاً يشيعون أبا هريرة بنظرات التقديس والاحترام مؤمنين بصدق رواياته ، ويتقبلونها قبولاً حسناً ، يضاف إلى ذلك أن هذا العمل يُعَد هجوماً مثيراً على واحد من أصحاب النبي الأكرم كان له شرف صحبته ولو لمدة قليلة ، ولكن المؤلف لم يكن ليغيب عن ذهنه ما أحدثه التقدم العلمي والعقلي والفكري في عالمنا المعاصر من تطورات وانقلابات في شؤون الناس وفي جميع الميادين خصوصاً بعد أن عرضت لتغيرات واتجاهات جديدة في عقائدهم وعاداتهم وآدابهم حفزت نتيجة لهذا

الأسلوب في التفكير أكثر الناس لكي يهبوا لتمحيص كل ما يقع تحت أنظارهم ولا سيما فيما يتعلق منها بالعقائد الدينية ، والموضوعات المذهبية ، وليبحثوا عن أصل كل شيء ومنشئه ، ويقفوا على سببه وعلته ، وليسألوا عن دليله وبرهانه ومستنده .

إن هذا الكتاب يدل على صدق معتقد المؤلف وأمثاله ممن يضمون بين حنايا أضلعهم إحساس الغيرة على الدين الإسلامي ويتعلقون بأهداب شريعته ، وأنهم يقفون بالمرصاد للمعاندين والمغرضين والمنتقصين ، خصوصاً أن كثيراً منهم على حق في بعض ما يأخذونه على الدين ، مما لا ينطبق ومنطق العقل أو العلم مما لا يصح أن يسكتوا أو يقفوا حياله مكتوفي الأيدي ، ويكتفوا بالاستماع إلى اعتراضات المعترضين ، ومآخذ المغرضين ، ويستمرئوا طعون الطاعنين من أعداء الدين متقبلين سيول الشتائم بمستقبح الألفاظ ، راضين لأنفسهم عار شماتة الأعداء ممن حجبت عنهم سحب أوهامهم وأخيلتهم شمس الحق المشرقة عليهم .

وعلى هذا الأساس ، ولأجل هذا الهدف ، اقتحم المؤلف الفاضل هذا الميدان ليمحص الحق المحض بمستمسكات رصينة ، واستدلالات متينة ، ليمزق الستر عن وجه حقيقة هامة فيما يتصل بأبي هريرة وأحاديثه ، ذلك الذي ظل طوال القرون والعصور الإسلامية الماضية مغطى بغطاء من العقائد البالية تحكي قدسيته .

حقّاً نهض المؤلف ليدافع بهذا الكتاب عن الحرم المقدس للدين الإسلامي ، وعن شخصية عظيم الشأن رسول الله الأكرم (ص) إذ لم يكن الحديث النبوي إلا الرابطة المباشرة بين الرسول وحيثيته ودينه .

ونحن لنحمد للمؤلف هذا العمل البار في جهاده الديني ، وصيانته لقدسية سيد المرسلين ، وتبيانه الحقيقة لكل من أخذوا على أنفسهم حمل مثل هذه الرسالة الخطيرة ، وإشارته إلى أن خير المسلمين وصلاح أمرهم لا يمكن أن يكون إلا بجهاد الأعداء المتربصين في مثل عالمنا المتكالب بعد تجهيز المجاهدين بأسلحة العلم والمنطق والعقل ، وبأسلوب البحث

والتحقيق والتتبع ، لحماية تلك الفرق والمجموعات التي تتهاوى زمراً متتالية لتسقط في غياهب انحراف العقيدة بسبب الخداع والتهويش الماكر الذي تعرضت له أمداً طويلاً ، إذ لا ينحصر الجهاد في الانشغال فقط بتلك الفئة من الناس التي اختارت العزلة وآثرت العافية ونأت عن الأعداء الماكرين والتزمت الصمت ولم تعد تهتم بالتحولات والثورات الفكرية في عالمنا المعاصر ، ولم تتأثر بما جد فيه ، وبقيت كما كانت وستبقى كذلك .

وخلاصة القول أن المؤلف المحترم قد أظهر في هذا الكتاب ما كانت عليه شخصية أبي هريرة ، مما يجب أن توصف به فعلاً ، وبين استهتاره في نقل الحديث ، وإفراطه في كثرة المرويات عن الرسول الأكرم (ص) ، وانتهى المؤلف إلى إثبات الهدف المعين الذي قام من أجله أبو هريرة بانتحال بعض الأحاديث ونقلها ، لأغراض خاصة ، كما أشار من طرف خفي إلى ما يجب على كل مسلم تلقاء أعداء الدين الأذكياء من الأجانب ، وكيف أنهم يحتالون لإفساد الأخلاق وتحريف الأفكار وزلزلة العقائد ، لسلب القدرة المعنوية والمادية من المسلمين لكي ينفذوا بعدها إلى أهدافهم المشؤومة عن غير الطرق التي قد يحس الإنسان غرابتها فينكر عليهم أقوالهم وأفعالهم ، أو يفلت منها مرة واحدة بعد أن يطلع على أهدافهم الآثمة ، بل غالباً ما يتسللون كما يتسلل الميكروب عن طريق الطعام المستساغ أو الشراب الطهور ، ليستحيل دماً يهاجم الجسد والروح دفعة واحدة ، وهذا يقتضي حنكة وكياسة يأنسها الناس ، ومن هنا مزجوها بأقدس المعتقدات ، وليس أقرب ولا أسلم للوصول إلى ذلك من الدين والمعتقدات الروحية ، إذ من المحال أن تقوم نهضة دينية إصلاحية إلا على أساس من العقل الصحيح ، والعلم النافع ، أولاً وقبل كل شيء ، إذ أن الدين بلا ريب هو دواء كل داء يمكن أن يصيب المسلمين على أن يسلك به طريقاً صحيحاً وبأسلوب علمي مستدل بالمنطق متساوق مع قانون العقل وطرق التحقيق . وبهذا وحده يمكن أن يؤمن الفلاح والصلاح .

فقد سجلوا مثلاً أحاديث أبي هريرة وكل من لف لفه ، وسجلوا جميع

الأحاديث أياً كـان راويها مستهـدفين من وراء ذلك أغـراضاً يقصـدونها ، لأن مثل هذه الأحاديث والآثار سواء منها تلك التي احتسبت من الإسرائيليات التي أخـذت عن كعب الأحبار ووهب بن منبـه وأضـرابهم من اليهـود المخـربين أو ناشري آثار اليهود ، تلك التي لا يقرها عقل حصيف أو منطق سليم ، بله مـا أثبتـه العلم والتجربـة من بطلان أغلبهـا ، صراحـة غير مؤيـدة إلا من الأيدي الملوثة الحاقدة ، وليس لها من نتيجة سوى وضع سلاح بتار قاطع لمعتقداتنـا بعد أن أخذوهـا من أيدينـا نحن ليلطخوا بهـا ديننا الإسـلامي المقدس الـذي احتوى أسمى التعاليم البشرية ، وأروع المثل العليا وأبقى الشـرائع القـانونيـة خلوداً لبني الإنسان ، فيبدو بعـدها لنـا ولأعدائنـا ضحلاً تـافهاً ولتمتـد بعدهـا ألسنة الفحاشين والمشتغلين بالقذف والسباب ، أبعدنـا الله عن هاويـة الجهل والضلال ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

مؤلف هذا الكتاب

العلامة المبجل الشيخ محمود أبو ريَّة مؤلف هذا الكتاب أحد علماء أهل السنة[1] الأجلاء في مصر وأكثرهم شهرة بحرية الرأي وقوة الإرادة والشهامة في مناصرة الحقيقة والذود عن الإسلام ـ وقد تعرض هذا الداعية المبشر بحقائق الإسلام المحرض بشدة على التمسك بأسس الدين القويمة التي يقوم عليها وحدها صرح السعادة ـ لحملة طعن ظالمة من السطحيين وقليلي التفكير ، وزاد في هذه الحملة مشايعته الصادقة واحترامه المؤكد لآل علي[2] إلى جانب ما رماه به بعض شيوخ الأزهر وعلمائه من التشيع والرافضية ، حتى وصل الأمر بينهم لأعنف صور المجادلة والمهاترة والحقد ،

(١) نشكر للسيد المترجم المفضال ما أضفاه علينا بأدبه الكامل من ثناء طيب وأوصاف لا نستحقها ، ونذكر له وللناس جميعاً أننا لا نعرف شيئاً إسمه (أهل السنة) ولا شيئاً آخر يقابلها من سائر الفرق أو المذاهب التي استحدثت بين المسلمين لتعريفهم ، وبخاصة فإن وصف أهل السنة هذا لم يكن معروفاً قبل معاوية بن أبي سفيان ، وقد استحدثوه في عهده في العام الذين وصفوه بأنه (عام الجماعة) نفاقاً للسياسة لعنها الله ، وما كان إلا عام الفرقة ، وأصرح كذلك بأني وقد قضيت ما قضيت من عمري في الدرس والتحصيل ـ ما زلت أطلب العلم ولا أعد نفسي من الذين يسميهم الناس علماء ـ أولئك الذين يستغلون ، لمآربهم الشخصية ، هذا اللقب عند الدهماء .

(٢) إن حب آل البيت والتشيع لهم لفرض على كل مسلم مؤمن برسالة محمد (ص) .

كما يذكر ذلك المؤلف ذاته في مقالة له نشرت في عددين من مجلة (النهج) الشهرية التي تصدر في لبنان تحت عنوان (قضيتي مع الأزهر) بين فيها دقائق هذا الخلاف وردوده عليه بقلم ساحر وبيان متين نحجم عن نقلها مخافة الإطناب وحفظاً لوحدة الكلمة[٣] . التي نحن أحوج ما يكون لمثلها عالمنا الإسلامي في ظروفنا الراهنة ، ولئلا نأتي بعكس المراد من ترجمتنا لهذا الكتاب سائلين الله العلي ومتشفعين بالنبي الأمين وآله الطاهرين أولياء الإسلام (ع) وحدة الكلمة والرفعة والنصر المبين لجميع المسلمين تحت راية الإسلام الخفاقة .

ونرى لزاماً علينا في الختام أن نقدم غاية الامتنان للعالم الجليل والحبر النبيل حجة الإسلام والمسلمين السيد آقا سيد رضا صدر دامت أفضاله ، الذي تفضل مشكوراً ـ بعد مطالعة هذا الكتاب النافع وإدراك ما فيه محرضاً لتعميم نفعه بالترجمة ـ بإضافة ما وضعه بين أيدينا من التعريف بمؤلف هذا الكتاب ، سائلين له طول العمر والتأييد ، إذ لو كتب لي شرف فضل في هذه الترجمة فإنما هي له أولاً :

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

* * *

هذه هي الترجمة البليغة لمقدمة كتاب (شيخ المضيرة) في طبعته الأولى التي دبجها قلم العلامة المفضال محمد وحيد كلپايكاني ونشرتها مكتبة (كتا بفروشي محمدي) بطهران عاصمة بلاد فارس .

---

(٣) من أجل هذه الرغبة الكريمة التي أبداها السيد المترجم حذفنا من الطبعة الثالثة من كتاب الأضواء ما كنا نشرناه عن موقف الأزهر منا ، وكنا نظن أن ذلك قد يذهب ما في صدورهم من ضغن أو يخفف منه . ولو قليلاً ، ولكنا ما لبثنا أن وجدنا بعض أساتذة كلية أصول الدين بالأزهر يصدرون كتباً يرموننا فيها بالجهل والفسوق ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة